



لعدد الرابع والعشرون - الجزء الثاني - سبتمبر - 2025 - السنة الخامسة مجلة علمية فصلية محكمة

المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

American International Journal of Humanities and Social Sciences

الالكتروني (ISSN) (3085 - 4806) / الورقي (ISSN) (3085 - 4830)

رقم الايداع القانوني في المكتبة الوطنية المغربية (2025 Pe00006)

رقم الايداع القانوني في دار الكتب والوثائق العراقية (2735)

تصدر عن الأكاديمية الأمريكية الدولية
للتعليم العالي والتدريب

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY
OF HIGHER EDUCATION AND TRAINING



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



رئيس التحرير-أ.د.نزهة إبراهيم الصبري - نائب رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب- المملكة المغربية
نائب رئيس التحرير: أ.د. حاتم جاسم الحسون، رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
مدير التحرير- أ.د. هند عباس على الحمادي-أستاذ بقسم اللغة العربية وعلومها-كلية التربية للبنات-جامعة بغداد، (جمهورية العراق) مدقق اللغة العربية).

سكرتارية التحرير

1. أ.م.د. محمد حسن أبو رحمة . وزارة التربية – فلسطين .
2. أ.سكينة إبراهيم الصبري. الشؤون الإدارية. الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

أعضاء هيئة التحرير

1. أ.م.د.حقي إسماعيل إبراهيم ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، جمهورية العراق. المدقق العام.
2. أ.د. خالد ستار القيسي ، عميد كلية الإعلام ، الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
3. د. مجدي عبد الله الجايح، كلية اللغات والعلوم الإنسانية ، الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب. (مدقق اللغة الإنكليزية)
4. أ. خالد الأنصاري، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس ، الرباط، المملكة المغربية. (التنضيد)
5. م.م. محمد تايه محمد بخش - وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف/ العراق. (تصميم).

أعضاء الهيئة العلمية

1. د. أبكر عبد البنات آدم. مدير جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم. جمهورية السودان.
2. أ.د. إلهام شهرزاد رواج. كلية الحقوق والعلوم السياسية. جامعة البليدة 2. الجمهورية الجزائرية.

3. أ.د. آمال العرباوي مهدي - رئيس قسم التربية المقارنة بكلية التربية - جامعة بورسعيد، جمهورية مصر العربية.
4. أ.د. أمل مهدي جبر - رئيس قسم العلوم التربوية والنفسية .كلية التربية للبنات . جامعة البصرة، جمهورية العراق.
5. أ.د. ناهض فالح سليمان - كلية التربية للعلوم الإنسانية . قسم اللغة الإنجليزية . جامعة ديالى . جمهورية العراق.
6. أ.د. نبيل محمد صالح العبيدي . عميد كلية الدراسات العليا . الجامعة اليمنية . الجمهورية اليمنية.
7. أ.د. نزهة إبراهيم الصبري نائب رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب - المملكة المغربية.
8. أ.د. نصيف جاسم أسود سالم الأحبابي . كلية التربية للعلوم الإنسانية . قسم الجغرافية . جامعة تكريت . جمهورية العراق.
9. أ.د. نورة محمد مستغفر . أستاذ التعليم العالي مؤهل، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، المملكة المغربية.
10. أ.د. هاله خالد نجم - رئيس قسم الترجمة . كلية الآداب - جامعة الموصل - جمهورية العراق.
11. أ.د. وسن عبد المنعم ياسين - أستاذ الأدب العربي - كلية التربية للعلوم الإنسانية . جامعة ديالى . جمهورية العراق
12. أ.د. محمد نيهان إبراهيم رحيم الهيتي - علوم اسلامية - جامعة الانبار - العراق
13. أ.د. إيمان عباس على حسن الخفاف - عميد كلية التربية الأساسية . الجامعة المستنصرية ، جمهورية العراق.
14. أ.د. برزان ميسر حامد أحمد الحميد . كلية التربية للعلوم الإنسانية . جامعة الموصل . جمهورية العراق.
15. أ.د. تارا عمر أحمد - كلية العلوم السياسية . جامعة السليمانية . جمهورية العراق
16. أ.د. تحرير علي حسين علوان - كلية الفنون الجميلة - جامعة البصرة - جمهورية العراق.
17. أ.د. حسين عبد الكريم أبو ليله . وزارة التربية والتعليم . فلسطين.

18. أ.د. خليفة صحراوي. رئيس قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة باجي مختار عنابة. الجمهورية الجزائرية.
19. أ.د. داود مراد حسين الداودي. دكتوراه العلوم السياسية. مدير وحدة البحوث والدراسات. جامعة القادسية. كلية القانون. جمهورية العراق.
20. أ.د. راشد صبري محمود القصبي- أستاذ التخطيط التربوي واقتصاديات التعليم بكلية التربية. جامعة بورسعيد. جمهورية مصر العربية.
21. أ.د. صفاء محمد هادي - الجامعة التقنية الجنوبية - الكلية التقنية الإدارية – البصرة الاختصاص العام دكتوراه ادارة الأعمال.
22. أ.د. سندس عزيز فارس الفارس- خبير تربوي- عميد كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في الاكاديمية الأمريكية. جمهورية العراق.
23. أ.د. عدنان فرحان الجوراني. أستاذ الاقتصاد. جامعة البصرة. جمهورية العراق.
24. أ.د. غادة غازي عبد المجيد- أستاذ في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى. جمهورية العراق.
25. أ.د. ماجدولين محمد النهبي- كلية علوم التربية. جامعة محمد الخامس. الرباط، المملكة المغربية.
26. أ.د. ماهر إسماعيل صبري محمد يوسف- أستاذ ورئيس قسم المناهج وطرق التدريس وتكنولوجيا التعليم ، رئيس رابطة التربويين العرب. كلية التربية. جامعة بنها. جمهورية مصر العربية.
27. أ.د. ماهر مبدر عبد الكريم العباسي. نائب عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة ديالى. جمهورية العراق.
28. أ.م.د. محمد ماهر محمود الحنفي. رئيس قسم أصول التربية. كلية التربية. جامعة بورسعيد. جمهورية مصر العربية.
29. أ.م.د. عبد الباقي سالم – تدريسي في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة – جامعة بابل- جمهورية العراق.
30. أ.م.د. آوان عبد الله محمود الفيضي. دكتوراه قانون خاص. كلية الحقوق. جامعة الموصل. جمهورية العراق.

أعضاء الهيئة الاستشارية

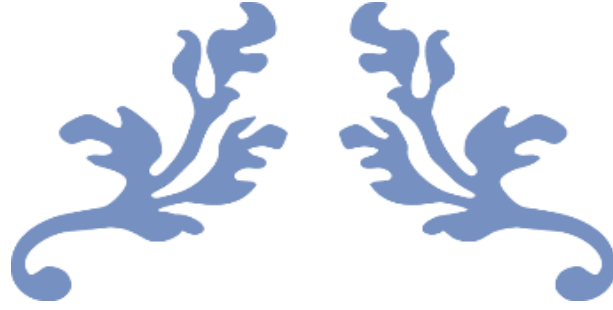
1. أ.م.د. آرام نامق توفيق . كلية العلوم . جامعة السليمانية . جمهورية العراق.
2. م. د. بلال حميد داوود- أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – مدير المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث- المملكة المغربية.
3. د. جميلة غريب . قسم اللغة العربية و آدابها . جامعة باجي مختار . عناية . الجمهورية الجزائرية .
4. أ.د. حورية ومان . أستاذ التاريخ المعاصر . جامعة محمد خيضر . بسكرة الجمهورية الجزائرية .
5. أ.د. خالد عبد القادر التومي- باحث في المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية . ليبيا .
6. أ.د. رائد بني ياسين- عميد كلية الأعمال . قسم نظم المعلومات . الجامعة الأردنية- فرع العقبة . المملكة الأردنية الهاشمية .
7. أ.م.د. رشيدة علي الزاوي- أستاذ التعليم العالي . المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين . الرباط . المملكة المغربية.
8. أ.م.د. رضا قجة . علم الاجتماع – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجمهورية الجزائرية.
9. د. صفاء محمد هادي هاشم- معاون عميد الشؤون الادارية والطلبة . كلية التقنية الإدارية . جمهورية العراق.
10. أ.د. كامل علي الويبة- رئيس جامعة بنغازي الحديثة – ليبيا .
11. أ.د. علي سموم الفرطوسي . كلية التربية الأساسية . الجامعة المستنصرية . جمهورية العراق .
12. د. حدة قرقور . كلية الحقوق . جامعة محمد بوضياف . المسيلة . الجمهورية الجزائرية .
13. أ.د. مازن خلف ناصر . كلية القانون . جامعة المستنصرية . جمهورية العراق .
14. د. محمد عيد السريحي . مستشار وعضو مؤسس لجمعية البيئة السعودية . المملكة العربية السعودية .
15. أ.م.د. محمد عبدالفتاح زهري- رئيس قسم الدراسات الفندقية- كلية السياحة والفنادق – جامعة المنصورة- جمهورية مصر العربية.
16. م.د. محمد مولود امنكور . كلية العلوم الإدارية والمالية والاقتصادية . الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب .
17. م.د. مروة إبراهيم زيد التميمي . كلية الكنوز . الجامعة الأهلية . جمهورية العراق .

18. أ.م.د. هلال قاسم أحمد المريسي. عميد الشؤون الأكاديمية الأمريكية للتعليم العالي والتدريب.

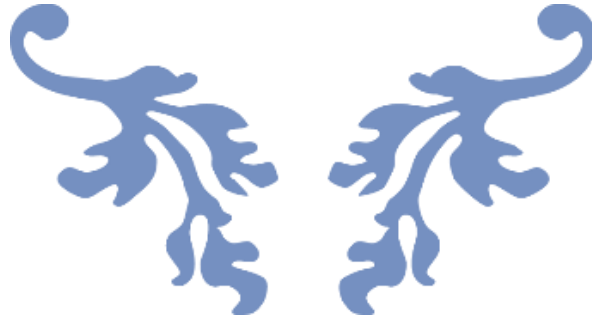
جامعة العلوم الحديثة. الجمهورية اليمنية.

19. أ.د. نادية حسين العفون، كلية التربية للعلوم الصرفة. ابن الهيثم- جامعة بغداد، جمهورية

العراق.



مقال العدد



بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله على فضله ونعمته ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله ، أما بعد

يسرنا أن نقدم لكم العدد 24 بجزئيه الأول والثاني ، من المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الذي يضم مجموعة من البحوث العلمية المتميزة التي شارك بها باحثون من مختلف دول العالم. يشتمل هذا العدد على أعمال بحثية مقدمة في المؤتمر العلمي الدولي العشرون، بالإضافة إلى مجموعة من الدراسات التي جاءت خارج نطاق المؤتمر، مما يعكس تنوعاً علمياً وثراءً في المواضيع المطروحة.

لذا دأبت هيئة التحرير على تطبيق معايير التقييم العلمية شأنها بذلك شأن المجالات الرصينة المثيلة في حقل التخصص والنشر العالمي ، فعرضت البحوث على محكمين لهم مكانتهم العلمية في فضائهم العلمي ، ويعودون لجنسيات مختلفة ، ومن جامعات متباينة ، منها الجامعات الحكومية التي ترجع بمرجعيتها إلى بلدان العالم المختلفة ، فضلا عن الاستعانة بخبراء من جامعات خاصة اثبتوا بشكل علمي أنهم أهل للتحكيم واطلاق الحكم على علمية البحث المقدم للمجلة ، وصلاحيته للنشر.

حرصت هيئة التحرير على عرض البحث المقدم من لدن كاتب البحث على محكمين اثنين ، وتقديمه لهما ، بتوقيعات زمنية محددة ، فأن اتفق المحكمان على صلاحية البحث ، تم تحويله إلى مرحلة التنضيد والنشر ، بعد التأكد من دقة تطبيق تعليمات النشر الخاصة بالمجلة . وإن اختلف المحكمان في التقييم المطلق على البحث المقدم ، حول البحث لمحكم ثالث ، فأن قبله ، تم تحويله للمرحلة الثانية التنضيد والنشر ، وإن رفضه ، عندئذ يرفع البحث من قائمة البحوث المعدة للنشر.

لم يختلف منهج هيئة التحرير في آلية قبول البحوث ، وعذا للنشر عن غيرها من المجالات العلمية ؛ لأن الرصانة العلمية هو هدفها الذي تسعى للوصول إليه ، واعتمدت نظاما دقيقا في استقبال البحوث ، وتقديمها للمقومين ، واشعار الباحثين بقبول النشر ، وفقا لأمر إداري يصدر عن المجلة ، يعد مستندا في صحة نشر البحث في المجلة ، مع تثبيت العدد الذي نشر فيه مذيلا بإمضاء رئيس التحرير.

احتوى هذا العدد في طياته مجموعة من البحوث ، والتي تحمل موضوعات متنوعة ، ذات الطابع الإنساني والاجتماعي ، ضمن تخصص المجلة ، وكل الأفكار التي طرحت تحمل الرؤى العلمية وأبعادها ، والنظرية التي يؤمن بها أصحاب تلك الأفكار ، لذلك كانت المجلة دقيقة ؛ لأجل عرض تلك الأفكار من دون التدخل فيها ، مع متابعة كونها لا تؤدي إلى خلق الفوضى العلمية ، أو تحريض للعنف ، أو للتطرف العلمي والمجتمعي.

نحن فخورون أيضا أن هذا العدد يصادف حدثاً مميزاً في مسيرة المجلة، حيث تم اعتمادنا من قبل المكتبة الوطنية المغربية للحصول على الاعتماد القانوني، ومنحها التسلسل الرقمي الدولي (ISSN) للنسخة الإلكترونية وأيضاً للنسخة الورقية. هذا الإنجاز يعكس التزامنا بتقديم محتوى علمي رصين ومتنوع، ويسهم في تعزيز مكانة المجلة كمصدر مرجعي معترف به عالمياً.

هيئة تحرير المجلة

23/09/2025 الرباط - المملكة المغربية

الملاحظة القانونية

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر عن وجهة نظر المجلة ، بل عن رأي كاتبها

فهرس الموضوعات	
11.....	د. فائز عزيز علي تاريخ التفسير الفقهي وتطوره
35.....	م. د. زيد ياسين سليمان الأحكام الفقهية المستنبطة من آيات الربا (دراسة فقهية)
52.....	م. د. منى ياسين طه الرفاعي الصمدية الربانية ومقتضياتها في العقيدة الإسلامية
69.....	ا. م. د. سعد قدوري الخفاجي / م. م. دعاء عبد الكريم رحيم الذكاء الاصطناعي وعلاقته بمهارة التدريس عند مدرسي المرحلة الثانوية
83.....	أ. د. عبد المهدي كاظم ناصر/ م. م. حيدر صلاح كاطع تشظي الشخصية القانونية للفرد بين الواقع والفضاء الرقمي: نحو تأسيس هوية مدنية إلكترونية (دراسة تحليلية)
104.....	م. م. عبد الرحمن وفي جنك اثر استراتيجية التعارض المعرفي في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم
124.....	م. هالة مهدي الدليمي النشاط التجاري البحري وتأثيره على الاقتصاد الكويتي (1814 – 1914 م)
144.....	م. د. حسام الدين محمد عبد المنعم مفهوم الهوية وتجلياته في الفيلم السينمائي المعاصر

تاريخ التفسير الفقهي وتطوره

د. فائز عزيز علي

استاذ في كلية الالهيات قسم اللغة العربية جامعة

وان يوزيو نجويل - وان - تركيا

: faezazizali@yahoo.com

00905373513905

الملخص

لأن التفسير الفقهي يركز على آيات الأحكام، فقد اختلف العلماء في تحديد عددها. بعضهم يقدرها بخمسمائة آية، بينما يراها آخرون مائة آية، في حين يرى بعضهم أنه لا يمكن حصرها بعدد معين، مثل الشوكاني، حيث يعتمد الاستنباط على فهم العالم وطاقته في التعامل مع النصوص وارتباطها بالواقع.

كما ذكرت في المقدمة، نشأ علم التفسير الفقهي مع نزول القرآن الكريم، وكان النبي ﷺ هو أول من فسر القرآن فقهياً، مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. فقد كان يفسر القرآن من خلال السنة القولية والفعلية. وبعده، اجتهد الصحابة في استنباط الأحكام الشرعية من القرآن في قضايا عصرهم.

ازدادت الحاجة إلى التفسير الفقهي مع تقدم الزمن وتوسع الرقعة الإسلامية، مما جعل القرآن الكريم المرجع الأول للمجتهدين في التشريع.

في هذه الدراسة، سنتناول بشكل مختصر آيات الأحكام والتفسير الفقهي للقرآن الكريم، كنقطة انطلاق توضح الأسس الفقهية للتعامل مع كتاب الله تعالى، راجين أن تكون هذه المعلومات مفيدة لطلاب العلم وأن تُضاف إلى ميزان أعمالنا يوم القيامة.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الفقه، القرآن، التاريخ، التطور

**The History and Evolution of The Explanation of Fiqh
The History and Development of Jurisprudential Interpretation
Dr. Faiz Aziz Ali
Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Theology,
Van University
Van Yüzü Neçwel, Van, Türkiye**

Abstract

Jurisprudential interpretation (Tafsir Fiqh) is a type of interpretation that focuses on studying the verses of legal rulings and how to derive rulings from them. This type is characterized by precise understanding and profound deduction, allowing the mind to be used in discussion and weighing up different opinions. This makes it of particular importance and warrants careful attention.

The roots of this interpretation go back to the time of the Prophet (peace and blessings be upon him), who interpreted many verses of the Qur'an and explained their meanings to the Companions. The special classification of interpreting verses of legal rulings, or fiqh interpretation, has emerged from the era of codification until the modern era, making it an independent branch within the sciences of the Holy Qur'an, despite being part of the general fields of interpretation.

It is well known that the Holy Qur'an is the primary source of Islamic legislation, and that legal rulings are based on the Qur'an, the Prophet's Sunnah, sound ijtiḥad based on legal evidence, or the consensus of the nation's jurists. Therefore, engaging in interpreting the Qur'an and deriving rulings from it is considered one of the most important sciences, as it clarifies God's intentions for His servants and the rulings that are required for worship.

Because jurisprudential interpretation focuses on the verses of legal rulings, scholars have differed on determining their number. Some estimate it at five hundred verses, while others believe it is one hundred. Others, such as al-Shawkani, think it cannot be limited to a specific number, as deduction depends on the scholar's understanding and ability to deal with texts and their connection to reality.

As I mentioned in the introduction, the science of jurisprudential interpretation emerged with the revelation of the Holy Quran. The Prophet (peace and blessings be upon him) was the first to interpret the Quran jurisprudentially, based on the verse: "And We have sent down to you the message that you may

make clear to the people what was sent down to them." He interpreted the Quran through the words and actions of the Sunnah. After him, the Companions strove to derive legal rulings from the Quran to address the issues of their time.

The need for jurisprudential interpretation increased with the progression of time and the expansion of the Islamic sphere, making the Holy Quran the primary reference for those who exercise legal scrutiny in legislation.

In this study, we will briefly discuss the verses of the rulings and the jurisprudential interpretation of the Holy Quran, as a starting point that clarifies the jurisprudential foundations for dealing with the Book of God Almighty. We hope this information will be useful to students of knowledge and will be taken into account on the Day of Judgment as part of our scale of deeds.

Keywords: Interpretation, Jurisprudence, Quran, History, Evolution

. مجال مفهوم التفسير ونشأة التفسير الفقهي وتطوره

في هذا المبحث نحاول دراسة مفهوم التفسير في جميع جوانبه وعلاقة التفسير بالتأويل وأهم الفروق بينهما من الناحية اللغوية والاصطلاحية وتتكلم عن نشأة التفسير الفقهي وتطوره.

1.1. مفهوم التفسير والتأويل

1.1.1. مفهوم التفسير لغة واصطلاحاً

لغةً، يُشتق مصطلح "التفسير" من الجذر "فسر"، الذي يعني البيان والوضوح. ف"فَسَّرَ الشيء" يعني أظهره وبيّنه، ويُعتبر التفسير مرادفاً له. قد يُستخدم التفسير أيضاً بمعنى التأويل. كما يوضح ابن منظور في "لسان العرب" (3412/5)، فإن المعنيين يتقاربان في دلالتهما، إلا أن "الْقَسْرَ" يُستخدم لإظهار المعنى المعقول، وهو أعم من "التأويل". يُستخدم الْقَسْرُ غالباً في الألفاظ، بينما التأويل يُستخدم أكثر في المعاني، كما في تأويل الرؤيا. في العادة، يُستخدم التفسير في مفردات الألفاظ، بينما يُستخدم التأويل كثيراً في الجمل، كما يذكر الأصفهاني في "المفردات في غريب القرآن" (1/636) "كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان 25:33)، أي أحسن إيضاحاً وبياناً، كما أشار أبو السعود في "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" (4/177) "

اصطلاحاً، هناك تعريفات متعددة للتفسير من قبل العلماء، لكنها تتقارب في المعنى والهدف. يُعرف التفسير بأنه "علم يُفهم به كتاب الله المنزل على رسوله محمد ﷺ، ويُبين معانيه ويستخرج أحكامه وحكمه، سواء كان ذلك فهماً حقيقياً أو مجازياً، مثل تفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر." وبالتالي، يُعتبر التفسير في عرف العلماء هو الخوض في إظهار معاني القرآن وبيان فهمه حسب اللفظ أو المعنى الظاهر، كما ذكر السيوطي في "الإنشاد في علوم القرآن" (4/193) "

كما قال أبو حيان: "التفسير علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الفردية والتركيبية، ومعانيها في حالة التركيب. فهو علم شامل يتضمن جميع العلوم، حيث يتناول كيفية النطق بألفاظ القرآن، وهذا يعكس علم القراءات، بالإضافة إلى مدلولات تلك الألفاظ، وهو ما يحتاج إليه علم اللغة" (أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 26/1).

من بين تعريفات العلماء، يُعتبر تعريف الزركشي الأشمل والأكمل، حيث يقول: "التفسير هو علم يُفهم به التنزيل الحكيم المنزل على رسوله محمد ﷺ، من خلال علوم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، لكشف معاني القرآن واستخراج أحكامه ودلالاته" (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 13/1). ويضيف أيضاً: "هو علم يختص بنزول الآية وبيان موقعها من السورة، وقصصها، والإشارات النازلة فيها، وبيان محكمها ومتشابهها، ومفسرها ومجملها، وناسخها ومنسوخها، وترتيب الآيات حسب مكيتها ومدنيها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها" (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 148/2).

مما سبق، يتضح أن التفسير هو فهم مدلول كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ. يشمل هذا العلم معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، بالإضافة إلى علوم اللغة، والصرف، وغيرها من العلوم التي تساعد الإنسان على كشف معاني القرآن واستخراج مكنوناته وفهم أحكامه. لذا، فإن كل ما يساهم في ذلك يُعتبر جزءاً من التفسير.

2.1.1. مفهوم التأويل لغة واصطلاحاً

التأويل في اللغة يُعتبر مرادفاً للتفسير في معانيه الأساسية، حيث يُستخدم للدلالة على معنى "فسر" أو "دبر". كما يُشير الزبيدي في "تاج العروس من جواهر القاموس" (197/1) إلى أن التأويل يعني أن يُفسر الكلام أو يُحسن تنظيمه. ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران 7/3)، حيث يتضح أن التأويل يعني الإظهار والبيان.

أما في الاصطلاح، فقد اختلف العلماء في تحديد معنى التأويل وعلاقته بالتفسير. بعضهم يرى أنهما متطابقان، بينما يفرق آخرون بينهما، ويعتبرون التفسير أعم من التأويل. بعد دراسة آراء العلماء في هذا الشأن، يمكن القول إن التفسير هو كشف المراد من اللفظ المشكل، بينما التأويل يُعنى برد أحد الاحتمالات إلى ما يتوافق مع الظاهر.

التفسير هو علم يبحث في أحوال الكتاب العزيز، ويهدف إلى إخراج المعاني من حالة الخفاء إلى حالة التجلي. في حين أن التأويل ينقل الكلام من موضعه إلى ما يحتاج إلى دليل لإثباته، وإلا لما ترك ظاهر اللفظ. كما يُشير بعض العلماء إلى أن التفسير يكشف المراد من اللفظ المشكل، بينما التأويل يُعنى بإرجاع أحد الاحتمالات إلى ما يتفق مع الظاهر، كما ورد في "التوقيف على مهمات التعاريف" (193/1) للمناوي.

2.1. الفرق بين التأويل والتفسير

إنَّ التأويل يستعمل في المعاني والتفسير في الألفاظ، وهناك فرق آخر بينهما وهو أنَّ التأويل قد كثر استعماله في النصوص الإلهية، وأما التفسير فقد اشتهر استعماله على ألسنة الناس، وثمة فرق آخر وهو أن التأويل يستعمل في الجمل وأما التفسير في الألفاظ، (السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، 4/ 192-195)، وللتأويل معنيان أصليان: الأول: بيان معنى الكلام وتفسيره، سواء وافق ظاهر الكلام أو خالفه، فيكون التأويل بهذا المعنى مرادفاً للتفسير أو متقارباً، وهذا الذي قصده مجاهد وغيره من آية، (الذهبي، التفسير والمفسرون، 15/1)، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، (آل عمران 7/3). الثاني: هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان خيراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به، وإن كان طلباً كان تأويله نفس الشيء المطلوب. (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 289/13).

وثمة فرق بين المعنيين، فعلى الأول يكون التأويل فيه من جملة العلم والكلام، كالتفسير والشرح والإيضاح، ويكون وجود التأويل في القلب واللسان، فله الوجود الذهني واللفظي والرسمي.

وأما الثاني فالتأويل فيه هي الأمور نفسها الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلية، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا نفس طلوعها، بمعنى: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لأصل يقترب به، فالتأويل أخص من التفسير ومتعلق بكلام الله ﷻ، والتفسير أعم يطلق على فهم التنزيل الحكيم وعلى غيره، على الرغم من تقارب معناهما في بعض الأحيان، (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 289/13).

3.1. نشأة التفسير الفقهي وتطوره

نشأ التفسير الفقهي في زمن رسول الله ﷺ، حيث لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم بحاجة ماسة لفهم مسائل الفقه بحكم وجود النبي ومعرفتهم باللغة العربية. وإذا واجهتهم إشكالية، كانوا يرجعون إليه ﷺ لطلب التوجيه.

أنزل الله القرآن الكريم متضمناً آيات وسور تحتوي على أحكام فقهية عديدة، وكان المسلمون في عصر النبي يفهمون تلك الأحكام بناءً على معرفتهم باللغة العربية. أما ما كان يختلط عليهم من معاني، فكانوا يعودون إلى رسول الله ﷺ لتوضيحها. بعد وفاته، واجه الصحابة حوادث جديدة تتطلب استنباط أحكام شرعية صحيحة. وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي يلجؤون إليه لاستنباط هذه الأحكام. ومع ذلك، كان الصحابة أحياناً يتفقون على الحكم المستنبط وأحياناً أخرى يختلفون في المسائل التي يبحثون عن أحكامها، كما أشار الذهبي في "التفسير والمفسرون" (1/95) "

1.3.1. معنى التفسير الفقهي ومراحله

التفسير الفقهي هو النوع من التفسير الذي يجمع الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية من القرآن الكريم ويقدم تفسيرها في مؤلف مستقل. هو أيضاً التفسير الذي يعتمد على استنباط واستخراج الأحكام، ويُعرف بتفسير آيات الأحكام أو تفسير الفقهاء، كما يسميه بعض المؤلفين، وفقاً للقطان في "مباحث في علوم القرآن" (376) "

أما الفقه، فهو علم تُشدد الحاجة إليه نظراً لتعلقه بصلاح الدنيا والآخرة. لذلك، يُعطى صاحب هذا العلم مزيد من التوقير والاحترام، ويُقدّم على غيره من الوعاظ والمتكلمين، كما أشار الغزالي في "جواهر القرآن" (22). ويذكر حاج خليفة أن الأحكام في الشرعيات تُشير إلى الجزئيات الفقهية المستخرجة من الأصول الأربعة المعتمدة، كما ورد في القسطنطيني (1/22)

1.1.3.1 المراحل التي مر بها التفسير الفقهي

المرحلة الأولى: عهد النبوة والصحابة والتابعين

نزل القرآن الكريم رحمةً للناس وتشريعاً لهم في حياتهم، متضمناً أحكاماً فقهية تتعلق بمصالحهم في الدارين. كان الصحابة يفهمون معاني الآيات بناءً على معرفتهم باللغة العربية، وعندما تواجههم إشكالية، كانوا يعودون إلى رسول الله ﷺ. اعتمدوا في استنباط الأحكام الشرعية على القرآن، وإذا لم يجدوا نصاً فيه، نظروا إلى سنة رسول الله ﷺ. وعندما لا يجدون نصاً فيها، كانوا يجتهدون وفق فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله. وفي هذه الحالة، قد يتفقون على الحكم المستنبط أو يختلفون في فهم الآية، مما يؤدي إلى اختلاف في الحكم، كما أشار العبيد في "تفاسير آيات الأحكام ومناهجها" (40) "

ومن الأمثلة على ذلك اختلافهم في كلمة "القرء" في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْزُقْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة 228/2). يُعتبر "القرء" جمعاً لكلمة "قرء"، ويُفهم أن المعنى يشير إلى الطهر، حيث إن المرأة الطاهرة يكون كأن الدم اجتمع وامتنسك في بدنها، كما ورد في "جمل اللغة" للقرظيني (750/1). واختلف العلماء في المعنى المقصود من "القرء" في هذه الآية.

فبعضهم يرى أن "القرء" هو الطهر، وبالتالي يُفهم أن المطلقة لا تخرج من عدتها إلا بعد اغتسالها من حيضتها الثالثة، وهو رأي عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب. بينما يعتقد فريق آخر أن المقصود هو الحيض، مما يعني أن المطلقة تخرج من العدة متى بدأت في الحيضة الثالثة. يعود مصدر الخلاف هنا إلى اختلافهم في فهم ماهية "القرء": أهو حيض كما فهمه ابن مسعود وعمر، أم هو طهر كما فهمه زيد بن ثابت وآخرون، كما أشار الخضري في "تاريخ التشريع الإسلامي" (87-92) "

المرحلة الثانية: قيام المذاهب الفقهية

واصل الصحابة والتابعون استنباط الأحكام بناءً على الموضوعات المعروضة عليهم من القرآن والسنة، مما أسس منهجاً للأئمة والفقهاء الذين جاءوا بعدهم. بدأ هؤلاء الأئمة بتدوين أحكام الشريعة بشكل مفصل، وعندما واجهتهم مسائل جديدة لم يسبق

لأحد الحكم عليها، اتخذ كل إمام أصولاً خاصة لاستنباط الأحكام في مذهبه، حيث يصدر حكمه بناءً على ما يراه صحيحاً ويعززه بالأدلة.

غالبًا ما يتفق العلماء في أحكامهم، لكنهم في كثير من الأحيان يختلفون بناءً على فهمهم للأدلة. على سبيل المثال، قال الشافعي: "إذا صح الحديث فهو مذهبي." ورغم انتقاده لبعض آراء أبي حنيفة، كان يُثني عليه بقوله: "الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة." كما كان يُشيد بمحمد بن الحسن، الذي يُعتبر مناظره الكبير. وهذا يُظهر انتشار روح التقدير بين الفقهاء، حيث كانوا يتبعون نهج أسلافهم من الصحابة والتابعين، كما أشار الخضري في "تاريخ التشريع الإسلامي". (250)

المرحلة الثالثة: ظهور التقليد والتعصب المذهبي:

استمر الوضع بعد الفقهاء والأئمة حتى ظهرت أجيال جديدة باتت تفصل بينهم وبين السلف، حيث انتشرت بينهم روح التقليد والتعصب للأئمة، وشمل ذلك الفقهاء والعامّة. بعد أن كان طالب العلم يبدأ بدراسة القرآن الكريم ورواية السنة، وهما أساس الاستنباط، أصبح في هذه المرحلة يركز على دراسة كتب إمام معين ويتعلم طريقته في استنباط الأحكام. بعد إكمال ذلك، يُعتبر من العلماء الفقهاء، وأصبح بعضهم لا يُجيز لنفسه إبداء رأي يخالف ما أفتى به شيخه أو إمامه. بل تحولت نصرة المذهب والتعصب له إلى سمات بارزة، حيث وُصف إمامهم بصفات تميزه في مجال الفقه والاستنباط.

وقد روي عن أبي عبد الله البو شنجي أنه قال في الإمام الشافعي: "ومن شعب الإيمان حب ابن شافعي - وفرض أكيد حبه لا تطوع، وإني حيائي شافعي وإن مت - فتوصيتي بعدي بأن يتشفعوا" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 73/10). بينما قال الكرخي، أحد المتعصبين لطريقة أبي حنيفة: "كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ." كما روي عن القاضي عياض قوله في الإمام مالك: "فلعنة الله ربنا أعداد رمل - على من رد قول أبي حنيفة." وذكر البعض في وصف مذهب ابن حنبل: "أنا حنبلي ما حييت، وإن مت فوصيتي للناس أن يتحنبلوا" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 134/13).

اشتد الأمر عند بعض المقلدة حتى أصبحوا ينظرون إلى آراء أئمتهم كما ينظرون إلى النصوص الإلهية، حيث كان جهمهم العلمي موجّهًا نحو نصرة مذهب إمامهم والترويج له. بذلوا قصارى جهدهم لإبطال المذهب المخالف وتفنيدّه، مما أدى بهم إلى تأويل آيات الأحكام بما يتماشى مع مذهبهم إن أمكن، أو تفسيرها بطريقة تجعلها لا تصلح أن تُعتبر في صف مخالفهم. وفي بعض الأحيان، كانوا يلجأون إلى القول بالنسخ أو التخصيص إذا سُدت عليهم طرق التفسير (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 506/18). كان للمتعبين وغير المتعبين أثر واضح في التفسير الفقهي. حيث كان المتعبون ينظرون إلى آيات الأحكام من خلال مذهبهم ويطبقونها عليه، بينما كان غير المتعبين ينظرون إليها برؤية خالية من الهوى المذهبي، فينزلونها وفق ما يظهر لهم. ومن خلال هذه المراحل، نشأ التفسير الخاص باستنباط الأحكام الشرعية من آيات الأحكام القرآنية، واختلف المفسرون بين أكثر ومقل، ومنصف ومتعصب، كما أشار الخضري في "تاريخ التشريع الإسلامي". (236)

2.3.1. التفسير الفقهي في عهد الرسول

أنزل الله القرآن الكريم على نبيه ﷺ بلغة عربية فصيحة، فقال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف 2/12)، و﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء

192/26-195). وقد تكفل الله بحفظ القرآن وفهمه، حيث قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قُرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة 17/75-19).

كان من واجب الرسول ﷺ تفسير وبيان ما يلتبس على الصحابة من معاني الآيات، وكان يقول: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه أي سنته" (أحمد بن حنبل، مسند، 12/1). تعتبر هذه الفترة من اللبنة الأساسية في مراحل التفسير الفقهي، حيث كان النبي ﷺ أول مفسر لآيات الأحكام، موضحاً لأصحابه المقاصد من الآيات. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء 105/4).

وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ويعمل بهن" (الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 144/1).

خلاصة القول، لم يواجه الصحابة رضي الله عنهم صعوبة كبيرة في فهم آيات القرآن، لأن رسول الله ﷺ كان بينهم يفسر لهم معانيه ويوضح المراد من الآيات من خلال أفعاله وأقواله. بالإضافة إلى ذلك، كانوا من أهل اللغة التي نزل بها القرآن. ولم يظهر الخلاف إلا نادراً في فهم الآيات والأحكام، حتى بعد مرور الزمن وظهور فرق إسلامية متنوعة، كل منها يفسر القرآن لدعم مذهبه وآرائه.

3.3.1 ما بعد الرسول إلى أيام التدوين

أ: التدوين في عهد الصحابة

بعد وفاة النبي ﷺ، اهتم الصحابة رضي الله عنهم بترتيل وحفظ القرآن وتفسيره، خصوصاً آيات الأحكام التي كانت ضرورية لواقع المسلمين في كل عصر. وظهرت روايات عن كثير منهم تتعلق بتفسير القرآن والعناية ببيانه، كما أنشأوا حلقات لتوضيح القرآن وتفسيره. يقول ابن مسعود: "والذي لا إله غيره، ما من كتاب الله سورة إلا وأنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل، لركبت إليه" (مسلم، صحيح مسلم، 2463).

وروي أبو وائل أن علياً استخلف عبد الله بن عباس في الموسم، فخطب الناس وقرأ سورة البقرة، وفي رواية سورة النور، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والديلم لأسلموا (الطبري، جامع البيان، 36/1). وقد دعا النبي ﷺ للحبر عبد الله بن عباس قائلاً: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" (ابن حجر، 170/1). ووصف عبد الله بن مسعود ابن عباس بقوله: "نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس" (الطبري، جامع البيان، 40/1). كان الصحابة يعتمدون في تفسير آيات الأحكام على القرآن الكريم، ثم ما ورد عن النبي ﷺ، وبعدها على فهمهم واجتهادهم.

واشتهر عدد من الصحابة في مجال التفسير، وخاصة التفسير الفقهي، مثل الخلفاء الراشدين وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري وزيد بن ثابت وعبد الله بن زبير رضي الله عنهم (السيوطي، الإتقان، 233/3).

ب: التفسير الفقهي في عهد التابعين

بعد فتح العديد من البلدان في زمن النبي ﷺ وأصحابه، انتشر أعلام الصحابة والتابعين في مختلف أنحاء الأرض حاملين معهم ما تعلموه من القراءة والعلم. وقد أخذ عدد من التابعين عن الصحابة ونقلوه لمن بعدهم، وأنشأ كل تابع حلقات لعلم القراءات والتفسير والفقه والحديث، مما أدى إلى ظهور مراكز علمية مع معلميهما من الصحابة وتلاميذها من التابعين. ومن أبرز هذه المراكز:

1. مدرسة التفسير بمكة: أسسها ابن عباس رضي الله عنه، حيث كان يجلس لتفسير القرآن لأصحابه من التابعين، موضحاً لهم ما أشكل من مضمونه. وقد كان أعلم الناس بالتفسير هم أهل مكة، مثل مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وغيرهم. كما أخذ أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، وعلماء المدينة مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك وابنه عبد الرحمن (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، 61).
2. مدرسة التفسير بالمدينة: أنشئت هذه المدرسة على يد مجموعة من الصحابة الذين كانوا بارزين في التفسير، مثل علي وعمر وزيد بن ثابت وابن عمر. ومن أشهرهم أبي بن كعب، حيث تلمذ عليه عدد من التابعين كزيد بن أسلم وأبي العالية وابن مسيب ومحمد بن كعب وعطاء بن يسار وغيرهم، بعضهم أخذ عنه مباشرة وبعضهم بالواسطة (الذهبي، التفسير والمفسرون، 1/114).
3. مدرسة التفسير بالعراق: أسسها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وآخرون. وقد بدأ التفسير في الكوفة منذ زمن عمر رضي الله عنه، حين أرسل ابن مسعود معلماً ووزيراً، فأخذ عنه أهل العراق تفسيره وقراءته (الذهبي، التفسير والمفسرون، 1/118). ومن أبرز التابعين في هذه المدرسة: علقمة بن قيس، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وعامر الشعبي، والأسود بن يزيد النخعي، والحافظ قتادة بن دعامة الدوسي (عبد المشهداني، سفيان الثوري وأثره في التفسير، 244-245).

4.3.1. في عهد التدوين إلى وقت الجمود والتعصب

بدأت هذه المرحلة في نهاية عهد بني أمية وبداية زمن العباسيين، وتميزت بتعدد المناهج. كانت الخطوة الأولى هي تدوين أحاديث رسول الله ﷺ، حيث كانت الأحاديث متنوعة في موضوعاتها، وكان التفسير أحد هذه الموضوعات التي تناولتها الأحاديث، وهو ما تم التركيز عليه في بداية ذلك العهد (العبيد، تفاسير آيات الأحكام، 29).

الخطوة الأولى: قبل ذلك، كان التفسير يُتناقل عن طريق الرواية، حيث كان الصحابة يروون عن رسول الله ﷺ، وبعضهم يروي عن بعض، والتابعون يروون عن الصحابة، وهكذا. هذه كانت الخطوة الأولى في التفسير.

الخطوة الثانية: بعد عصر الصحابة والتابعين، بدأ تدوين أحاديث رسول الله ﷺ، والتي كانت تشمل أبواباً متنوعة، بما في ذلك التفسير. ومع ذلك، لم يُخصص تأليف خاص لتفسير القرآن سورةً سورةً وآيةً آيةً. قام بعض العلماء بجمع الأحاديث من مختلف الأمصار، إلى جانب ما رُوي في تلك البلدان من تفاسير منسوبة إلى النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين. ومن هؤلاء العلماء: يزيد بن هارون السلمي، وشعبة بن الحجاج، ووكيع بن الجراح، وسفيان بن عيينة، وروح بن عباد البصري، وعبد الرزاق بن همام، وآدم بن أبي إياس، وعبد بن حميد، وغيرهم. وكان هؤلاء جميعاً من أئمة الحديث، حيث كان جمعهم للتفسير يُعتبر جزءاً من أبواب الحديث، ولم يكن جمعاً مستقلاً للتفسير. ومع ذلك، لم يصل إلينا شيء من هذه التفاسير، لذا لا يمكننا الحكم عليها (الذهبي، التفسير والمفسرون، 1/104).

الخطوة الثالثة: ثم انتقل التفسير إلى مرحلة جديدة، حيث انفصل عن الحديث وأصبح علماً مستقلاً. تم وضع تفسير لكل آية من القرآن وفق ترتيبها، على يد مجموعة من العلماء مثل ابن جرير الطبري، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ بن حبان، والحاكم، وأبو بكر بن مردويه، وغيرهم من الأئمة المختصين. في هذه المرحلة، استقل التفسير عن باقي المصنفات وانفرد

بالتدوين. ومع ذلك، استمر المحدثون بعد هذه المرحلة في اتباع نمط الخطوة الثانية، حيث كانوا يروون ما نقله السابقون من التفسير ضمن أبواب خاصة من الحديث، معتمدين على ما ورد عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين (الذهبي، التفسير والمفسرون، 145/1).

2. المذهب الفقهي: مفهومه ومجالاته

في هذا الموضوع نحاول بيان مفهوم المذهب وخلاصة تأثير المذهبية في التفسير والنزعة المذهبية وأثرها في تفسير آيات الأحكام قديماً وحديثاً، وأهم مؤلفات تفسير آيات الأحكام، وعدد آياته وآراء العلماء في ذلك.

1.2 مفهوم المذهب لغة واصطلاحاً

المذهب لغة: يشير إلى الطريقة التي يُتبعها الشخص، ويُقال "ذهب فلان مذهباً سيئاً" أي تبع طريقة سيئة (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 752/1). وبأني المعنى أيضاً للدلالة على الزمن الماضي، وقد ورد في القرآن الكريم في عشرين صورة. كما تُستخدم كلمة "الذهب" في معانٍ مختلفة (الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 12/3-22). أما المذهب الاعتقادي، فيعني تقديم دليل للمطلوب وفق طريقة أهل الاعتقاد أو استعراض قرينة لاستنتاج المطلوب (الجرجاني، كتاب التعريفات، 802).

أما اصطلاحاً: يُشير المذهب إلى الأحكام العملية الشرعية التي يتبناها أئمة العلوم الشرعية. وأصبح يُعرّف في الأوساط العلمية بما يذهب إليه إمام من الأئمة في أحكامه الاجتهادية (السنوسي، بغية المقاصد وخلاصة المراسد، 61).

للمذهب معنيان رئيسيان:

1. المعنى الأول: يُشير إلى اجتهاد الإمام في معرفة الأحكام الشرعية. وهو المفهوم الذي عُرف به السلف من هذه الأمة،

سواء في عصر الصحابة والتابعين أو في عصر أئمة الاجتهاد. فمذهب صحابي معين أو مذهب إمام أو مذهب أهل

أمصار يمثل اجتهادهم في معرفة الأحكام، ولهذا فإن المذهب يحمل حقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام معتبر (القرطبي،

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، 51/1).

وقد ورد عن الأئمة الأربعة قولهم: "إذا صح الحديث فهو طريقي"، مما يعني أنه إذا ثبت الحديث وكان مخالفاً لطريقته، فعلى المسلم

أن يعمل بالحديث ويترك قوله، دون أن يُخرج ذلك المقلد عن كونه مالكيّاً أو حنفيّاً (ابن عابدين، الدر المختار، 64/1).

بناءً على هذا المعنى، كان المتقدمون لا يرون تقليد الأئمة جائزاً إلا للعامي الذي لا يعرف طرق الأحكام الشرعية. وقد خصص

الخطيب البغدادي في مؤلفه "الفتاوى والمتفق" أبواباً لهذه المسألة، مثل باب آراء المجتهدين، وباب التقليد، وباب من يُجوز له التقليد

ومن لا يُجوز (الخطيب البغدادي، الفتاوى والمتفق، 85/2-86).

2. المعنى الثاني: يتعلق بما يجري به الفتوى، سواء كانت فتاوى المفتين وفق قواعد المذهب أو فتاوى المنسويين إليه. وفي هذا

السياق، يُشير بعض العلماء إلى أن المصطلح يُستخدم في الفتوى بمعنى ما يُرجح من أقواله أو من آراء أصحابه، كأن

يُقال "الحج عرفات" للدلالة على الأهمية. وسُئل ابن عرفة عن إمكانية القول إن أقوال أصحاب الإمام تُعتبر من مذهبه،

فأجاب: "إن كان المستخرج لها عارفاً بقواعد الإمام وأحسن مراعاتها، صح نسبتها للإمام وجعلها من مذهبه، وإلا

نسبت لقاتلها" (السنوسي، بغية المقاصد، 81).

لقد بالغ بعض المتأخرين في تقدير أقوال الإمام وأصحابه، معتبرين أنها تمثل مذهبه وداعين إلى التعويل عليها والاستدلال بها. قال ابن فرحون في مقدمة "الديباج المذهب": "فإن أولى ما أتحف به الطالب اللبيب، ودون للأديب الأريب التعريف بحال من جعل تقليده بينه وبين الله حجة، واتخذ اقتفاء هديه في الحلال والحرام أوضح محجة" (ابن فرحون، الديباج المذهب، 3/1). هذا المعنى للمذهب لم يكن معروفاً لدى الأئمة الذين تنسب إليهم المذاهب الفقهية، ولم يكن موجوداً بين المسلمين في عصر السلف الصالح أو في زمن أئمة الاجتهاد من أهل السنة والجماعة (عمر الجيادي، مباحث في المذهب المالكي في المغرب، 9). إذ أن الأصل لديهم هو: "ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ" (ابن عبد البر، التمهيد، 511/2). وأي قول يخالف الكتاب والسنة النبوية الصحيحة ليس بمذهب لهم، ولا يجوز تقليده أو الفتوى به. يقول القرائي: "كل شيء أفتى فيه المجتهد وخرجت فتياه على خلاف الإجماع أو القواعد أو النص أو القياس الجلي السالم من المعارض الراجح، لا يجوز لمقلده أن ينقله للناس أو يفتي به في دين الله تعالى. فإن هذا الحكم لو حكم به حاكم لنقضناه، وما لا نقره شرعاً بعد أن يتقرر بحكم الحاكم أولى أن لا نقره شرعاً إذا لم يتأكد، وهذا لم يتأكد فلا نقره شرعاً. والفتيا بغير شرع حرام، والفتيا بهذا الحكم حرام وإن كان الإمام المجتهد غير عاصي به بل مثاباً عليه، لأنه بذل جهده كما أمر به. وقد قال النبي ﷺ: "إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران" (أحمد بن حنبل، أصول السنة، 293/6). بناءً على ذلك، يجب على أهل العصر مراجعة مذاهبهم، فكل ما وجدوه من هذا النوع يحرم عليهم الفتوى به. ورغم أن كل مذهب قد يحتوي على مثل هذا، إلا أن معرفته تتطلب فهم القواعد والقياس الجلي والنص الصريح وعدم وجود معارض لذلك، وهذا يعتمد على تحصيل أصول الفقه والتعمق فيه (القرائي، الفروق في أنوار البروق، 901/2).

أما المعنى الآخر للفظ "المذهب"، فيشير إلى رأي المقلدين لمذهب إمام أو فقيه، حيث يزعمون أن فقيهم هو الشريعة، ويمنعون نسبة أي مكرومة أو فضيلة إلى غير إمامهم، حتى لو بلغ أحدهم درجة الاجتهاد وتحديث في المسألة دون الارتباط بشيخهم، يُتهم بالشذوذ، ويوجه إليه النقد، ويُعتبر خارجاً عن الصحيح ومفارقاً لجماعة أهل السنة، وذلك دون استدلال بدليل، بل بناءً على اعتبار عامي (الشاطبي، الاعتصام، 843).

2.2. النزعة المذهبية وأثرها في تفسير آيات الأحكام قديماً

إن المفاسد التي تضر ببركة الله وتفرق كلمة المسلمين عديدة جداً، والإحاطة بها قد تكون صعبة. وقد أشرنا هنا إلى بعض ما يتبادر إلى الذهن. ومن أعظم ما أصاب دين الإسلام من المصائب والمفاسد التي لا تقارن في الضرر أمران رئيسيان: الأمر الأول: هذه المذاهب التي أفقدت الإسلام بحجته وغيّرت رونقه، مما أدى إلى تهميشه. وقد ذكرنا ما يكفي عن هذا الموضوع، فإذا كان هناك من لديه الفهم الكافي للرجوع إلى الحق والابتعاد عن الباطل، فسيكون ذلك كافياً. الأمر الثاني: الاعتقادات التي نشأت في هذه الأمة بشأن الأموات الصالحين، حيث أصبح بعض الناس يقرنون من يعتقدون به من الأموات بمن يقلدونه، فيقولون: "إمامي في المذهب هو فلان، وشيخي في الاعتقاد والمحبة هو فلان" (الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، 212/1).

كما أن المقلدين لمذهب إمام معين يعتقدون أن إمامهم هو الشريعة، ويستبعدون أن تُنسب أي فضيلة إلى غير إمامهم. فإذا جاءهم من بلغ درجة الاجتهاد وتحدث في المسائل دون ارتباط بإمامهم، اتهموه بالشذوذ ووجهوا إليه النقد، واعتبروه خارجاً عن الجادة ومفارقاً للجماعة، دون تقديم أي دليل، بل بناءً على مجرد العادة العامة (الشاطبي، الاعتصام، 864/2). لذلك، نرى أن تأثير المذهب الفقهي على تفاسير آيات الأحكام لدى المتقدمين، سواء في عصور الاجتهاد أو في العصور المتأخرة، لم يكن دائماً سلبياً. وعلى الرغم من أن هذا الجانب هو الأكثر وضوحاً للمتابع، إلا أن كتب التفسير التي صُنفت من قبل المتعصبين للمذهب تحتوي على جوانب إيجابية وأخرى سلبية.

3.2. خلاصة تأثير المذهبية في التفسير قديماً

تناولت بعض الدراسات الدينية المعاصرة على الأثر السلبي للمذهبية الفقهية في مجال تفسير آيات الأحكام في التنزيل الحكيم، فكثير من المفسرين الذين اشتهروا بالالتزام بمذهب معين كانوا يتجاوزون رجحان مذهبهم إلى تعصب مذموم، وبعد إبراز بعض الجوانب الإيجابية عند المتقدمين في تناول آيات الأحكام توجد بعض الآثار السلبية للمذهب الفقهي عند القدامى، وتظهر هذه الآثار خاصة من خلال حملة متعصبي المفسرين على مخالفهم في تفسير ما يخالف المشهور من مذاهبهم، (الذهبي، التفسير والمفسرون، 434/2).

وأشهر ما وصلنا إليه من كتب التفسير الفقهي:

تفسير أبي نصر محمد الكلبي، (الذهبي، التفسير والمفسرون، 434/2).

الأحكام، لبكر بن العلاء المالكي، (الداوودي، طبقات المفسرين، 149/2).

أحكام القرآن الكريم، للإمام الشافعي، جمعه من مصنفاته الامام ابو بكر البيهقي (ت458هـ)، (ابن فرحون، الديباج المذهب، 314/1).

أحكام القرآن الكريم، ليحيى بن عبد الله بن بكير، (ابن فرحون، الديباج، 259/2).

أحكام القرآن، لأبي الحسن علي حجر السعدي.

أحكام القرآن لأبي اسحاق اسماعيل البصري، وتوالى التأليف في الأحكام بعد القرن الثالث الهجري، فصنف فيها من العلماء، (الداوودي، طبقات المفسرين، 106/1).

أبو الحسن بن موسى القمي الحنفي.

أبو جعفر احمد الطحاوي.

أبو محمد القاسم بن اصبغ.

10- تفسير الجصاص، لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص، (الداوودي، طبقات المفسرين، 56/1).

11- ابو يعلي محمد بن الحسين الحنبلي، (ابن كثير، البداية والنهاية، 94-95).

12- ابو الوليد الباجي، (ابن فرحون، الديباج، 385/1).

13- أبو الحسن علي بن محمد الكيا الهراسي.

14- أبوبكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري.

15- أبو عبد الله عبد المنعم الغرناطي.

16- محمد بن احمد الأنصاري القرطبي.

17- أبو العباس احمد الحلبي.

وقد قام بعض فقهاء المفسرين باختصار كتب تفسير آيات الأحكام، وأشهرها:

- مختصر أحكام القرآن، لأبي محمد مكي القيسي.

- تلخيص أحكام القرآن، لجمال الدين أحمد بن سراج، (الداودي، طبقات المفسرين، 331/22).

إن أكثر المؤلفات رواجاً بين العلماء قديماً وحديثاً في تفسير آيات التنزيل الحكيم: هي أحكام القرآن، لأبي بكر الجصاص الحنفي، وأحكام القرآن، لأبي يعلى الحنبلي، وأحكام القرآن الكريم، للكبيا الهراسي الشافعي، وأحكام القرآن لأبي بكر بن العربي المالكي، وأكثرها موسوعية، كتاب: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

4.2. المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الأحكام حديثاً

بعد التمعن في مختلف ما كُتب حول تفسير آيات القرآن الكريم في العصور السابقة، نلاحظ أن تفاسير تلك العصور خلت من التعصب لمذهب فقهي معين، حيث نادراً ما نجد مؤلفاً يتبنى تعصباً لمذهب محدد في المسائل الفقهية. وينطبق هذا أيضاً على أعلام المفسرين المعاصرين الذين ألفوا تفاسير علمية شاملة لجميع سور وآيات القرآن، أو الذين أسهموا في تأليف تفاسير خاصة بآيات الأحكام. فقد اتسمت أعمالهم بنفس النظرة غير المتحيزة تجاه المذاهب الفقهية، حيث لم يلتزموا بمذهب معين في استنباط الأحكام، بل نظروا إلى جميع المذاهب السنية بعين واحدة، وقارنوا بينها، ووازنوا بين استنباطاتها. ومن الحقائق المهمة أن تأثير المذهب الفقهي في تفاسير المتقدمين، سواء في عصور الاجتهاد أو في العصور المتأخرة التي سادت فيها التقليد، لم يكن دائماً سلبياً، رغم أن هذا الجانب هو الأكثر وضوحاً للمتابعين. ففي كتب التفسير التي ألفها المتعصبون للمذهب، توجد جوانب إيجابية وأخرى سلبية.

كما أن للمذهبية أثراً في التفاسير التي تناولت جميع آيات القرآن، بما في ذلك آيات الأحكام وآيات الأدب والقصص وغيرها. وكذلك في المصنفات التي خصصها المتقدمون لآيات الأحكام فقط. ومن المهم إبراز تأثير المذهبية في التفسير لدى القدامى.

تتمثل الآثار الإيجابية للتقيد المذهبي في تفسير الأحكام فيما يلي:

1. التوسع في أبحاث الفقه المقارن: حث الخوض في تفسير آيات الأحكام على إنتاج أبحاث مفصلة في الفقه العام المقارن.

2. التفصيل في جزئيات الأحكام: قام المفسرون بمتابعة جزئيات الأحكام ودقائق الموضوعات ضمن مذاهبهم.

3. تركيز الفكر ودقة النظر: ساهمت المذهبية في تعزيز تركيز فكر المفسرين ودقة تحليلاتهم.

5.2. حاضر الاتجاه الفقهي في التفسير

انتشر التفسير الفقهي بشكل واسع في الحضارة الإسلامية، حيث أبدع المفسرون الفقهاء في القرون الماضية، مما أدى إلى إنتاج متميز في مجال الخلاف المشروع والفروع الدقيقة. لكن مع تراجع الهمم وانتشار التقليد بين العامة والفقهاء، تضاعف الإبداع في تفسير آيات الأحكام، وبدأ المفسرون يوجهون اهتمامهم نحو التراث الذي خلفه المتأخرون، مما قطع صلتهم بالمصادر التي أعدها

الفقهاء الأوائل. وبدأت مرحلة الفتور من نهاية القرن السابع حتى بداية العصور الحديثة، حيث اتجهت جهود المتأخرين نحو محاولة إحياء الحركة العلمية التي أبدع فيها السابقون في مصنفاتهم في مختلف العلوم (السايس، تاريخ التشريع الإسلامي، 117).

مؤلفات المعاصرين في أحكام القرآن:

ارتبطت معظم المؤلفات المعاصرة في التفسير الفقهي بالمقررات الجامعية. ومع التوسع الذي شهدته مؤسسات التعليم العالي في الدول العربية، وإنشاء كليات وأقسام متخصصة في العلوم الإسلامية، زادت الحاجة إلى مؤلفات مبسطة في علم التفسير لتسهيل دراسة هذا العلم على الطلاب.

نظرًا لأن تدريس مادة التفسير كان موكلاً أساساً لكليات الشريعة، فقد تم التركيز على آيات الأحكام. واستدعت مناهج التدريس توزيع المادة العلمية على سنوات الإجازة، مما دفع بعض مدرسي التفسير في هذه الكليات إلى تهذيب وتنقيح محاضراتهم بعد جمع المادة من مصادرها على مدى سنوات من التدريس.

ومن أقدم المؤلفات المعاصرة في آيات الأحكام كتاب "نيل المرام في تفسير آيات الأحكام" لمحمد صديق القنوجي، وهو كتاب مبسط جدًا لم يُؤلف لأغراض أكاديمية، على عكس معظم الكتابات المعاصرة في هذا المجال. ومع ذلك، يُعتبر كتابًا تعليميًا كما يوضح ذلك مقدمة مؤلفه (أبو الطيب، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، 1-2).

ب: من كتب التفسير الفقهي المرتبطة بكليات الدراسات الشرعية:

1. **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام:** ألفه الشيخ محمد علي الصابوني عندما كان مدرسًا لمادة التفسير بكلية الشريعة

والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة. تم نشر أول طبعة له عام 1391هـ، وسرعان ما حقق الكتاب رواجًا بين طلاب الإجازة بفضل أسلوبه المتميز.

2. **تفسير آيات الأحكام:** أشرف على طبعته وتنقيحه محمد علي السايس عام 1396هـ. ألفه مجموعة من المؤلفين الذين

عهدوا إلى السايس بالإشراف على العمل، وهو مقرر في كلية الشريعة بجامعة الأزهر.

3. **تفسير آيات الأحكام:** تأليف مناع خليل القطان.

4. **دراسات في تفسير بعض آيات الأحكام:** تأليف كمال جودة أبو المعاطي.

5. **قبس من التفسير الفقهي:** تأليف عبد الرحمن السيد (الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، 49).

ج: عدد آيات الأحكام وخلاف العلماء فيها

اختلف بعض العلماء في عدد آيات الأحكام نتيجة لاختلافهم في الآيات التي يمكن استنباط الأحكام الشرعية منها. إذ يتضمن القرآن الكريم الأحكام والقصص والعقائد والمواعظ والأخلاق وغيرها. وقد استنبط العلماء من تلك الآيات أحكامًا شرعية، معتبرين أن القرآن وحدة متكاملة يشد بعضه بعضًا، وأن أحكامه لا تتحدد وعجائبه لا تنتهي.

د: أبرز من حصر آيات الأحكام من العلماء

وضع علماء الأصول شروطًا لمن يصل إلى مرتبة الاجتهاد، وكانت أولى هذه الشروط معرفة القرآن الكريم. وقد ضيق بعضهم هذه الدائرة وقصرها على آيات الأحكام، مؤكدين أنه لا يشترط معرفة جميع الكتاب والسنة بل ما يتعلق منهما بالأحكام. قال الغزالي

(ت: 505هـ) وتبعه جماهير علماء الأصول: إن ما في الكتاب العزيز من ذلك يبلغ حوالي خمسمائة آية. وأكدوا أنه لا بد من معرفة القرآن كأصل، مع تخفيف أمرين:

1. لا يشترط معرفة جميع الكتاب بل ما يتعلق بالأحكام، وهو مقدار خمسمائة آية.
 2. لا يشترط حفظها عن ظهر قلب، بل يكفي أن يكون العالم عارفاً بمواضعها ليتمكن من طلب الآية عند الحاجة (الغزالي، المستصفى، 342/1).
- قال ابن العربي: "وقد عد العلماء آيات كتاب الله الأحكامية فوجدوها خمسمائة آية، وقد يزيد عليها بحسب تبحر الناظر وسعة علمه" (ابن العربي، المحصول في أصول الفقه، 135/1).
- أما الشوكاني، فقد أشار إلى أن دعوى الانحصار في هذا المقدار هي اعتبار للظاهر، حيث إن في الكتاب العزيز آيات عديدة يمكن استخراج منها الأحكام الشرعية، بل من له فهم صحيح يمكنه استنباط الأحكام حتى من الآيات التي تتعلق بالقصص والأمثال (الرومي، بحوث في أصول التفسير، 49).
- يبدو أن الغزالي ومن تابعه كانا يقصدان الآيات الدالة على الأحكام دلالة أولية بالذات، لا بطريق التضمن والالتزام. وقد أشار المارودي إلى أن العدد المذكور يعود إلى مقاتل بن سليمان الذي أفرد آيات الأحكام وجعلها خمسمائة آية، حيث قال الأستاذ أبو منصور إن معرفة ما يتعلق بحكم الشرع شرط، بينما لا يشترط معرفة القصص والمواعظ (الشوكاني، إرشاد الفحول، 207/2).
- ويقول الرازي: "إن عدد آيات الأحكام في التنزيل الحكيم خمسمائة آية" (الزركشي، البرهان، 3/2).

قال ابن جزي الكلبي: "إن الآيات المتعلقة بالأحكام تبلغ خمسمائة آية، وقد يزيد هذا العدد إذا تم استقصاؤها وتبعتها في مواضعها" (ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، 7/1). وذكر أحد علماء مذهب الإمامية أن عدد الآيات المتعلقة بالأحكام، بما في ذلك المكرر والمتجانس، يصل إلى خمسمائة آية، ولكن عند حذف التكرار لا يصل العدد إلى هذا الرقم (ابن جزي، التسهيل، 7/1).

ويقول الشيخ محمد الخضر بن الحسين: "اقتصروا في تقديرها على خمسمائة آية، لأنهم اعتمدوا على مقاتل بن سليمان، الذي كان أول من أفرد آيات الأحكام في تصنيف وجعلها خمسمائة آية" (بيسوني، رسائل الإصلاح محمد الخضر بن الحسين، 21-22). لكن ابن دقيق العيد خالفه في هذا التقدير، مؤكداً أن عدد آيات الأحكام لا يمكن تحديده بهذا العدد، بل يختلف حسب المضامين والأفهام وما يفتحه الله من وجوه الاستنباط (ابن العربي، أحكام القرآن، 8/1).

ووضح الإمام الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" تحديد الأحكام المصرح بها في القرآن، مشيراً إلى أنها نوعان:

1. ما جاء صريحاً في الأحكام: وهذا كثير، حيث تحتوي سور مثل البقرة والنساء والمائدة والأنعام على العديد من هذه الآيات.

2. ما يُستنبط: وهو أيضاً نوعان:

▪ ما يُستخرج ضمناً من آية أخرى: مثل تحريم الاستمنااء باليد عند الشافعي من قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (المؤمنون 6/23).

▪ ما يُستنبط مع ضميمه آية أخرى: كما استنبط بعض العلماء، مثل علي وابن عباس، أن أقل مدة الحمل ستة أشهر من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الفرقان 15/25)، مع قوله: ﴿وَفَصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان 14/31). بناءً على هذا، جرى الشافعي واحتج به أبو حنيفة على أن أكثر مدة الرضاع سنتان ونصف، أي ثلاثون شهرًا.

وجهة نظرهم أن الله تعالى قدر لشيعتين مدة واحدة، وبالتالي فإن المدة بكما لها تنصرف لكل منهما، وعندما يكون النص في أحدهما، يبقى الثاني على أصله. كما يُعتبر الأجل الواحد للدينين مضروبًا بكما له لكل منهما. بالإضافة إلى ذلك، يجب اعتبار مدة يتغير فيها الغذاء، لذا حُددت مدة يتعود فيها الطفل على غذاء طبيعي غير اللبن، في حين أن مدة الحمل قصيرة، مما استدعى تقديم الزيادة على الحولين (الزركشي، البرهان، 4/2).

توسع بعض العلماء في تحديد عدد آيات الأحكام، مؤكدين على عدم حصرها في عدد معين، وذلك نتيجة لاجتهادهم. فقد استنبطوا أحكامًا شرعية من آيات القصص والترغيب والترهيب والوعظ والإرشاد، معتبرين أن ما يرد به المصريح في الأحكام لا يشمل الآيات التي جاءت لأغراض ومقاصد أخرى، رغم أن هذه الفئة من العلماء كانت قليلة. أما الأكثرون، فقد شملوا الآيات المصريح بها وغير المصريح بها التي يمكن استنباط الأحكام منها، مثل آيات القصص والعقائد والأخلاق وغيرها (الزركشي، البرهان، 4/2).

قسم العلماء آيات الأحكام إلى ستة أقسام، منها: الخصوص والعموم، المفسر والمجمل، المقيد والمطلق، النفي والإثبات، المتشابه والمحكم، والناسخ والمنسوخ (الماوردي، أدب القاضي، 282/1).

وقد توصلنا في هذا البحث إلى أن التفسير الفقهي سجل العديد من التعليقات والنظرات المذهبية، بالإضافة إلى كيفية تعامل فقهاء المذاهب مع النصوص وكيفية تعامل أتباعهم مع نصوص الأحكام.

كما تبين لنا شهرة التفسير الفقهي الذي يركز على دراسة آيات الأحكام وشرح كيفية استنباط الأحكام منها. ويتميز هذا النوع من التفسير بدقة الفهم وعمق الاستنباط، مما يسمح بإعمال الذهن في المناقشة والموازنة بين الآراء بشكل أكبر من غيره، مما يبرز أهميته ويستدعي الاعتناء به بشكل أكبر.

الخاتمة

من خلال بحثنا في التفسير الفقهي عبر جميع مراحل، نجد أنه كان يسير بعيدًا عن الأهواء والأغراض، بدءًا من نزول القرآن وحتى ظهور المذاهب المختلفة، ثم استمر بالاعتماد على تلك المذاهب وتنوع بتنوعها. لأهل السنة تفسير فقهي متنوع بدأً نظميًا من التعصب.

لقد اشتهر كل مذهب فقهي بأصول اجتهادية، نُقلت عن أئمة المذاهب وتلامذتهم فتاوى في النوازل التي واجهتهم. وعمل غالبية المفسرين على الاهتمام بفقه آيات الأحكام، ولم تخل أعمالهم من تضمين الآراء المذهبية في الفروع الاجتهادية ومناقشة آراء المخالفين.

تستوجب الدراسة المقارنة إبراز الفرق بين تأثير المذهبية في تفسير القدامى والمعاصرين. كانت هذه الدراسة محاولة لبيان أثر المذهبية الفقهية في تفسير آيات الأحكام لدى القدامى والمحدثين، ويمكن تلخيص الاستنتاجات الرئيسية كما يلي:

بالنسبة لأثر المذهبية الفقهية في تفاسير القدامى، يلاحظ الدارس أن بعض المصنفين اختاروا مذهباً فقهياً معيناً دون أن يظهر في تفسيرهم لآيات الأحكام أي تعصب مذموم. بينما وجد بعض القدامى الذين لم يلتزموا بمذهب فقهي معين رغم نسبتهم إلى التقليد في بعض كتب التراجم. أما المصنفون الذين خصصوا كتبهم لأحكام القرآن فقط، فقد كان هناك من بينهم من تعصب لمذهبه كما فعل الجصاص، ومن أظهر الإنصاف مثل ابن العربي، ومن كان منصفاً يتبع الحق حيثما كان رغم التزامه بمذهب معين، مثل القرطبي. وهناك أيضاً من بين المتقدمين من أنكر التقليد والمذهبية أصلاً، مؤكدين على وجوب اتباع النصوص بما تدل عليه صراحة أو استنباطاً، ومن أبرز هؤلاء ابن تيمية ومن المتأخرين الشوكاني.

أما بالنسبة لأثر المذهبية في تفسير المعاصرين لآيات الأحكام، فإننا نلاحظ أن التفاسير العلمية الشاملة التي ظهرت في العصر الحالي قد ابتعدت في الغالب عن التقليد والمذهبية. وذلك لأسباب تتعلق بتوسعهم في مسائل الأحكام وبوضع الوحي، سواء كان قرآنًا أو سنة، كمرآة تعكس ذلك. كما اعتمد علماء أصول الفقه على قواعد تفسير النصوص كمنهج لاستنباط الأحكام. في العصر الحديث، ظهر توجه جديد في التفسير الفقهي نشأ وتطور في رحاب الجامعات الإسلامية، حيث اعتُبر اختلاف المذاهب المعتمدة اختلاف تنوع وليس تضاد. لذا، تستوجب الدراسة المقارنة إبراز الفرق بين تأثير المذهبية في تفسير القدامى والمعاصرين.

يتضح لنا أن الحاجة إلى التفسير الفقهي تتجلى في احتكامنا للقرآن الكريم. ونظرًا لأن أحكام الشريعة معطلة في أغلب الدول الإسلامية، فإن ذلك ينعكس سلبًا على المباحث الفقهية، بما في ذلك التفسير الفقهي. ختامًا، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد في القول والعمل، ونعهد إليه بالأمر كله، فهو تعالى أعلم وأحكم.

المصادر والمراجع

- ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر. *أحكام القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 3، 2003.
- ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر. *المحصول في أصول الفقه*. تحقيق: حسين علي اليدري. عمّان: دار البيارق، 1999.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. *مجموع الفتاوى*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة المنورة: مجمع الملك، 1995.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. *مقدمة في أصول التفسير*. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1980.
- ابن جزري، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله. *التسهيل لعلوم التنزيل*. بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة 2، 1393هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة، 1379هـ..
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001.
- ابن عابدين، علاء الدين محمد بن عمر. *الدر المختار شرح تنوير الأبصار*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1992.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. المغرب: وزارة عموم الأوقاف، 1967.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. جامع بيان العلم وفضله. تحقيق: فواز أحمد زمرلي. القاهرة: مطبعة المنيرية، 2003.
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني. جمل اللغة. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة 2، 1986.
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق: محمد الأحدي، القاهرة: دار التراث، د.ت.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. بيروت: دار الفكر، 1986.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. بيروت: دار صادر، الطبعة 3، 1413هـ.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي. البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، 2000.
- أبو شبة، محمد بن محمد بن سويلم. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. القاهرة: مكتبة السنة، الطبعة 4، د.ت.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. بيروت: دار القلم، 1992.
- بسيوني، عبد الحليم. "رسائل الإصلاح محمد الخضر حسين"، مجلة الهداية الإسلامية، 1/3 (1385هـ)، 21-22.
- <https://www.maktabatalfekker.com/book.php?id=9173>
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. كتاب التعريفات. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.
- الجدي، عمر. محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي. الرياض: دار المعارف الجديد، 1993.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار الكتب العلمية، 1992.
- الخضري بك، محمد. تاريخ التشريع الإسلامي. بيروت: دار الفكر، الطبعة 8، 1967.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. الفقيه والمتفقه. تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل. بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م.
- الداودي، محمد بن علي بن أحمد شمس الدين. طبقات المفسرين للداودي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.
- الذهبي، شمس الدين أحمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993.
- الذهبي، محمد حسين. التفسير والمفسرون. القاهرة: مكتبة وهبة، 1976.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. الرياض: مطبعة إدارات البحوث العلمية، 1986.

- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. *بحوث في أصول التفسير ومناهجه*. الرياض: مكتبة التوبة، 1431هـ.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق. *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين. الدار البيضاء: البيضاء، د.ت.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957.
- السائس، محمد علي. *تاريخ التشريع الإسلامي*. تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي. القاهرة: مكتبة قوت القلوب، د.ت.
- السنوسي، عبد الله محمد بن يوسف. *بغية المقاصد و خلاصة المراسد*. القاهرة: مطبعة المعاهد، 1934.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. *الإنشاد في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد. *الاعتصام*. تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. بيروت: دار المعرفة، 1992.
- شعبان، محمد إسماعيل. *التشريع الإسلامي مصادره وأطواره*. القاهرة: مكتبة النهضة، 1985.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. *أدب الطلب ومنتهى الأدب*. تحقيق: عبد الله يحيى السريحي. بيروت: دار ابن حزم، 1998.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. *إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول*. تحقيق: الشيخ أحمد عزو. دمشق: دار الكتاب العربي، 1999.
- صديق خان، أبو الطيب محمد. *نيل المرام من تفسير آيات الأحكام*. تحقيق: محمد حسن إسماعيل. القاهرة: المطبعة الرحمانية، 1347هـ.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000.
- عتر، نور الدين محمد الحلبي. *علوم القرآن الكريم*. دمشق: دار الخير، 1993.
- علي بن سليمان العبيد. *تفاسير آيات الأحكام ومناهجها*. الرياض: دار التدمرية، 2010.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. *المستصفى*. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1993.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. *جواهر القرآن*. تحقيق: محمد رشيد رضا القباني. بيروت: دار إحياء العلوم، الطبعة 2، 1986.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة 8، 2005.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*. تحقيق: محمد علي النجار. بيروت: المكتبة العلمية، 1996.
- القراني، أبو العباس أحمد بن إدريس. *الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق*. تحقيق: خليل المنصور. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1998.

- القطان، مناع بن خليل. *التشريع والفقه في الإسلام*. القاهرة: مكتبة الوهبة، 1396هـ.
- القطان، مناع بن خليل. *مباحث في علوم القرآن*. القاهرة: مكتبة المعارف، الطبعة 3، 2000.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري. *أدب القاضي*. تحقيق: محي هلال سرحان. بغداد: إحياء التراث الإسلامي، 1391هـ.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين. *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث، د.ت.
- المشهداني، هاشم عبد ياسين. *سفيان الثوري وأثره في التفسير*. بيروت: دار الكتب العلمية، 2006.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف. *التوقيف على مهمات التعاريف*. تحقيق: محمد رضوان الداية. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1990.

Kaynakça

- Ali b. Süleyman el-Abîd. *Tefâsiru âyâtî'l-ahkâm ve menâhicuha*, Riyad: Dâru't-Tedmiriyye, 2010.
- Beysunî, Abdülhalim. *"Resâilü'l-islâh Muhammed el-Hıdır b. el-Hüseyn"*, Mecelletu'l-Hidâye el-İslâmiyye, 1385/1965.
- <https://www.maktabatafeker.com/book.php?id=9173>
- Ebü'l-Feyz Muhammed el-Murtazâ b. Muhammed b. Muhammed b. el-Bilgrâmî el-Hüseynî ez-Zebîdî, Muhammed b. Muhammed b. Abdirrezzâk. *Tâcü'l-'arûs min cevâhiri'l-Îlmiyye*, thk. Heyet. Dârülbeyzâ, Dârülbeyzâ: el-Beyda, ts.
- Ebu Hayyân, Muhammed b. Yusuf b. Ali. *el-Bahrü'l-muḥîṭ fî't-tefsîr*, thk. Sıdkî Muhammed Cemil. Beyrut: Dâru'l-Fikr, 2000.
- Ebüssuûd, Muhammed b. Mustafa. *İşâdü'l-akli's-selîm ilâ mezâye'l-Kitâbi'l-Kerîm*, Beyrut: Dâru İhyâi't-Türâsi'l-Arabî, ts.
- ed-Dâvûdî, Muhammed b. Ali b. Ahmed Şemsüddin. *Tabakâtü'l-müfessirîn*, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, ts.
- el-Cürcânî, Alî b. Muhammed b. Alî es-Seyyid eş-Şerîf. *Kitâbu't-Ta'rifât*, thk. Heyet. Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1983.
- el-Fîrûzâbâdî, Mecdüddîn Ebu Tâhir Muhammed b. Ya'kûb. *Beşâ'iru zevi't-temyîz fî leṭâ'ifi'l-Kitâbi'l-'Azîz*, Thk. Muhammed Ali en-Neccâr, Beyrut: el-Mektebetu'l-İlmiyye, ts.

- el-Fîrûzâbâdî, Mecdüddîn Ebu Tâhir Muhammed b. Ya'kûb. *el-Kâmûsü'l-muḥîṭ*, Beyrut: Müessesetü'r-Risâle, 8. Baskı, 2005.
- el-Gazzâlî, Ebû Hâmid Muhammed b. Muhammed et-Tûsî. *Cevâhirü'l-Kur'ân*, thk. Muhammed Reşid Rıda el-Kabbânî, Beyrut: Dâru İhyâi'l-'Ulûm, 2. Baskı, 1986.
- el-Gazzâlî, Ebû Hâmid Muhammed b. Muhammed et-Tûsî. *el-Müstaşfâ*, thk. Muhammed Abdüsselam Abdüşşâfî, Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1993.
- el-İsfahânî, Ebü'l-Kasım Hüseyin b. Muhammed. *el-Müfredât fî ğarîbi'l-Kur'ân*, thk. Safvân Adnân Dâvûdî. Beyrut: Dâru'l-Kalem, 1992.
- el-Karâfî, Ebü'l-Abbâs Ahmed b. İdrîs. *el-Furûḳ / Envârü'l-burûḳ fî envâ'i'l-furûḳ*, thk. Halil el-Mansûr Kahire: Dâru İhyâi'l-Kütübi'l-Arabiyye, 1998.
- el-Kattân, Mennâ Halîl. *et-Teşrî ve'l-fîḳh fî'l-İslâm*, Kahire: Mektebetu Vehbe, 1396/1976.
- el-Mâverdî, Ebü'l-Hasen Alî b. Muhammed b. Muhammed b. Habîb el-Basrî. *Edebü'l-ḳâdî*, thk. Muhyî Hilâl es-Serhân, Bağdad: İhyâu't-Türâsi'l-İslâmî, 1391/1971.
- el-Münâvî, Muhammed Abdürraûf. *et-Tevḳîf alâ mühimmâtî't-teârîf*, thk. Muhammed Rıdvân ed-Dâye. Beyrut: Dâru'l-Fikr el-Muâsır, 1990.
- er-Rûmî, Fehd b. Abdurrahman b. Süleyman. *Buhûsun fî usûli't-tefsîr ve menâhicihi*, Riyad: Mektebetu't-Tevbe, 1431/2010.
- er-Rûmî, Fehd b. Abdurrahman b. Süleyman. *İticâhâtü't-tefsîr fî'l-karnî'r-rabi aşer*, Riyad: İdâretü'l-Buhûsi'l-İlmiyye, 1986.
- es-Senûsî, Abdullah Muhammed b. Yusuf. *Büġyetü'l-makâsid ve hulasatu'l-merâsid*, Kahire: Matbaatu'l-Meâhid, ts.
- es-Suyûtî, Abdürrahmân b. Ebi Bekir Celâlüddîn. *el-İtkân. fî ulûmi'l-Kur'ân*, thk. Muhammed Ebülfazl İbrahim. Kahire: el-Hey'etu'l-Mısıriyye el-Âmme li'l-Kütüb, 1974.

- eş-Şâtıbî. İbrahim b. Musa b. Muhammed. *el-İ'tisâm*, thk. Selim b. 'Îd el-Hilâlî. Beyrut: Dâru'l-Ma'rife, 1992.
- eş-Şevkânî. Muhammed b. Ali b. Muhammed b. Abdillâh. *Edebü't-tâlib ve Müntehel-edeb*, thk. Abdullah Yahya es-Serihî. Beyrut: Dâr İbn Hazm, 1998.
- eş-Şevkânî. Muhammed b. Ali b. Muhammed b. Abdillâh. *İşadü'l-fuhûl ilâ tahkiki'l-hak min ilim'l-usûl*, thk. eş-Şeyh Ahmed İzzo, Şam: 1999 .
- et-Taberî, Muhammed b. Cerîr b. Yezîd. *Câmi'u'l-beyân fî tefsîri'l-Kur'ân*, thk. Ahmed Muhammed Şakir, Beyrut: Müessesetu'r-Risâle, 2000.
- ez-Zehebî, Muhammed Hüseyin. *et-Tefsîr ve'l-müfessirûn*, Amman: Dâru'n-Nefâis, 2016.
- ez-Zehebî, Şemsüddin, Ahmed b. Ahmed b. Osman. *Siyeru a'lâmi'n-nübelâ*, thk. Şuayb el-Arnaût. Beyrut: Muessetü'r-Risale, 1993.
- ez-Zerkeşî, Ebu Abdillâh Bedrüddin Muhammed. *el-Burhan fî ulûmi'l-Kur'ân*, thk. Muhammed Ebulfazl İbrahim. Kahire: Dâru İhyâi'l-Kütübi'l-Arabiyye, 1957.
- Hacı Halife, Mustafa b. Abdillâh el-Kustantini. *Keşfü'z-zunûn an esâmi'l-kütüb ve'l-fünûn*, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1992.
- Hâşim Abdüyâsîn el-Meşhedânî. *Süfyânü's-Şevrî ve eşeruhu fî't-tefsîr*, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 2006.
- Hatîb el-Bağdâdî, Ebû Bekr Ahmed b. Ali b. Sâbit b. Ahmed b. Mehdî. *el-Faḫîh ve'l-mutefakḫih*, thk. Ebu Abdirrahman Adil. Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 2000.
- Itr, Nureddin Muhammed el-Halebî. *'Ulûmü'l-Ḳur'âni'l-Kerîm*, Dımaşk: Dâru'l-Hayr, 1993.
- İbn Abdilber, Ebu Ömer Yusuf b. Abdillâh b. Muhammed. *et-Temhîd limâ fî'l-Muvatta' mine'l-me'ânî ve'l-esânîd*, thk. Mustafa b. Ahmed el-

Ulvî, Muhammed Abdülkebîr el-Bekrî. Mağrib: Vuzerâtu umûmi'l-evkâf, 1967.

- İbn Abidin, Alaaddin Muhammed b. Ömer. *ed-Duru'l-Muhtar şerhu tenviri'l-absâr*, Beyrut: Dâru İhyâi't-Türâsi'l-Arabî, ts.
- İbn Arabî, el-Kadî Muhammed b. Abdillâh Ebu Bekir. *Ahkâmü'l-Kur'ân*, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 3. Baskı, 2003.
- İbn Arabî, el-Kadî Muhammed b. Abdillâh Ebu Bekir. *el-Mahsûl fi usûli'l-fikh*, thk. Hüseyin Ali el-Bedri, Amman: Dâru'l-Beyârik, ts.
- İbn Cüzey, Muhammed b. Ahmed b. Muhammed Abdullâh. *el-Teshil li ulûmi't-Tenzîl*, Beyrut: Dâru'l-Kitâbi'l-Arabî, 2. Baskı, 1393/1973.
- İbn Fâris, Ahmed b. Zekerîyya el-Kazvinî. *Mücmelu'l-lüg'a*, thk. Züheyir Abdülmühsin Sultan. Beyrut: Müessesetu'r-Risâle, 2. Baskı, 1986.
- İbn Ferhûn, İbrahim b. Ali b. Muhammed. *ed-Dîbâcü'l-müzzheb fi ma'rifeti a'yâni ulemâi'l-mezheb*, thk. Muhammed el-Ahmedi Ebunnûr. Kahire: Dâru't-Türâs, ts.
- İbn Hacer, Ahmed b. Ali. *Fethü'l-Bari şerhu sahihi'l-Buhari*, thk. Muhîp ed-Din el-Hatîp. Beyrut: Dâru'l-Ma'rife, 1379/1959.
- İbn Hanbel, Ahmed b. Muhammed eş-Şeybânî. *Müsned el-İmam Ahmed b. Hanbel*, thk. Şuayb el-Arnaût. Beyrut: Müessesetu'r-Risâle, 2001.
- İbn Kesir, Ebü'l-Fidâ İmâdüddîn İsmâîl b. Ömer. *el-Bidâye ve'n-nihâye*, Dâru'l-Fikr, 1986.
- İbn Manzûr, Muhammed b. Mükerrrem b. Ali. *Lisânü'l-Arab*, Beyrut: Dâr Sadır 3. Baskı, ts.
- İbn Teymiyye, Takiyüddin Ebu'l-Abbâs Ahmed b. Abdilhalim. *Mecmû'i'l-fetâvî*, thk. Abdurrahman b. Muhammed b. Kasım. Medine: Mecmeu'l-Melik, 1995.

- Muhammed Ali es-Sâysis. *Târîhu't-teşrii'l-İslâmî*, thk. Asım İbrahim el-Kiyâî Kahire: Mektebetu Kûti'l-Kulûb, ts.
- Muhammed el-Hudari Beg. *Tarihü't-teşrii'l-İslâmî*, Beyrut: Dâru'l-Fıkr, 8. Baskı, 1967.
- Müslim, Ebü'l-Hüseyn Müslim b. el-Haccâc. *Sahihu Müslim*, thk. Muhammed Fuat Abdalbaki, Beyrut: Dâru İhyai't-Türâs, ts.
- Ömer el-Cîdî. *Muḥâḍarât fî târîḥi'l-mezḥebi'l-Mâlikî fî'l-ğarbi'l-İslâmî*, Riyad: Dâru'l-Marif el-Cedid, 1993.
- Sıddik Han, Ebü't-Tayyib Muhammed. *Neylü'l-merâm min tefsîri âyâti'l-ahkâm*, thk. Muhammed Hasan İsmail, Kahire: el-Matbaatu'r-Rahmaniyye, 1347/1928.
- Şaban Muhammed İsmail. *el-Teşriü'l-islâmî masadirüh ve atvaruh*, Kahire: Mektebetu'n-Nahda, 1985.

الأحكام الفقهية المستنبطة من آيات الربا

(دراسة فقهية)

م. د. زيد ياسين سليمان

العراق/ديوان الوقف السني/ مديرية أوقاف نينوى

Zaed.yasin@yahoo.com

009647507314133

الملخص

تناول البحث الآيات التي استنبط منها الأحكام الفقهية محل الدراسة، والمعنى الاجمالي للآيات ، والمسائل الفقهية والمستجدة التي ارتبطت بكل منها، ولما كانت كل العلوم تفيء للقرآن، والقرآن هو المرجع الأول، والمنهل الأوفر؛ كان لزاماً أن يكون للاستنباط من القرآن الكريم حظ وافر من عناية العلماء به مما يدل على مكانته وأهميته، ونحن بحاجة لإبراز طريقتهم في الرجوع للقرآن، واستدلالهم لنوازل الأحكام، وتتجلى أهمية هذا الموضوع في التسهيل والتيسير على الأمة بالرجوع إلى الحكم الشرعي من الآية بأقرب الوسائل، عن طريق بحث متخصص يجمع الآيات وأحكامها، واخترت هذا الموضوع لأسباب منها: تعلقه بمعرفة أحكام الله في كتابه العزيز، ولعظم شأن بيان الأحكام للناس في أمورهم الدينية والدنيوية، وإنزال صور الربا المعاصرة على قواعد الفقه الاسلامي.

**Jurisprudential rulings deduced from the verses on usury
(jurisprudence study)
Researcher/ M. D. Zaid Yassin Suleiman
Iraq/Sunni Endowment Office/Ninawa Endowments Directorate**

Abstract

The research dealt with the verses from which the jurisprudential rulings under study were derived, the overall meaning of the verses, and the jurisprudential and emerging issues associated with each of them, and since all sciences are compatible with the Qur'an, and the Qur'an is the first reference and the most abundant source; scholars needed to pay great attention to deductions from the Holy Qur'an.

This indicates the importance of this topic, which is evident in making it easier and easier for the nation to refer to the legal ruling from the verse by the closest means, through specialized research that brings together the verses and their rulings. I chose this topic for reasons including: its connection to knowing the rulings of God in His Mighty Book, and the great importance of explaining the rulings to people in their religious and worldly affairs, and bringing down contemporary forms of usury to the rules of Islamic jurisprudence, and it includes the following. Status and importance. We need to highlight their method of referring to the Qur'an, and their reasoning for the events of rulings.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد أنزل الله كتابه وجعله برهاناً ونوراً مبيناً، وجعل فيه شرائع ومقاصد لا تتقادم بمرور الأزمان، وحكماً وأحكاماً صالحة لكل عصر ومكان، وأورثه علماء يشتغلون به تفسيراً وبياناً، ويستنبطون منه دقائق الفقه، ويبينون أحكامه ومعانيه على أصول للتفسير معتبرة، وقواعد للاستنباط معتمدة، ولما كانت كل العلوم تفيء للقرآن، والقرآن هو المرجع الأول، والمنهل الأوفر؛ كان لازماً أن يكون للاستنباط من القرآن الكريم حظٌ وافرٌ من عناية العلماء به مما يدل على مكانته وأهميته، ونحن بحاجة لإبراز طريقتهم في الرجوع للقرآن، واستدلالهم لنوازل الأحكام.

أهمية الموضوع :

تتجلى أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

1. إن القرآن الكريم هو المصدر الأصيل في استنباط الأحكام الفقهية، ولم يزل العلماء يكتبون فيه قديماً وحديثاً .
2. الإضافة العلمية الجديدة في دراسة آيات الأحكام بأسلوب علمي جديد؛ ليكون منهجاً للباحثين وطلاب العلم، لتسهيل دراستها وفهمها.
3. التسهيل والتيسير على الأمة بالرجوع إلى الحكم الشرعي من الآية بأقرب الوسائل، عن طريق بحثٍ يتخصص بجمع الآيات وأحكامها، وبيان مأخذها عند العلماء.

أسباب اختيار هذا الموضوع :

اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب، منها ما يلي:

1. تعلقه بمعرفة أحكام الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولعظم شأن بيان الأحكام للناس في أمورهم الدينية والدنيوية، ومسيس الحاجة إلى بيان آيات الأحكام للناس، وتذكيرهم بها، ودعوتهم لها.
2. رغبة الباحث في الاستفادة العلمية من خوضه غمار هذا البحث، وذلك من خلال دراسة طرق العلماء في استنباط الأحكام من كتب التفسير والفقه.
3. انزال صور الربا المعاصرة على قواعد الفقه الاسلامي .

أهداف البحث :

1. الإسهام في خدمة الفقه الإسلامي، من خلال دراسة أصل أدلته الشرعية، وهو القرآن الكريم.
2. حصر الآيات المتعلقة بالمسائل الفقهية المراد دراستها في مكان واحد. دراسة الأحكام الفقهية من خلال استنباطات المفسرين والفقهاء من الآيات المراد دراستها.

منهج في هذا البحث :

اعتمد البحث على منهجين:

الأول: المنهج الاستقرائي؛ عن طريق تتبع الآيات في الأبواب محل الدراسة، وورودها عند العلماء، والمسائل الفقهية التي ارتبطت بها، وأقوال الفقهاء وأدلتهم.

الثاني: المنهج الاستنباطي؛ عن طريق النظر في أقوال الفقهاء، واستدلالهم بالآيات، ومناقشتها، والترجيح بينها، وتطبيق أقوالهم على المسائل المشابهة.

- كما التزمت الدراسة آلية البحث المتبعة في الدراسات الإسلامية، على النحو الآتي.
1. ذكرت أقوال العلماء في الحكم الفقهي من الآيات محل البحث، وذلك بإيجاز غير مخل، مع بيان الراجح منها إن كانت المسألة خلافية.
 2. الاكتفاء بذكر الاستدلال من الآية على الحكم الفقهي، دون التعرض لبقية الأدلة الأخرى، كالسنة، والقياس، وأقوال الصحابة، وعمل أهل المدينة، إلا أن تكون دلالة الآية على الحكم غير ظاهرة، وقد وردت السنة الصحيحة الصريحة بذلك الحكم، أو أن تكون الآية مجملة، وجاءت السنة مبينة وموضحة.
 3. ذكرت وجه الدلالة من الآية، ومناقشته، والرد على النقاش إن وجد، بطريقة دراسة المسائل الفقهية .
 3. بيان معنى الألفاظ الغريبة في الآيات، وتعريف المصطلحات الأصولية والفقهية من الآيات بأرقام متسلسلة حسب ورودها في الآيات.
 4. القيام بذكر المعنى الإجمالي للآيات، وذلك ببيان المعنى الأشهر لتفسير الآية ودون الخوض في بعض المعاني المختلف فيها، وذلك بعبارة موجزة.
 5. عزو الآيات القرآنية إلى موضعها في السور، وكتابتها وفق رسم المصحف.
 7. تخريج الأحاديث من الكتب التي تعنى بتخريج الأحاديث، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فاكثفت بهما، وإذا لم يكن في الصحيحين أو أحدهما، فخرجته من بقية كتب الحديث، مع بيان الحكم عليه كلما أمكن.
 8. الالتزام بوضع عنوان رئيس فقهي لكل مسألة، والاعتماد على أهميات المصادر المعتمدة في التحرير، والتوثيق، والتخريج.

1. مفهوم الربا في الفقه الاسلامي .

حرّم الإسلام كل معاملة مالية تقوم على الاستغلال؛ لأنّ العدالة تتنافى أو لا تجتمع مع الاستغلال، ويحل محلّها الظلم؛ لأن أحدهما قويّ يملّي إرادته على الضعيف، والربا من صور الاستغلال.

1-1 ماهية الربا لغة واصطلاحاً:

الربا لغة:

الربا الفضل والزيادة، وهو اسم مقصور على الأشهر ، أو مصدر معناه الزيادة (ابن منظور، 127/5). وذلك تبعاً لقراءة قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّيْرَبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) (سورة الروم، الآية، 39) (فمن قرأها بالمد) (آتَيْتُمْ) بمعنى أعطيتم يكون الربا هنا اسماً، ومن قرء بالهمز (آتَيْتُمْ) بمعنى جئتم يكون الربا هنا مصدراً، ويقال أربيت: أي أخذت أكثر مما أعطيت، ويثنى ربوان، وربا يربو من باب علا إذا نشأ، ويتعدى بالتضعيف يقال: ربيته فتربي.

مفهوم الربا اصطلاحاً:

اهتم العلماء بتعريف الربا، واختلفوا في الصياغة أحياناً وفي المضمون أحياناً أخرى؛ نظراً لاختلاف زاوية نظرهم إليه، وإلى أنواعه، ويمكن استعراض هذه التعريفات، بغية وضع تصور المفهوم الربا، لمعرفة كيفية جريانه في النقود الخلقية، ومن ثم في النقود الاصطلاحية، وكانت التعريفات كما يأتي:

مفهوم الربا عند الحنفية:

قال الموصلي: وفي الشرع: (الزيادة المشروطة في العقد، وهذا يكون عند المقابلة بالجنس، وقيل الربا عبارة عن عقد فاسد بصفة، سواء كان فيه زيادة، أو لم يكن) (الموصلي، 30/2) .

وعرفها الحصكفي بقوله: (فضل خال عن عوض، بمعيار شرعي، مشروط لأحد المتعاقدين في المعاوضة) (ابن عابدين ، 301/7).

مفهوم الربا عند المالكية : لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر للمالكية تعريفاً للربا، بل تكتفي تلك المصادر ببيان أنواعه وشروطه وتفصيله.

قال العدوي: (هو بيع ربوي بأكثر منه من جنسه لأجل) (العدوي، 132/2).

مفهوم الربا عند الشافعية: (هو عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد، أو مع تأخير البدلين أو أحدهما) (الشريبي، 21/2) .

مفهوم الربا عند الحنابلة: (هو الزيادة في أشياء مخصوصة) (البهوتي، 106/2).

نخلص من التعريفات السابقة بأنه هناك صلة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي صلة متينة، فهي مطلق الزيادة، وفي ضوء المذاهب المختلفة، نجد أن الفقهاء متفقون على أن ما اجتمع فيه الكيل أو الوزن والطعم من جنس واحد يجري فيه الربا.

2-1 حكم الربا في الشريعة الإسلامية

ثبتت حرمة الربا في القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وإجماع الفقهاء، والمعقول .

منهم من قال بتدرج تحريم الربا على أربع مراحل، كما حدث بالنسبة لتحريم الخمر في المواضع الأربعة أيضاً من القرآن (المرائي، 1974، 60/3) ؛ (المصري، 1991م، 198). ، ومنهم من قال بأن تحريم الربا جاء على نحو مغاير لتحريم الخمر، من حيث النهي عن أكله، وعندما وجه الخطاب للمؤمنين، كان باتا ونهائياً (السيوطي، 1990، 301/5) ؛ (الألوسي، 50/3) . ومن المعلوم أن الربا لم يحرم إلا في العهد المدني، فنزل التحريم في سورة آل عمران بقول الله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (سورة آل عمران، 130).

وبعد ذلك ورد في سورة البقرة ختام هذا التشريع بقول الله : (بَحِّقْ اللَّهَ الرِّبَا وَيُزَيِّرِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (القرطبي، 298/3) .

كما ثبت جريمة الربا من الكبائر، ما ورد عن علقمة، عن عبد الله ، أنه قال : (لعن رسول الله آكل الربا وموكله، قال: قلت وكاتبه وشاهديه ؟ قال إنما نحدث بما سمعنا) (مسلم، رقم الحديث (1597)، 1218/3) . ، وعن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه) (الترمذي، رقم الحديث 1223، 340/2) .

وأجمع الفقهاء (الكاساني، 132/5) ؛ (الشريبي، 21/2) المسلمون على حرمة الربا في الأصناف الستة الواردة في الحديث (مسلم، رقم الحديث 1587، 1211/3)، ونقل الإجماع بين العلماء على أن آيات الربا نزلت في بيان تحريم ربا الجاهلية، وهو الربا العائد على القرض مقابل الزمن (فضل الهي، 1406، ص. 62) ..

3-1 اضرار الربا:

للربا أضرار كثيرة تغلب على منفعته، وهي تشمل سائر نواحي الحياة، فمنها ما يرجع إلى الجانب الأخلاقي والاجتماعي ومنها ما يرجع إلى الجانب الاقتصادي، ومنها ما يرجع إلى الربا الإنتاجي، فمن أضرار الربا الخلقية والاجتماعية ما يلي:

1- ظلم صاحب المال المقرض للمقترض، والظلم يولد العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى تفكك الروابط بين المجتمع، ولخطورة الربا حرمة الله تعالى في جميع الأديان السماوية، يقول ابن تيمية: (وحرمة الربا لانه متضمن للظلم، فانه فضل بلا مقابل له) (ابن تيمية، 341/20).

2. إن الربا يؤدي إلى عدم وجود القرض الحسن بين أفراد المجتمع، مما يسيء إلى روح التعاون بين أفراد، وبالتالي يسيء إلى الروابط والعلاقات العائلية والاجتماعية، فتصبح العلاقة بين الناس علاقة مادية بحتة، وليست علاقة إنسانية تعاونية (العريزي، 2004، ص. 291).

ومن أضرار الربا الاقتصادية: انه يزيد فقر الفقراء فقراً إلى فقرهم، فالفقير الذي يقع في شرك المرابين لا يكاد يتخلص من الدين طوال حياته، وقد ينتقل الدين إلى ورثته، وكذلك يجعل المال متداولاً بين طائفة خاصة من المجتمع، ويقسم المجتمع إلى طبقات، طبقة أغنياء مرفهين منعمين، وطبقة عاملين كادحين منتجين، وطبقة فقراء محرومين، ومن أضرار الربا الاقتصادية مايلي:

1. يؤدي الربا إلى التضخم الاقتصادي، فكل انخفاض لقيمة النقود معناه تضخم، وكل زيادة في الفوائد الربا عن معدل الزيادة الإنتاجية معناه حقن التضخم بمزيد من الجرعات المنشطة للتضخم، فمعدل الزيادة الإنتاجية لا يصل اليوم في الدول الصناعية إلى أكثر من 4% في السنة إن لم يكن أقل من هذا المعدل، في حين يفوق مستوى الفائدة هذا المعدل بزيادة قدرها في بعض الدول كأمريكا إلى 10% ولذلك كانت الفائدة الربا المرتفعة هي التضخم ذاته (السالوس، ص. 93).

2. تعطيل المشروعات الضخمة ذات النفع العام كلياً أو جزئياً، فالربا وسيلة الاستعمار، وإن الاستعمار يسير وراء تاجر أو قسيس كما قيل، حتى يصل إلى استعمار البلد الذي يريده، وكان استعمار معظم البلاد بسبب الربا، لذا كانت آثار الربا خطيرة نظراً لما يترتب عليه من ذل الدولة لغيرها من المستغلين.

3. إضعاف فاعلية الاستثمار؛ لأنه يؤدي إلى خلق طبقة مترفة لا تعمل شيئاً، وإنما تريح وتستغل وغيرها يكاد ويعطيها جهده مما يؤدي إلى تضخم الأموال في أيدي هذه الطبقة المترفة دون جهد (عبدالمهدي، ص. 5).

وأما أضرار الربا الخاصة بالربا الإنتاجي فتظهر لنا فيما يلي:

1. غلاء أسعار السلع التي ينتجها المقترض، إذ يضيف المنتج أو المستورد الزيادة الظالمة الناتجة عن القرض إلى رأس مال السلعة التي يشتريها المستهلكون، فكأن المجتمع هو الذي يدفع الزيادة الربوية، فالظلم في القرض الإنتاجي أشمل وأعم من القرض الاستهلاكي.

2. نقص الطلب على السلعة المنتجة بسبب ارتفاع ثمنها نتيجة لإضافة الزيادة الربوية مما يبقى فائض من المنتجات بغير تصريف، وهذا الفائض له عواقبه الوخيمة، إذ قد يؤدي إلى تخفيض أجور العمال أو الاستغناء عن بعضهم.

3. يمنع الأغنياء من الاشتغال بالمكاسب، وذلك لان صاحب المال إذا تمكن من الحصول على الزيادة الربوية بواسطة وضع ماله في البنوك، لم يغامر في تجارة أو صناعة، فيعيش عالة على غيره (الشاطبي، ص. 257).

4-1 أنواع الربا

وبعد تصور مفهوم الربا عند الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، تأتي مرحلة التقسيم، لبيان الأنواع التي يتحقق فيها هذا المفهوم، وانطلاقاً مما تقرر في التعريف، فقد قسم الربا إلى الأقسام الآتية:

ربا البيوع المحرم في الإسلام نوعان (ابن القيم، 2 / 103): ربا فضل وربا نساء، الأول ينشأ من مبادلة متجانسين مبادلة فورية مع زيادة أحد البديلين على الآخر، والثاني ينشأ من مبادلة متجانسين ذهب بذهب مثلاً أو متقاربين ذهب بفضة مع النساء، وربا النساء لا يحرم إلا بمبادلة الربوي بجنسه كالقمح بالقمح، وفي مبادلة ربوي بربوي واقعين معا في فئة واحدة كالقمح بالشعير، وقد يجتمعان فيكون في البيع فضل ونساء، كما في ذهب بذهب متفاضلاً ونساء، ويطلق على ربا القرض ربا النسيئة (المصري، ص 74).

وزاد الشافعية نوعاً ثالثاً هو ربا اليد أو ربا البيوع: وهو البيع مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما (الشريبي، مغني المحتاج، 2 / 21).

5-1 الأصناف الربوية وعلة الربا فيها

اتفق الفقهاء (ابن رشد، 130/2) على تحريم الربا في الأصناف الستة - عند اتحاد الجنس الواردة في حديث عبادة بن الصامت (السرخسي، 12 / 113). واختلفوا في الأصناف التي لم ينص عليها الحديث النبوي الشريف السالف الذكر؛ فجمهور الفقهاء من المذاهب الأربعة على أن التحريم لا يقف عند الأصناف الستة بل يتعداها إلى غيرها إذا كانت العلة واحدة، فالتحريم ليس لذات الأصناف بل للعلة فيها، وخالف في ذلك الظاهرية محتجين بتخصيص الحديث لهذه الأصناف دون غيرها (ابن حزم، 467 / 8).

والذي أميل إليه هو رأي الجمهور، وذلك لأن الأصناف الربوية الستة لم تحصر كلها في الأحاديث النبوية، فهناك من الأحاديث ما ذكر الأصناف الستة مجتمعة، ومنها ما ذكر النقددين فقط، ومنها ما ذكر الطعام فقط، وهذا يدل على عدم الحصر في الأصناف الستة، وإنما يتعداه إلى ما يشترك معها في العلة.

2. الأحكام الفقهية المستنبطة من آيات الربا .

1-2 التفسير الإجمالي لآيات الربا .

الآية الأولى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (سورة البقرة، 275).

أي الذين يتعاملون بالربا ويمتصون دماء الناس لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع من جنونه، يتعثر ويقع ولا يستطيع أن يمشي سواً، يقومون مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بما عند الموقف هتكاً لهم وفضيحة (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) أي ذلك التخبط والتعثر بسبب استحلالهم ما حرمه الله، وقولهم: الربا كالبيع فلماذا يكون حراماً؟ قال تعالى ردّاً عليهم (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) أي أحل الله البيع لما فيه من تبادل المنافع، وحرم الربا لما فيه من الضرر الفادح بالفرد والمجتمع، لأن فيه زيادة مقتطعة من جهد المدين ولحمه (الصابوني، 158/1).

الآية الثانية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) (278) فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) (سورة البقرة، 278 - 279).

أي اخشوا ربكم وراقبوه فيما تفعلون، واتركوا ما لكم من الربا عند الناس إن كنتم مؤمنين بالله حقاً (فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) أي وإن لم تتركوا التعامل بالربا فأيقنوا بحرب الله ورسوله لكم قال ابن عباس: يقال الأكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب (وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) أي إن رجعتكم عن الربا وتركتموه فلکم أصل المال الذي دفعتموه من غير زيادة ولا نقصان (سورة البقرة، 278 - 279).

2-2 الأحكام الفقهية المستنبطة من آيات الربا.

المسألة الأولى: حكم أكل الربا.

أجمع العلماء على أن الربا محرم، والعمل به كبيرة من كبائر الذنوب (ابن حزم، ٨٩)، وأجمعوا على أن ربا النسيئة (البهوتي، ٣٤٥) محرم (ابن هبيرة، ١٩٤/١)؛ (ابن قطان، ٢٢٠-٢٢١)، واختلف الفقهاء في حكم ربا الفضل (الكاساني، 183/5) على قولين:

المذهب الاول: تحريم ربا الفضل وبه قال الحنفية(السرخسي، 12/ 111)، والمالكية(ابن رشد، ١٣٢)، والشافعية(الشيرازي، 28/2)؛ (الرملي، 424/3).، والحنابلة (المرداوي، ١١ / ٥).

المذهب الثاني: جواز ربا الفضل. وهو : واليه ذهب ابن عباس رضي الله عنه (البخاري، ٣ / ٧٤-٧٥)، وبعض الصحابة(الماوردي، 76/٥)؛ (ابن قدامة، 52/٦).

استدل أصحاب القول الأول بما يلي:

١ - قوله تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (سورة البقرة، ٢٧٥)، نصت الآية على تحريم الربا بجميع صورته، فدخل فيه ربا الفضل(الكيا الهراسي، ١ / ٢٣١-٢٣٢).

٢- قوله : (الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلاً بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلاً بمثل، فمن زاد أو استزاد فهو ربا) (مسلم، رقم الحديث 1٥٨٨، ٣ / ١٢١٢)، وجه الدلالة : نهي النبي ﷺ عن الزيادة في بيع الربوي، وهذه حقيقة ربا الفضل، والنهي يقتضي التحريم، فالحديث نص في تحريم ربا الفضل (الرويان، 396/4).

استدل أصحاب القول الثاني بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: «الدينار بالدينار، والدرهم بالدرهم»، فقلت له : فإن ابن عباس لا يقوله، فقال أبو سعيد سألته فقلت: سمعته من النبي، أو وجدته في كتاب الله؟ قال : كل ذلك لا أقول، وأنتم أعلم برسول الله ﷺ مني ولكن أخبرني أسامة : أن النبي، قال: «لا ربا إلا في النسيئة» (البخاري، رقم الحديث 2178، 3 / ٧٤).

وجه الدلالة : حصر النبي ﷺ الربا في النسيئة، فدل بمفهومه أن الفضل لا ربا فيه، وهذا دليل على جواز ربا الفضل(ابن قدامة، 52/6).

الراجع - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من تحريم ربا الفضل، للأسباب، منها: ما ثبت من أدلة الوحيين الصحيحة الصريحة على تحريم ربا الفضل، لما في الربا من ظلم؛ لأن الزيادة لا يقابلها شيء، وهذا من أكل أموال الناس بالباطل، الحديث الذي ثبت فيه تحريم ربا الفضل برواياته المتعددة لا يحتمل التأويل، فهو صريح في تحريمه، إضافة إلى أن قول ابن عباس رضي الله عنه خالف فيه جمهور الصحابة في زمنه، وهذا يرجح قول الجمهور، كما نقل بعضهم رجوع ابن عباس رضي الله عنه عن قوله بالجواز بعد أن بلغته أحاديث التحريم(ابن رشد، ٦ / ٤٤٤).

المسألة الثانية: التعامل بالربا القليل.

اتفق الفقهاء على تحريم الربا في الكثير (الزبيعي، ٤ / ٩٠-٨٩)، واتفقوا على تحريم ربا النسيئة في القليل مع اتحاده في علة ربا الفضل(ابن الحاجب، ٣٤٠)، واختلفوا في ربا الفضل في القليل على قولين: القول الأول : صحة الربا القليل، وبه قال: الحنفية(السرخسي، ١٢ / ١١٤). القول الثاني : عدم صحة الربا القليل. وهو : قول محمد بن الحسن(الحنفي، ١ / ٥٢٦) من الحنفية(ابن الهمام، ٩٧)، والمالكية(الخطاب، 6/ ٢٢١)، والشافعية(العمرائي، 5 / ١٦٦) والحنابلة(ابن النجار، 2 / ٣٤٧).

استدل أصحاب القول الاول: بأن الربا القليل لم يبلغ المعيار الشرعي للمساواة - الكيل أو الوزن، فانعدمت العلة المحرمة بانعدامه، فبقي على الأصل وهو الحل، فصح البيع (العيني، 8 / ٢٦٩).

واستدل أصحاب القول الثاني: بقوله تعالى : (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (سورة البقرة، ٢٧٥)، نصت الآية على تحريم الربا من غير فصل بين قليله وكثيره، فدل ذلك على عدم صحة الربا القليل(الصابوني، 1 / ٣٩٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم : (الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يدا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يدا بيد) (مسلم، رقم الحديث 1٥87، 3 / ٣).

(١٢١١)، وهذا نصٌّ على تحريم الربا من غير تفريق بين القليل والكثير، فدل ذلك على عدم صحة الربا القليل (البغوي، ٣ / ٣٣٧ ..).

الراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني من عدم صحة الربا القليل، لأسباب عدة، منها: لما ثبت من أدلة الوحيين من عدم صحة الربا، فدخل فيه القليل والكثير، وما جرى الربا في كثيره جرى في قليله كالموزون» (ابن قدامة، ٦ / ٥٩)، والقليل يوصف بأنه مكيل لأنه لو احتاج الوفاء بالمكيل إلى حبه لثم الكيل بما (الماوردي، ٥ / ٨٨)، والقليل مال يصح بيعه، ويحنث إذا حلف عليه فخالف ذلك (ابن مفلح، ٦ / ٢٩٣)، ومن باب سد الذرائع؛ لأن من الصعوبة بمكان وضع ضابط للقلة والكثرة، فيتساهل الناس ويتجرأون، ويزيدون في القليل حتى يقعوا في الربا الكثير.

المسألة الثالثة: التعامل بالربا في غير دار الاسلام:

اتفق الفقهاء على تحريم الربا بين المسلمين في دار الحرب (الكاساني، ٥ / ١٩٣)، واختلفوا في الربا بين المسلم والحربي في دار الحرب على قولين:

القول الأول: جواز الربا، وبه قال: الحنفية (العيني، ٨ / ٢٩٩).

القول الثاني: تحريم الربا، وهو قول أبي يوسف من الحنفية (الزيلعي، ٤ / ٩٧)، والمالكية (النووي، ٣ / ٣٩٧)، والشافعية (النووي، ٣ / ٣٩٧)، والحنابلة (ابن النجار، ٢ / ٣٦٨).

استدل أصحاب القول الأول بما يلي:

١ - قوله صلى الله عليه وسلم: (وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله) (مسلم رقم الحديث 1218، ٢ / ٨٨٦).

وجه الدلالة: أن العباس رضي الله عنه كان في مكة قبل فتحها مسلماً، وكان يربي، والنبي لم ينهه عن ذلك، فلما فتحت مكة وحرم الربا أبطل ما لم يقبض منه؛ لأن مكة أصبحت دار الإسلام، فدل ذلك على جواز الربا بين الحربي والمسلم في دار الحرب (السرخسي، ١٤ / ٥٧). ونوقش: بأن الصحابة كانوا يبيعون الكفار في عهد النبي الله و لم ينقل عنهم أنهم تعاملوا معهم بالربا، ولو كان جائزاً لفعلوا ذلك مع أهل الحرب (الشافعي، ٩ / ٢٤٩)، ولا دليل على أن العباس كان يراي بعد إسلامه، والذي وضعه النبي ﷺ هو ما كان منه في الجاهلية (عمر المترك، ٢٢١).

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم: (لا ربا بين أهل الحرب وأهل الإسلام) (البيهقي، رقم الحديث ١٨١٦٩، ١٣ / ٢٧٦)، نفى النبي صلى الله عليه وسلم جريان الربا بين الحربي والمسلم، فدل ذلك على جواز الربا بين الحربي والمسلم في دار الحرب (ابن نجيم، ٣ / ٤٨٠).

واستدل أصحاب القول الثاني بما يلي:

١ - قوله تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (سورة البقرة، ٢٧٥)، نصت الآية على تحريم الربا من غير فصل بين دار الحرب ودار الإسلام، فدل ذلك على تحريم الربا على المسلم في جميع الأحوال، والأمكنة، ومن ذلك دار الحرب (الماوردي، ٥ / ٧٥).

2 - قوله: (لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا تبيعوا الورق بالورق، إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضه على بعض، ولا تبيعوا شيئاً غائباً منه بنأجز، إلا يدا بيد» (مسلم، رقم الحديث 1٥٨٤، ٣ / ١٢٠٨)، وجه الدلالة: نفى النبي ﷺ عن الربا من غير فصل بين دار الحرب ودار الإسلام، فدل ذلك على تحريم الربا بين الحربي والمسلم في دار الحرب (النووي، ٩ / ٤٨٨).

الراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني بتحريم الربا بين الحربي والمسلم في دار الحرب، للأسباب، منها: عموم أدلة الوحيين الصحيحة الصريحة على تحريم الربا، وما كان محرماً في دار الإسلام كان محرماً في دار الحرب، كالربا بين

المسلمين» (ابن قدامة، ٩٩ / ٦) ، والتحرير إذا ثبت عاما لم يجوز تخصيصه بلا دليل ، لا تختلف أحكام الله - سبحانه وتعالى - على عباده باختلاف الدار كالأوامر (البغوي ، ٤٨٣/٨).

المسألة الرابعة: علة الربا في غير الذهب والفضة.

اتفق الفقهاء على أن تحريم الربا إنما هو لعله، وأن علة غير الذهب والفضة واحدة، واتفقوا على أن اتحاد الجنس معتبر في تحريم ربا الفضل (العيني ، ٦٠٨/٢) ، واختلفوا في تحديد هذه العلة في الأصناف المذكورة في الحديث عدا الذهب والفضة على أقوال: القول الأول : العلة هي الكيل أو الوزن وبه قال: الحنفية (السرخسي، ١٢ / ١١٣) ، والحنابلة (المرداوي، ١١ / ٥). القول الثاني: العلة هي الاقتيات والادخار وبه قال: المالكية (الحطاب، ١٩٨/٦)، وزاد بعض المالكية قيدا وهو كونه متخذاً للعيش غالباً (القاضي عبد الوهاب، ٩٥٨).

القول الثالث: العلة هي الطعام، وبه قال: الشافعية (النووي ، ٣٧٩ / 3) .

القول الرابع: العلة هي الطعام مع الكيل أو الوزن. وهو : قول الشافعي في القديم (الشريبي، ٣٦٤ / ٢)، وقول عند الحنابلة (ابن قدامة، 32/٢).

استدل أصحاب القول الأول بما يلي:

١ - قوله تعالى: (وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (سورة هود، ٨٥). أي جعل علة تحريم الربا الكيل والوزن من غير فصل بين مطعم وغيره، فدل على أن علة ربا الفضل هي الكيل أو الوزن (الكاساني، ١٨٤ / ٥).

٢ - قوله : (الخطئة بالخطئة والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، كيلا بكيل، ووزنا بوزن، فمن زاد أو ازداد، فقد أربى، إلا ما اختلف ألوانه) (أحمد بن حنبل، رقم الحديث ٧١٧١ ، 92/12)، وجه الدلالة : نهي النبي له عن الربا في الأصناف المذكورة، والصفة الجامعة بينها كونها مكيلة أو موزونة (السرخسي، ١١٦/12) .

واستدل أصحاب القول الثاني : بقوله صلى الله عليه وسلم : (الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يدا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يدا بيد) (سبق تخريجه).

نهي النبي ﷺ عن الربا في الأصناف المذكورة، والصفة الجامعة بينها كونها مدخرة، ومقتاتة، وهما صالحان لذلك، وأما كونها مطعومة، ومكيلة، فلا يصلح التعليل بأحدهما ؛ لأنه لو كانت مقصودة وحدها لاكتفى بالتنبيه على ذلك بواحدة من الأربع المذكورة، فدل ذلك على أن علة ربا الفضل الاقتيات والادخار (ابن رشد، ٢٥١/3).

استدل أصحاب القول الثالث بما يلي::

١ - قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (سورة البقرة، ٢٧٥) ، وقوله تعالى: (لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) (سورة آل عمران، ١٣٠) . أطلق الله اسم الربا على المطعوم من غير فصل بين مكيل وغيره، فدل ذلك على أن علة ربا الفضل الطعام (الجصاص، ١٨٧ / ٢).

٢ - قوله : (الطعام بالطعام مثلاً بمثل) (مسلم، رقم الحديث. ١٥٩٢ ، ١٢١٤/3) ، وجه الدلالة: علق النبي ﷺ تحريم ربا الفضل بالطعام، فيشمل المكيل وغيره، والطعام اسم مشتق، وتعليق الحكم على الاسم المشتق يدل على التعليق بما منه الاشتقاق، فدل ذلك على أن علة ربا الفضل الطعام (ابن قدامة ، ٣٢/2).

استدل أصحاب القول الرابع: بقوله صلى الله عليه وسلم : (الطعام بالطعام مثلاً بمثل) (سبق تخريجه) ، والحديث يدل على أن النبي ﷺ أوجب المماثلة في الطعام، والمماثلة لا تعرف إلا بالكيل أو الوزن، فدل ذلك على أن علة ربا الفضل هي الطعم مع الكيل أو الوزن (ابن قدامة، ٥٧ / ٦).

الراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الثالث بأن الطعم علة لربا الفضل؛ لما يظهر من ذكر هذه الأصناف في الحديث أنها مما يأكله الناس عادة في جميع البلاد، ويتبايعونه ويتبادلونه فيما بينهم، مما يرجح أن علة الربا فيه كونه مطعوماً، وهي علة تصدق على جميع المذكورات حتى الملح، فإنه لا يستغنى عنه في إعداد الطعام، بل لا يستساغ الطعام من غيره، وما كان كذلك فإنه يكثر التفاضل فيه بين الناس، فجاء الحديث ليبين ذلك.

المسألة الخامسة: مفهوم ضع وتعجل في المداينات .

صورتها: شخص عليه دين مؤجل، فيطلب من الدائن أن يحط عنه بعض الدين مقابل التعجيل، واختلف الفقهاء في حكمها على قولين :

القول الأول : لا يجوز . وبه قال: جمهور العلماء (الزيلعي ، ٥ / ٤٢) .

القول الثاني: يجوز . وهو : قول عند الحنابلة (المرداوي ، ٥ / ٢٣٦) ، ورجحه ابن تيمية (المرداوي ، ٥ / ٢٣٦).

استدل أصحاب القول الأول بقوله تعالى: (وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا) (سورة البقرة، ٢٧٨)، وقوله تعالى: (لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) (سورة آل عمران، ١٣٠).

وجه الدلالة من الآيتين: حرم الله الزيادة في القرض مقابل التأجيل، والخط في معنى الزيادة، فدل ذلك على أن النقصان في الدين مقابل التعجيل لا يجوز (الجصاص، ٢ / ١٨٦).

استدل أصحاب القول الثاني بما يلي:

١ - قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (سورة البقرة، ٢٨٠) أي: أنّ الله عز وجل حثّ على الصدقة بالدين كله أو بعضه، والنقصان في الدين مقابل التعجيل من الصدقة المرغب فيها، وفي هذا دليل على جوازها (السيوطي، ٦٣).

٢ - حديث: أن النبي ﷺ لما أمر بإخراج بني النضير ، جاءه ناس منهم، فقالوا: يا نبي الله، إنك أمرت بإخراجنا ولنا على الناس ديون لم تحل ، فقال رسول الله ﷺ: (ضعوا وتعجلوا)

وجه الدلالة : أباح النبي ﷺ الإنقاص في الدين مقابل تعجيل الأجل، وهذا دليل على أن النقصان في الدين مقابل التعجيل يجوز. الراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني بجواز النقصان في الدين مقابل التعجيل، للأسباب منها : الوضع مقابل التعجيل فيه رفق بالمدين، وصدقة في حق الدائن، وهو يتوافق مع الآية الكريمة، وأنه لا دليل صريح صحيح في تحريم ذلك، والأصل في المعاملات الإباحة (ابن القيم ، ٣ / ٢٧٨) ، ولما فيه من رفع المشقة على الناس، والتيسير لهم في معاملاتهم، وهو يتوافق مع مقاصد الشارع في الوقوف إلى جانب المدين. وفيه من مصلحة للدائن بتحصيل دينه معجلاً، وللمدين إسقاط بعض الدين عنه، وما كان فيه مصلحة للطرفين، بلا غرر ولا جهالة، فإن الشريعة تفرقه (ابن عثيمين، 9/ 233) . ، وتطلع الشارع إلى إبراء الذمة من الدين، والخط مع التعجيل فيه تخليص للذمة من الدين، بخلاف الزيادة مع التأجيل (ابن القيم، 2/ 13) .

المسألة السادسة: دخول الربا في الماء:

اختلف الفقهاء في الربا في الماء على قولين:

القول الأول: جواز الربا في الماء، وبه قال: المالكية (الخطاب، ٦/ ٢١٢)، وقول عند الشافعية (العمري، ٥ / ١٦٨)، وهو قول عند الحنابلة (ابن النجار ، ٢ / ٣٤٧).

القول الثاني: حرمة الربا في الماء. وهو : قول عند المالكية، والشافعية(النووي، 3/ 379) ، وقول عند الحنابلة(المرداوي، 5/ 13). استدل أصحاب القول الأول: بأن الماء أصله الإباحة، وغير متمول في العادة، ولا تدخله علة الربا، فيجوز فيه الربا (البهوتي، 3/ 202).

واستدل أصحاب القول الثاني بقوله تعالى : (وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي) (سورة البقرة، 249) ، حيث جعل شرب الماء طعاما، وعلة الربا الطعم، فدل ذلك على حرمة الربا في الماء (الشربيني، 2/ 365).

الراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الأول بعدم جواز الربا في الماء، لعدم ثبوت دليل صريح على التحريم، فيبقى على الأصل، والأصل في الأشياء الإباحة(الماوردي، 5/ 111).

المسألة السابعة: بيع العينة وحكمها في الفقه الاسلامي.

صورتها: من اشترى ما باعه مؤجلا بأقل من ثمنه حالا.

اتفق الفقهاء على صحة شراء ما باعه مؤجلا بمثل ثمنه أو أكثر حالا واتفقوا على عدم صحة شراء ما باعه مؤجلا بأقل من ثمنه حالا إذا كان العقد الثاني مشروطا في العقد الأول نصا(الزيلعي، 4/ 53) ، واختلفوا في ما إذا لم يشترطه على قولين:

القول الأول : البيع باطل، وبه قال : الحنفية(السرخسي، 13/ 122)، والمالكية(الخطاب، 6/ 274) ، والحنابلة(ابن النجار، 2/ 281).

القول الثاني: البيع صحيح، وبه قال الشافعية(المزني، 8/ 183)، وقول عند الحنابلة(المرداوي، 4/ 335).

استدل أصحاب القول الأول بما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (سورة البقرة، 275) ، نصت على تحريم الربا، ومنه شراء ما باعه مؤجلا بأقل من ثمنه حالا، فدل ذلك على أن بيع العينة باطل(الخصاص، 2/ 285) ، ولكن رد : بأنه لو كان يبيعه بالأقل ربا، لكان يبيعه بالأكثر منه ربا، ولا يقول به أحد(ابن الرفعة، 9/ 263).

٢ - قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمِعُوا) (سورة البقرة، 104) ، نهي الله عن فعل أشياء ظاهرها الإباحة لئلا يتوصل بها إلى فعل المحذور، ومن ذلك شراء ما باعه مؤجلا بأقل من ثمنه حالا؛ لئلا يتوصل بها إلى استباحة الربا، فدل ذلك على أن بيع العينة باطل(ابن رشد، 2/ 39).

- قوله: ﷺ (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) (أحمد بن حنبل، رقم الحديث 4825 ، 8/ 440).

توعد النبي ﷺ من لم يترك التعامل بالعينة بالعذاب، وهذا لا يكون إلا على محرم، فدل ذلك على أن بيع العينة باطل(الزركشي، 3/ 602).

استدل أصحاب القول الثاني: بقوله تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ) (سورة البقرة، 275)، أباح الله - سبحانه وتعالى - البيع من غير فصل بين شراء ما باعه مؤجلا بأقل من ثمنه حالا وغيره، فدل ذلك على أن بيع العينة صحيح(الماوردي، 5/ 288).

الراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الأول بأن بيع العينة باطل، للأسباب منها: لما ثبت من أدلة الوحيين من بطلان بيع العينة، لما فيها من التوصل إلى استباحة الربا، فمنع سدا للذرائع(ابن رشد، 2/ 39 - 40)، لما فيها من التحايل على الربا، والحيلة محرمة(ابن تيمية، 4/ 21).

2-3 النوازل الفقهية المستفادة من آيات الربا.

المسألة الأولى : بيع و شراء الأسهم.

السهم هو : صكوك تمثل حصصاً في رأس مال شركة، متساوية القيمة، غير قابلة للتجزئة، وقابلة للتداول بالطرق التجارية، وتمثل حقوق المساهمين في الشركات التي أسهموا في رأس مالها، وصورتها بأن يمتلك المساهم في الشركة حصة من الأسهم، سواء كان لغرض الاستفادة من ربحها، أو اتخاذها للمتاجرة بها يبيعاً وشراءً للاستفادة من فرق السعر(عفانة، 2009، ٢٥٩).

اتفق العلماء المعاصرون على جواز تملك أسهم في الشركات ذات الأعمال المباحة، ولا تتعامل بطرق محرمة شرعاً في أعمالها(مجلة مجمع الفقه الإسلامي ، الدورة السابعة : ١ / ٥٤١)، واتفقوا على أن الشركات ذات الأعمال المحرمة، أو الغالب فيها التعامل بالأمور المحرمة شرعاً، يحرم تملك أسهم فيها(الخليل، 1426، 138)، واختلفوا في الشركات ذات الأعمال المباحة، لكنها تتعامل بالحرام أحياناً على قولين:

القول الأول : تحريم المساهمة فيها. وهو ما أفتت به : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء(أحمد الدويش، رقم ٨٧١٥ ، ١٣ / ٤٠٨)، والمجمع الفقهي الإسلامي(المجمع الفقهي الإسلامي، قرارات دورات المجمع الفقهي الإسلامي، رقم (٤)، ٢٩٧-٢٩٨)، ومجمع الفقه الإسلامي(مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة السابعة، ١ / ٥٤١)، وغيرهم. واستندوا في ذلك إلى أدلة منها :

- ١ - قوله تعالى: (وَحَرَّمَ الرِّبَا) (سورة البقرة، ٢٧٥)، نصت الآية على تحريم الربا من غير فصل بين ربا القليل وربا الكثير، فدل ذلك على تحريم المساهمة في شركات تتعامل بالحرام ولو كان قليلاً(ديبان بن محمد، 1432، 3 / ٢٣٧).
 - ٢ - قوله تعالى: (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (سورة المائدة، ٢)، نحن الله أن نتعاون على ما حرمه علينا، والمساهمة في شركات تتعامل بالحرام ولو كان قليلاً من التعاون على معصيته، فدل ذلك على تحريم المساهمة فيها(الخليل، ١٤٣).
- القول الثاني:** جواز المساهمة فيها بشروط، وبه صدر قرار الهيئة الشرعية لشركة الراجحي(المصرف الراجحي، رقم القرار ١٨٢، ١ / ٢٨٣)، ودار الإفتاء بالأردن(موقع دار الإفتاء بالأردن، رقم القرار ٢٧١)، وغيرهم (مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة السابعة : ١ / ١٠٠).

واستندوا في ذلك إلى عدة قواعد، كقاعدة عموم البلوى ورفع الحرج، وقاعدة الحاجة، وقاعدة: يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً، وغيرها(مصرف الراجحي، رقم القرار ١٨٢، ١ / ٢٨٥).

الراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الأول بتحريم المساهمة فيها، للأسباب، منها: القول بالتحريم متفق مع أصول الشريعة وقواعدها، والمساهم في الشركة شريك بقدر ما تملكه من أسهم، فكل معاملة محرمة من الشركة هو شريك فيه (الختلان، ٥٢)، وفيه مصلحة من تشجيع الشركات المختلطة للتخلص مما يشوبها من معاملات محرمة، وكذلك فتح المجال لإنشاء شركات نقية ودعمها بالمساهمة فيها(الخليل، ١٤٤)، وقاعدة: إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام، وقاعدة: درء المفاسد أولى من جلب المصالح (المصدر السابق)

المسألة الثانية: العمل في البنوك التقليدية:

صورتها: أن يعمل مسلم في بنك يتعامل بالربا، سواء كان عمله متعلقاً بالربا أو لا(السعيد، ٢ / ٨٧٧)، فما حكم عمله فيها(أحمد الدويش، رقم القرار ٧٦٥٥، ١٥ / ٥٧).

اتفق العلماء المعاصرون على تحريم العمل بالبنوك الربوية إذا كان العمل مباشراً للربا، واختلفوا في العمل إذا لم يكن له علاقة بالربا على قولين :

القول الأول: تحريم العمل فيها، وهو قول عامة أهل العلم، ومن أفتى به اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (أحمد الدويش، رقم القرار (٧٦٥٥)، ١٥ / ٥٧).

واستندوا بما يلي:

١ - قوله تعالى: (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (سورة المائدة، ٢)، دلالتها نحانا الله أن نتعاون على ما حرمه علينا، والعمل في بنوك تتعامل بالربا ولو كان العمل غير متعلق به من التعاون على ما حرمه الله؛ لأنه يساهم في رفع سمعة البنك، وجذب المزيد من العملاء له، والإعانة على استمرارهم في التعامل بالربا، فدل ذلك على تحريم العمل فيها (أحمد الدويش، رقم القرار (٢٦٠٨)، ١٥ / (٤١).

٢ - حديث: لعن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله، وكاتبه، وشاهديه»، وقال: «هم سواء» (مسلم رقم الحديث ١٥٩٨، ٣ / (١٢١٩).

وجه الدلالة: لحق اللعن الكاتب للربا والشاهد عليه، والربا غير متوقف عليهما، وليس لهما فائدة منه، والعامل في البنك الربوي معين على التعامل بالربا ولو كان عمله غير مباشر له، فدل ذلك على تحريم العمل فيها (السعيد: ٢ / ٨٨٠).

القول الثاني: إباحة العمل فيها، وهو ما أفتت به دار الإفتاء بالأردن (موقع دار الإفتاء بالأردن، رقم الفتوى (٤٦٧)، ودار الإفتاء بالكويت وغيرهم.

واستندوا في ذلك إلى عدة قواعد، كقاعدة الضرورات تبيح المحظورات، وقاعدة: الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة كانت أو خاصة، وغيرها من الأدلة (فتاوى قطاع الإفتاء بالكويت، ١ / ٢٥٨).

الراجع - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الأول بتحريم العمل في البنوك الربوية، للأسباب، منها: أن العمل بالبنك الربوي إذا لم يكن فيه إعانة على الربا، فإنه يستلزم الرضا به؛ لأن من ينكر المحرم لا يمكن أن يعمل لمصلحته، والراضي بالحرام يلحقه من إثم؛ إذا كان العمل في ذاته مشروعاً أصلاً، كالحراسة وأعمال الخدمات العامة، فإنها تحرم إذا ساهمت في ارتكاب محرم كالربا؛ لأن وسائل الحرام حرام (ابن مفلح: ٤ / ١٦٣).

الخاتمة والنتائج:

1. حرم الإسلام كل معاملة مالية تقوم على الاستغلال؛ لأن العدالة تتناهى أو لا تجتمع مع الاستغلال، ويحل محلها الظلم؛ لأن أحدهما قوي يملئ إرادته على الضعيف، والربا من صور الاستغلال، ولقد عم هذا البلاء البلاد الإسلامية كلها، والسبب المباشر هو الاحتلال الاقتصادي بنشر الهيمنة والفساد، والذي نشر الموبقات في بلاد المسلمين.

2. إن إيداع الأموال لدى البنوك الربوية في حالة الخوف عليها من الضياع والسرقة جائزة، شريطة لم يجد وسيلة أخرى شرعية لحفظها، مع عدم أخذ فوائد عليها.

3. أجمع المسلمون على حرمة الربا في الأصناف الستة الواردة في الحديث، ونقل الاجماع بين العلماء على أن آيات الربا نزلت في بيان تحريم ربا الجاهلية، وهو الربا العائد على القرض مقابل الزمن.

4. للربا أضرار كثيرة تغلب على منفعته، وهي تشمل سائر نواحي الحياة، فمنها ما يرجع إلى الجانب الأخلاقي والاجتماعي ومنها ما يرجع إلى الجانب الاقتصادي، ومنها ما يرجع إلى الجانب الإنتاجي.

5. أجمع العلماء على أن الربا محرم، والعمل به كبيرة من كبائر الذنوب، وأجمعوا على أن ربا النسئة محرم، واختلف الفقهاء في حكم ربا الفضل، على قولين، والراجع هو التحريم.

٦- صورة مفهوم ضع وتعجل في المدائنات، شخص عليه دين مؤجل، فيطلب من الدائن أن يحط عنه بعض الدين مقابل التعجيل، واختلف الفقهاء في حكمها على قولين، والراجح هو الجواز .

7- صورة العمل في البنوك التقليدية أن يعمل مسلم في بنك يتعامل بالربا، سواء كان عمله متعلقا بالربا أو لا، واتفقوا على تحريم العمل بالبنوك الربوية إذا كان العمل مباشرا للربا.

المصادر والمراجع:

- (1) ابن العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، الإمام في بعض آيات الأحكام تفسيراً واستنباطاً، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، السعودية، ط1، ١٤٣٦هـ.
- (2) ابن القطان، أبو الحسن بن القطان، الإقناع في مسائل الإجماع، ت: حسن بن فوزي الصعدي، دار الفاروق الحديثة، ط1، ١٤٢٤هـ .
- (3) ابن القيم، ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الفكر، ت: محي الدين عبد الحميد، د.س.
- (4) ابن المفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن المفلح، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1997م.
- (5) ابن النجار، تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار (972هـ)، منتهى الإرادات، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1419هـ - 1999.
- (6) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن العاصي، الرياض، السعودية، مطابع الرياض .
- (7) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط1، 1416هـ - 1995م.
- (8) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدات، ت: د. محمد الحججي، دار الغرب الاسلامي، بيروت . لبنان، ط1، 1998م .
- (9) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: 1252هـ)، حاشية ابن عابدين، دار الفكر - بيروت، ط2، 1412هـ - 1992م .
- (10) ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: 620هـ)، المغني، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، عالم الكتب، الرياض - السعودية، ط3، 1417هـ - 1997م .
- (11) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ .
- (12) ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الاسلامي، ط2، د.س.
- (13) ابن هبيرة، يحيى بن هبيرة محمد الذهلي الشيباني، إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم، ت: محمد حسين الأزهرى، دار العلا، ط1، 2009م .

- 14) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي الألوسي (ت 1270هـ)، روح المعاني / تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.س.
- 15) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- 16) البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي، تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، ت: محمد عبد الله النمر وغيره، دار احياء التراث العربي، بيروت. لبنان، ط1، 1989م.
- 17) البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي (ت: 1051 هـ)، كشف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي - مصطفى هلال، دار الفكر - بيروت، د.ط، 1402هـ.
- 18) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، أحكام القرآن - جمع البيهقي، دار الكتب العلمية، 1975م.
- 19) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998م.
- 20) الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1412هـ.
- 21) الخطاب، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، المعروف بالخطاب الرعي المالك (ت: 954هـ)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1412هـ - 1992م.
- 22) الخليل، أحمد بن محمد الخليل، الأسهم والسندات واحكامها في الفقه الاسلامي، دار ابن الجوزي، ط2، 1426هـ.
- 23) ديان، محمد الديان، المعاملات المالية اصالة ومعاصرة، ط2، 1432م.
- 24) الدويش، أحمد الدويش، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، فتاوى اللجنة الدائمة، بالمملكة العربية السعودية.
- 25) رابطة العالم الاسلامي، مجلة مجمع الفقهي الاسلامي، مكة المكرمة، العدد الحادي عشر.
- 26) الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت: 1004هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1404هـ/1984م.
- 27) الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن اسماعيل، بحر المذهب في فروع المذهب الشافعي، ت: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، ط1، 2009م.
- 28) الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلي الحنفي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى الاميرية، بولاق، القاهرة، ط1، 1314هـ.
- 29) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الائمة السرخسي، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1993م.
- 30) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ) الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
- 31) الشافعي، أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع عبدالمطلب القرشي المكي، الأم، ت: د. رفعت فوزي، دار الوفاء، ط1، 2001م.
- 32) الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.

- (33) الشيرازي، ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، المهذب في فقه الامام الشافعي، زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، ١٤١٦ هـ .
- (34) الصابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1997م.
- (35) العزيزي، محمد رامت عبد الفتاح العزيزي، تحريم الربا في الإسلام والديانتين اليهودية والمسيحية، دار الفرقان، الاردن، ط1، 2004م .
- (36) عفانة، حسام الدين بن موسى، يسألونك عن المعاملات المالية، مكتبة العلمية و دار الطيب، القدس، ط1، 2009م .
- (37) العمراني، عبدالله بن محمد العمراني، المنفعة في القرض، دار كنوز اشبيلية، الرياض، ط2، ١٤٣١ هـ.
- (38) القاضي عبد الوهاب، القاضي ابو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، ت: الحبيب بن طاهر، دار ابن حزم، ط1، 1999م.
- (39) القرطبي، ابو عبدالله احمد بن محمد بن ابي بكر القرطبي(ت: 671هـ)، الجامع لاحكام القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006م
- (40) الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: 587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط2، 1406 هـ - 1986م.
- (41) الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، ابو الحسن الطبري، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي، أحكام القرآن ، ت: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1٤٠٣ هـ.
- (42) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الشهير ، الحاوي الكبير في مذهب الامام الشافعي، ت: الشيخ علي محمد معوض، وغيره، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1٩٩٤م.
- (43) المرداوي، علاء الدين ابو الحسن علي بن سليمان المرداوي، الحنبلي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار احياء التراث العربي، ط2، د.س .
- (44) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.س .
- (45) المصري، رفيق يونس المصري، الجامع في أصول الربا، دار القلم، دمشق، الدار الشامى ط1، 1991م.
- (46) منظمة المؤتمر الاسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الجدة، الدورة السادسة.
- (47) موقع دار الإفتاء بالأردن .
- (48) موقع فتاوى الإفتاء بالكويت .
- (49) النووي، ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، المجموع شرح المهذب، ت: محمد نجيب المطيعي، دار الارشاد، د.ط، د.س .
- (50) الهي، فضل الهي، التداوير الوقاية من الربا في الاسلام، ادرة ترجمان الاسلام، باكستان، 1406 هـ.

الصمدية الربانية ومقتضياتها في العقيدة الإسلامية

م.د. منى ياسين طه الرفاعي

الجامعة العراقية – كلية الآداب – قسم علوم القرآن

dr.munaalrifae@gmail.com

+9647724344972

الملخص

يتناول هذا البحث الموسوم بـ (الصمدية الربانية ومقتضياتها في العقيدة الإسلامية) موضوعاً عقدياً دقيقاً يجمع بين البعد النظري والروحي، وينطلق من تأمل اسم "الصمد" الوارد في سورة الإخلاص، بوصفه أصلاً جامعاً للصفات الإلهية .

ركز البحث على بيان معنى الصمدية في اللغة والاصطلاح، واستعراض خصائصها التي تبرز الكمال الإلهي والتنزيه المطلق، ثم تحليل المقتضيات العقائدية التي تنبثق عن الصمدية، سواء في الصفات النفسية أو السلبية أو صفات المعاني والمعنوية .

كما أضاء البحث على البعد الروحي للصمدية من خلال أقوال أهل التصوف، ومقاماتهم الإيمانية، وأثر ذلك على النفس والسلوك، ليختتم ببيان دور الصمدية في تحقيق المثالية الإيمانية ورفي المجتمعات الإسلامية .

وسعى البحث إلى إبراز وحدة المفاهيم العقدية بين المدارس الكلامية، والتأكيد على أن معرفة الصمدية سبيل لترسيخ التوحيد، والتجرد من التعلقات، وبناء عقيدة نقية تؤسس لمجتمع إسلامي متماسك .

اعتمد البحث منهجاً تحليلياً استقرائياً، جامعاً بين النصوص الشرعية، وأقوال العلماء، والنظر العقلي، بروح إيمانية تقرب الفكرة إلى قلب القارئ وعقله .

الكلمات المفتاحية : الصمدية – العقيدة – التصوف – الصفات الإلهية – خصائص ومقتضيات

The Divine Al-Şamadiyyah and Its Implications in Islamic Creed
DR.Muna Yaseen Taha AL-Rifae
Al-Iraqia University – College of Arts – Department of Qur’anic
Sciences

Abstract :

This research, titled " The Divine Attribute of As-Samad and Its Implications in Islamic Creed ", explores a profound theological concept that bridges doctrinal and spiritual dimensions.

It revolves around the interpretation of the Name As-Samad as mentioned in Surat Al-Ikhlās, presenting it as a unifying foundation for all Divine Attributes.

The study begins by exploring the linguistic and terminological meanings of As-Samad, highlighting its essential traits such as Divine Perfection, Absolute Self-Sufficiency, and Transcendence.

The research further investigates the doctrinal implications of this Attribute, including its relation to the self-attributes, negative attributes, and attributes of meaning. It also delves into the spiritual dimensions of As-Samad, as understood by Sufi scholars, and how these insights shape the believer's character and conduct.

Ultimately, the study demonstrates how the concept of As-Samad contributes to the idealization of faith and the elevation of Islamic societies.

It emphasizes the unifying role of theology (Ilm al-Kalam) in connecting Islamic schools of thought, reinforcing Tawheed, and establishing a solid, spiritually centered belief system.

The research adopts an analytical-inductive approach, blending scriptural references, theological reasoning, and scholarly insights in a spiritually resonant style.

Keywords: Divine As-Samadness, Islamic Creed, Sufism, Divine Attributes, Characteristics, and Implications

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأبرار الميامين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .
أما بعد ...

فإنَّ العقيدة الإسلامية تُعدّ الأساس الذي يُبنى عليه كيان الأمة، والركن المتين الذي تستند إليه في وحدتها وهُوِيَّتها وبقائها. وإنَّ معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته هي لب هذه العقيدة وروحها، وسبيلها إلى ترسيخ الإيمان في النفوس، وتركيز الأرواح، واستقامة السلوك .

ومن بين هذه الصفات الجليلة التي تفرد بها الله سبحانه، تبرز صفة "الصمدية"، تلك الكلمة الرفيعة التي اختارها الله عز وجل عماداً لسورة عظيمة، فكانت بضع آياتها تعدل ثلث القرآن، لما تضمنته من معاني التوحيد والتنزيه والكمال .
لقد جاءت هذه الصفة تحمل في طياتها دلالات لا تنفد، وأسراراً لا يُحيط بها إلا من فتح الله عليه بنور الفهم، وهي - كما سيكشف هذا البحث - صفة جامعة للصفات الإلهية، تشمل النفسية والسلبية والمعاني والمعنوية، وتشكّل أصلاً راسخاً في باب الإلهيات .

ومن هنا، جاءت فكرة بحثي الموسوم بـ (الصمدية الربانية ومقتضياتها في العقيدة الإسلامية) ؛ لتسلط الضوء على الصمدية الربانية لا بوصفها مصطلحاً عقدياً فحسب، بل باعتبارها منهجاً روحياً وسلوكياً وفكرياً، يعمّق المعرفة بالله تعالى، ويهدي المؤمن في سببه إليه، ويُعلي من شأن العقيدة الصحيحة في حياة الفرد والمجتمع .
أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من خصوصية الموضوع الذي يتناوله، إذ أن الصمدية ليست مجرد صفة من صفات الله تعالى، بل هي أصل جامع لكل الصفات الإلهية، وركن أساس في باب الإلهيات، وقد وردت في سورة عظيمة من القرآن الكريم اختُصت بتلخيص معاني التوحيد، مما يجعل التعمق في فهمها أمراً ضرورياً لكل من ينشد سلامة العقيدة، ونقاء التصوّر الإيماني .
كما أن هذا البحث يُسهم في إبراز البعد الروحي للصمدية، بوصفه منبعاً لسلوكيات إيمانية راقية، تجعل المسلم أكثر تحرراً من التعلقات الدنيوية، وأكثر تعلقاً بالله وحده، الأمر الذي يُسهم في بناء إنسانٍ مؤمنٍ نقيٍّ السريرة، مستقيم السلوك، ومن ثم في رُقي المجتمع الإسلامي بأكمله .
أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي :

- 1 . تفسير الصمدية الربانية وتوضيح معناها اللغوي والشرعي، واستقراء خصائصها الذاتية والربانية .
- 2 . إثبات أن الصمدية أصل جامع للصفات الإلهية جميعاً: النفسية، والسلبية، والمعاني، والمعنوية .
- 3 . بيان أثر الصمدية في الفكر الصوفي، واستجلاء مقاماتها عند أهل التصوف، مع الوقوف على أثرها التربوي والروحي .
- 4 . استخلاص المقتضيات العقدية للصمدية الربانية، وكيف تسهم في بناء عقيدة سليمة وفهم دقيق لأسماء الله وصفاته .
- 5 . تسليط الضوء على الأثر السلوكي والاجتماعي لمعرفة الصمدية، في تحقيق المثالية الإيمانية ورُقي المجتمعات الإسلامية .

منهجية البحث

اتباع البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، القائم على :

- التحليل اللغوي للنصوص القرآنية والحديثية المتعلقة بصفة الصمدية .
- استخدام المنهج الاستقرائي في تتبع دلالات الصمدية عبر كتب العقيدة والتفسير والتصوف .
- الرجوع إلى المصادر الأصلية والمعتمدة لدى كل مدرسة عقدية، مع توثيق المعلومات توثيقاً علمياً دقيقاً .

ليكون في نهاية المطاف لبناء المعرفة، ومساهمة متواضعة في خدمة العقيدة، واستلهاماً لروح التوحيد في زمن التفرق والانشغال بالمظاهر دون الجوهر.

وقد تضمن هذا البحث جملة من المباحث التي تناولت :

— المعنى اللغوي والشرعي للصمدية، وخصائصها الربانية .

— بيان علاقتها بجميع الصفات الإلهية، ودورها في توحيدها تحت أصل جامع .

— استجلاء أبعادها الروحية من خلال تحليلاتها في الفكر الصوفي .

— بيان أثر الصمدية في تحقيق المثالية الإيمانية، ووعي المجتمعات الإسلامية نحو الاستقامة والكرامة والعزة.

— وأخيراً التوصيات ، والخاتمة ، والمصادر والمراجع .

أسأل الله تعالى أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا الجهد المتواضع سبباً في رضاه، ووسيلة لتجديد الصلة بين العبد وربه، ومصدر هداية لكل من أراد أن ينهل من معين التوحيد الصافي واليقين الثابت ، فما كان من توفيقٍ فيه، فبفضل الله وكرمه، وما كان من زلل أو تقصير، فأسأل الله العظيم أن يغفره لي وهو الغفور الرحيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول : الصمدية الربانية — المفهوم والخصائص

المطلب الأول : المفهوم اللغوي والشرعي للصمد

أولاً: المعنى اللغوي لكلمة " الصمد "

" الصمد " من الأسماء العظيمة التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : { الله الصمد } (Qur'an, Surah Al-Ikhlâs, 2) ، وقد اعتنى أهل اللغة بهذا الاسم الجليل وبيّنوا ثراءه الدلالي وتعدد معانيه، ومن ذلك

1 . ما قاله ابن منظور في لسان العرب : " الصمد: السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، أي يُقصد ويُرجع إليه دون غيره، وهو الذي كمل في سؤدده، وعظمت صفاته، ولا يُقضى أمرٌ دونه " (Ibn Manzur, 1990, Vol. 8, p. 451).

2 . قول الرازي في مختار الصحاح : " الصمد: السيد المقصود في الحوائج، الذي ليس فوقه أحد " (Al-Razi, 2009, Vol. 1, under root "ṣ-m-d").

3 . قول الزبيدي في تاج العروس : " الصمد هو الذي يُقصد في الأمور كلها، ولا يقصد غيره، الكامل في سؤدده، السيد الذي لا نظير له، ولا يُقضى أمرٌ إلا بإذنه " (Al-Zabidi, 2001, Vol. 5, p. 67).

وعليه فالصمد في اللغة يشير إلى الكمال المطلق في السيادة ، والإستغناء الكامل عن الغير ، والمقصودية المطلقة إليه سبحانه وحده ، والتنزه عن النقص والحاجة .

ثانياً : المفهوم الشرعي لكلمة " الصمد "

عندما نزلت سورة الإخلاص على النبي ﷺ، كانت هذه السورة، بكل آياتها الأربع، تحتزل التوحيد الخالص ، وقد روى الإمام البخاري عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ كان يقرأ سورة الإخلاص كثيراً ويقول : " إنها تعدل ثلث القرآن " (Al-Bukhari, 2001, Vol. 3, p. 99, Hadith No. 4637).

وبيّن العلماء إن اسم "الصمد" الذي ورد في السورة هو جوهر العقيدة التوحيدية، ويجمع في دلالة كل معاني الاستغناء الإلهي والفقر البشري ، يقول الإمام الطبري : " الصمد: هو السيد الذي لا كفاء له، الغني الذي لا يحتاج إلى أحد، ويحتاج إليه كل شيء " (Al-Bukhari, 2001, Vol. 3, p. 99, Hadith No. 4637).

ويقول الإمام الرازي : " الصمد هو الذي يُصمد إليه في الحوائج كلها، وهو الغني عن كل شيء، الكامل في صفاته، المنزه عن النقائص " (Al-Razi, 2000, Vol. 32, p. 142) .

ويقول الإمام الزمخشري : " الصمد هو الذي لا جوف له، ولا يطعم، ولا يحتاج، والسيد المطاع، الكامل في ذاته وصفاته " (Al-Zamakhshari, 2009, Vol. 4, p. 818) .

ويتابعه الإمام التهانوي بقوله : " الصمد هو الذي لا جوف له، ولا يطعم، وهو غني عن غيره، مستغن بذاته، تُرفع إليه الحوائج ولا يُرجى سواه " (Al-Tahanawi, 2006, Vol. 1, p. 19) .

ويقول العلامة الطباطبائي : " الصمد هو الموجود الذي تنتهي إليه الأمور، وتُطلب منه الحوائج، لأنه لا يفقد شيئاً، ولا يعوزه شيء " (Al-Tabataba'i, 1997, Vol. 20, p. 390) .

وبهذا يتضح لنا أن اسم " الصمد " يجمع بين كمال الذات الإلهية ، وغناه المطلق عن كل ما سواه ، وحاجة كل الموجودات إليه ، وتنزيهه عن صفات المخلوقين ، وأنه أصل في كل الصفات الكمالية .

المطلب الثاني : خصائص الصمدية الربانية

سبحان الله الذي تفرّد بالكمال المطلق، وتنزه عن النقص والعيب، وجعل "الصمد" اسمه الجامع لكل صفات الجلال والكمال، فاستحق أن يُقصد في الحوائج، ويُلوذ به عند الكروب، وتُفزع إليه القلوب عند الشدائد .

إن الصمدية الربانية ليست مجرد وصف من أوصاف الله تعالى، بل هي جوهر الألوهية ومركز إشعاعها، و"اسم الله الأعظم" عند من رأى أن "الصمد" يتضمن كل صفات الكمال .

وقد تعددت خصائص الصمدية، وكلها تشير إلى كمال الذات والصفات والأفعال، وسنُفصل القول في أبرز هذه الخصائص وكما يلي :

1 . الكمال المطلق

من أبرز خصائص "الصمد" أنه الكامل في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا عيب فيه ، ولا نقص فيه بوجه من الوجوه، بل كل كمال مطلق فهو له، ومنه يُستمد الكمال النسبي في المخلوقات ، قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى : { الله الصمد } (Qur'an, Surah Al-Ikhlās, 2) : " الصمد هو الذي انتهى سؤدده، وكمل في سؤدده، وفيه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه " (Al-Razi, 2000, Vol. 32, p. 94) .

ويؤيده الإمام القشيري في تفسيره حيث قال : " الصمد: هو الكامل في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا يشوبه نقص، ولا يعرض له تغير، ولا يلحقه فناء " (Al-Qushayri, 2002, Vol. 2, p. 376) .

2 . التنزيه عن كل نقص

تُشير الصمدية إلى تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به، من الولادة والممات، والحاجة والجهل، وجميع أوجه العجز والنقص، وعوارض النفس من لذة وفرح وألم وحزن ، وكل ما يدخل في صفات المخلوقين من قبول النقصان والزيادة ، واعتناء الآفات ،

يقول الشيخ المفيد : " الصمد هو المتعال عن صفات الأجسام، المنزه عن صفات الحداثين " (Al-Mufid, 1993, p. 72) .

، ويقول الشهرستاني في الملل والنحل : " اتفقت الفرق على أن الله تعالى منزه عن الجسمية، والاحتياج، وهذا أصل من أصول الصمدية " (Al-Shahrastani, 1992, Vol. 1, p. 75) .

3 . الإطلاق والربانية

ومن معاني الصمدية الربانية أن الله مطلق في وجوده وربوبيته، وليس محدوداً بزمان ولا مكان، ولا متقيداً ب قيد أو صفة بشرية ، قال ابن عاشور : " فالصمد هو الرب الذي لا تُدرك ذاته، ولا يحيط به عقل، لأنه مطلق غير مقيد، ومنه استحق أن يكون رباً لكل شيء " (Ibn Ashur, 1984, Vol. 30, p. 548) .

4 . الأحدية والإنفراد المطلق

" من خصائص الصمدية: الأحدية الكاملة التي تقتضي الإنفراد التام في الذات والصفات والأفعال، فلا شريك له ولا مثيل ولا ند ولا ضد ، ولا يوصف بصفة أحد ولا يعلوه أحد ، وليس في ذاته تركيب ولا تأليف بوجه من الوجوه ، ولا يورث وإنما هو الفرد الماجد الذي له ميراث السموات والأرض " (Al-Razi, 2000, Vol. 32, p. 363)، يقول الإمام البيضاوي : " الأحد هو الذي لا ثاني له، والصمد هو الذي تُفزع إليه الخلائق في حاجاتها، فاقتزن الوصفان لبيّننا كمال الانفراد والاستحقاق للعبودية " (Al-Baydawi, 1991, Vol. 5, p. 644) .

5 . الحليم والكرم الإلهي

من سمات الصمدية أن الله تعالى يصبر على عباده، ويكرمهم، ويعطي دون مقابل، ويعفو رغم العصيان، لأنه غني عن الخلق كله ، والسيد الذي انتهى سؤده ، يقول الإمام ابن القيم : " الصمد: هو الذي يصمد إليه الخلق في الحاجات، مع علمهم أنه غني عنهم، ولكنه كريم لا يردّ سائلاً، ولا يخيب مؤملاً " (Ibn Qayyim al-Jawziyyah, 1990, Vol. 1, p. 63).

6 . المقصودية المطلقة لله وحده

الصمد هو المقصود وحده في كل أمر، فهو الملجأ، والمعاذ، والجيب، والمستغاث، لا يُقصد غيره بحق ، فهو المصمود الذي تصمد الناس إليه في الحوائج كلها ، يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني (قدس سره) :

" (الله الصمد) أي السيد السند الذي يقصد نحوه ويرجع إليه عموم ما ظهر وبطن من الكوائن والفواسد الكائنة في نشأتها الغيب والشهادة ، والأولى والأخرى ، وهو في ذاته مستغنى عن جميعها مطلقاً " (Al-Gilani, 2009, Vol. 6, p. 452)

وعن الإمام الطحاوي: "من معاني الصمد أنه المقصود في قضاء الحاجات، لأنه وحده القادر المريد العليم" (Ibn Abi Al-) 102 (Izz, 2000, p. 102) .

7 . الذي لم يلد ولم يولد

هذا هو التفصيل المباشر الذي أعقب ذكر "الصمد" في سورة الإخلاص؛ للدلالة على تنزيه الله عن التكاثر والتوالد والاحتياج ، يقول الإمام ابن تيمية : " قوله (لم يلد ولم يولد) بعد (الصمد) يدل على أن كمال الصمدية يقتضي تنزيه الذات عن كل صفات البشر وأوصاف النقص " (Ibn Taymiyyah, 1991, Vol. 9, p. 134).

ويذكر الخطيب الشربيني في تفسيره قول أبي بن كعب في هذا السياق : " هو الذي (لم يلد) ؛ لأن من يلد سيموت ، ومن يرث يورث عنه ، ففسر الصمد بما بعده ... فكونه لم يلد ؛ لأنه لم يجانس ، ولم يفتقر الى من يعينه ، أو يخلف عنه ؛ لامتناع الحاجة والفناء عليه ؛ لدوامه في أبديته " (Al-Khatib Al-Sharbini, n.d., Vol. 4, p. 714) .

ويجمع الشيخ عبدالقادر الجيلاني (قدس سره) بين معنى الصمد وكونه لم يلد ولم يولد بأقوى الحجج العقلية بقوله : " (لم يلد) إذ الإيلاد إنما هو للأخلاف ، وخوف الإنعدام والإنقضاء ، وهو سبحانه بمقتضى قيوميته ووجوب وجوده ودوام بقاءه ، لا يطرأ عليه أمثال هذه النقائص المستلزمة لضبط العاقبة والمآل ، إذ لا يجري عليه انقضاء وانتقال ، وكذا (لم يولد) لذلك ، إذ كل ما ظهر وبطن ، أزلاً وأبداً ، إنما هو منه وبه وله وفيه ، وكل ما فُرض من الموجود أزلاً وأبداً ما هو خارج عن حيطة أظلال أسمائه ، وعكوس

صفاته ، فكيف يُتصور أن يسبقه شيءٌ هو غيره ، مع أنه لاغير في الوجود مطلقاً حتى يلده " (Al-Gilani, 2009, Vol. 6, pp. 452-453).

8 . الذي لاخوف له

ومن معاني "الصمد" عند العرب : المصمت ، الذي لا خوف له، أي ليس من جنس المخلوقات، فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج ؛ لأنه كامل بنفسه كمالاً مطلقاً ذاتياً ، يقول الإمام الرازي : " الصمد هو الذي لاخوف له، ومنه يقال : لسداد القارورة الصماد ، وشيء مصمد أي صلب ليس فيه رخاوة " (Al-Razi, 2000, Vol. 32, p. 362).

يتضح لنا من هذه الخصائص أن الصمدية الربانية هي أصل أصول العقيدة، ومنبع صفات الكمال، وهي دعوة للإنسان أن يُسلم نفسه لله الواحد الأحد، الذي لا يُشارك ولا يُضاهى، الكامل في ذاته وصفاته، المقصود في كل حين، الغني عن كل شيء .

المبحث الثاني : الصمدية كأصل جامع للصفات الإلهية

لا ريب أن صفات الله تعالى في علم العقيدة تُقسّم إلى أقسام متعددة بحسب منهج علماء الكلام، منها ما يُسمى بالصفات النفسية والسلبية والمعنوية والمعاني . وهذه التصنيفات لم تكن إلا محاولات عقلية لفهم حقيقة الكمال الإلهي، دون الخوض في ذات الله جل وعلا، تنزيهاً وتعظيمًا . غير أن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن اسم "الصمد" - وهو الاسم الذي لم يتكرر إلا مرة واحدة في كتاب الله - يحمل دلالات كلية شاملة تعود إليها كل تلك الصفات، وتشير إلى أن الصمدية هي الأصل الجامع، والمرجعية التوحيدية الكبرى التي تتفرع منها سائر الصفات .

ف"الصمد" هو الكامل في ذاته، الكامل في صفاته، الكامل في أفعاله، الغني عن غيره، المحتاج إليه كل من سواه . وهذه الأوصاف لا تنفك عن أي صفة إلهية أخرى، بل تتضمنها وتثبتها وتوجه إدراكنا لمعناها .

من هنا، يسعى هذا المبحث إلى إثبات أن "الصمدية" ليست صفة واحدة بين صفات، بل هي الأصل العقدي الذي تنطوي تحته جميع صفات الجلال والكمال .

وسأقسم هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول: الصمدية والصفات النفسية والسلبية

إن التأمل في بنية الصفات الإلهية كما وضعها علماء العقيدة يكشف لنا أن التصنيف إلى "نفسية"، و"سلبية"، و"معاني"، و"معنوية" ليس مجرد اصطلاح جدلي، بل هو محاولة لإدراك مراتب الكمال الإلهي دون المساس بجلال الذات الإلهية . وفي هذا المطلب سنثبت أن الصمدية تمثل المرجعية التفسيرية العليا للصفات النفسية والسلبية ؛ لأنها تحمل في طياتها معاني الغنى، والكمال، والربوبية، والقيام بالذات، وعدم الحاجة، وكلها معاني تُبنى عليها هذه الصفات .

أولاً: الصمدية والصفة النفسية

الصفة النفسية الوحيدة عند جمهور المتكلمين هي: الوجود ، وقد عبّر عنها الإمام التفتازاني بقوله :

" وأما الصفة النفسية فهي صفة لا يُعقل اتصاف الذات بها إلا بتحقيق الذات نفسه، وهي الوجود " (Al-Taftazani, 2001, p. 77).

والله سبحانه وصف نفسه بـ "الصمد"، أي أنه موجود وجوداً مطلقاً غنياً غير محتاج، قائم بنفسه، محتاج إليه غيره ، وقد فسّر الفخر الرازي الصمد بأنه : " الذي لا خوف له، أي لا فراغ فيه، أي هو الموجود الحق الذي لا يتطرق إليه العدم بوجه من الوجوه " (Al-Razi, 2000, Vol. 32, p. 108).

فالصمدية في جوهرها إثباتٌ لوجود إلهي لا يشوبه نقص ولا احتياج، وهو عين معنى الوجود الذاتي الواجب، وهذا جوهر الصفة النفسية .

ثانيًا: الصمدية والصفات السلبية

الصفات السلبية هي التي تُنزّه بها الذات الإلهية عن النقص ، وهذه الصفات هي : القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية ، وبها تنزه الذات عن : العدم، الحوادث، الفقر، المماثلة للحوادث، الاحتياج، التركيب، التغير، الموت، الجهل ... ونحوها .

والمأمل في معنى "الصمد" يجد أنه يشمل هذه المعاني نفيًا وتنزيهًا ، إذ الصمد هو الذي :

— لا جوف له (أي لا احتياج مادي أو معنوي) .

— لم يلد ولم يولد (نفي الحوادث والمماثلة والافتقار) .

— ليس كمثله شيء (نفي المماثلة للحوادث) .

— لم يكن له كفواً أحد (نفي الندية والجزئية والشبيه) .

يقول القاضي عبد الجبار : " الله صمد، أي لا يحتاج إلى غيره، وكل ما سواه محتاج إليه... وهذه الصفة توجب نفي التركيب عنه، ونفي الشريك، ونفي الفقر، ونفي الحوادث " (Abd al-Jabbar, 1965, p. 145).

كما يقول الإمام أبو الحسن الأشعري : " الصمد: الذي لا حاجة به إلى شيء... ولا يُتوهم عليه نقص ولا شريك ولا مثل " (Al-Ash'ari, 2000, p. 23).

وهذا يدل على أن الصمدية تنزه الله عن جميع النقائص المتصورة، أي أنها تتضمن كل الصفات السلبية مجتمعةً فيها .
إن "الصمدية" ليست مجرد صفة بين صفات، بل هي الأصل في فهم الصفة النفسية "الوجود"، والأصل في تنزيه الله عن كل صفات النقص مناضد "السلبية" التي سلبت أمراً لا يليق به سبحانه ، لأنها تشير إلى كمال في الوجود، وتماز في الغنى، ورفعته في الربوبية، تجعل الله عز وجل متفرداً بكماله، وتنفي عنه كل ما لا يليق .

المطلب الثاني: الصمدية وصفات المعاني والمعنوية

صفات المعاني هي الصفات القائمة بالذات الإلهية، وهي: العلم، القدرة، الحياة، السمع، البصر، الكلام، الإرادة . أما الصفات المعنوية فهي أحكام هذه الصفات، كأن يُقال: (الله عليم، الله قادر، الله حي، الله مريد...) .

وقد اختلفت المدارس الكلامية في تفصيل هذه الصفات وإثباتها، إلا أنها اتفقت على أن الله متصف بها على الوجه الأكمل .
لكن النظرة الأعمق تقودنا إلى أن الصمدية، بما تحمله من كمال ذاتي، وغنى مطلق، واستغناء عن كل ما سواه، هي الأصل الذي تتفرع عنه هذه الصفات، بل تمثل الوعاء التوحيدي لها جميعاً، لأنها شرط في تحققها على أكمل وجه .

أولاً: الصمدية وصفة العلم

الله صمد، أي كامل، والكمال لا يكون إلا بعلم مطلق لا يعتريه جهل ولا نقص ، قال الإمام فخر الدين الرازي : " الصمد هو السيد الذي لا يعزب عنه شيء، ولا يخفى عليه شيء، لأنه لا يحتاج في علمه إلى وسائط أو أسباب " (Al-Razi, 2000, Vol. 32, p. 109) .

ويقول الإمام الطوسي : " الصمدية تفيد غاية التمام، والعلم من صفات الكمال، فيكون ثابتاً له لزوماً " (Al-Tusi, 1999, p. 89) .

فإذا كان "الصمد" لا يخفى عليه شيء، فهو عليم، بعلم أزلي لا يتغير، مستغنٍ فيه عن أدوات البشر ومناهجهم .

ثانيًا: الصمدية وصفة القدرة

"القدرة هي كمال في الفعل، ولا يُتصور أن يكون صمدًا من لا قدرة له على كل شيء"، قال الإمام البيضاوي: "الصمد من له القدرة على كل شيء، لأنه الغني الذي يرجع إليه الخلق، وهذا لا يتحقق إلا بتمام القدرة" (Al-Baydawi, 1991, p. 102).

وإذا كان الله صمدًا يُقصد في كل حاجة، فلا بد أن تكون قدرته مطلقة، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثالثًا: الصمدية وصفة الحياة

الحياة هي أصل كل الصفات، ومن لا حياة له لا يُتصف بغيرها، يقول الإمام الغزالي: "الصمدية تعني تمام الوجود، ولا تمام له إلا بالحياة، فهي شرط في كل كمال" (Al-Ghazali, 2003, p. 74).

فإن عز وجل صمد، لأنه حي لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، وحياته كاملة لا نقص فيها ولا ضعف.

رابعًا: الصمدية وسائر صفات المعاني

"إن الصمدية توجب الغنى المطلق، ومن استغنى عن غيره فلا بد أن يتكلم بكلام يدل به على مشيئته، من غير آلة ولا حرف" (Al-Sharif Al-Murtada, 1995, Vol. 1, p. 212)، فالصمد لا يكون مرغماً أو عاجزاً، بل مريدًا لما يشاء، يخلق ويختار وهذا كمال (الإرادة)، والصمد يسمع دون آلة، ويبصر دون جارحة، كما يليق بجلاله وهذا كمال (السمع والبصر)، والصمد لا يحتاج إلى لفظ أو حرف، بل يتكلم كلامًا يليق به، يُسمع عند من شاء كيف شاء وهذا كمال (الكلام). فالصمدية ليست محاطة بحدود الاصطلاحات، بل هي الجوهر الروحي والعقلي الجامع لكل صفات المعاني والمعنوية. فكما أن الصفات النفسية والسلبية تنبثق عن الصمدية، فإن صفات الكمال - العلم، القدرة، الحياة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام - كلها تجد في "الصمد" حقيقتها العليا، إذ لا تكون الكمالات إلا لمن استغنى، ولا يُتصور غنى مطلق إلا في الصمد الذي {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (Qur'an, Surah Al-Ikhlās, 3-4).

ما بين الوجود الذي لا يُتصور عدمه و"الكمال الذي لا يدخله نقص"، تنبثق الصمدية كأنها النور الأزلي الذي ينساب في كل صفات الجلال والجمال الإلهي.

إنها ليست صفة تُحصر في كتاب أو تعريف، بل هي السرّ الرباني الأعظم الذي تنعكس آثاره على كل معنى من معاني الكمال المطلق.

فالصمد... هو الذي لم يحتج إلى شيء قط، بل يحتاج إليه كل شيء...

هو الذي لا يُدرك إلا بنور الإيمان، ولا يُعرف إلا بخضوع القلب...

هو الكامل في وجوده، الفرد في أحديته، القائم بذاته، القريب من كل داعٍ، والسميع لكل نجوى، والبصير بكل ما في الأرض والسماء.

وحيث يتفكر العبد في هذه المعاني، تحتز روحه وتعلو همته، لأنه يعلم أن الله الذي آمن به ليس كمثله شيء، صمدٌ عظيمٌ كريمٌ مجيبٌ، غنيٌّ عن العالمين.

وحيثها، يتبين للمؤمن أن كل صفة إلهية من صفات الكمال، ليست مستقلة بذاتها، بل مُستتيرة بنور الصمدية، متفرعة من أصلها، راجعة إلى معناها.

فكما أن شمس الظهيرة توزع نورها على الأكوان، كذلك الصمدية توزع كمالها على الصفات، فتجعلها إلهية لا بشرية، سرمدية لا طارئة.

ولذا... من أدرك الصمدية بقلبه، أشرق في نفسه معاني الوحدةانية، وارتقى في مدارج الإيمان، وسكنت روحه بمعرفة الرب الذي لا يُشبهه أحد، ولا يعجزه شيء، ولا يُنال كُنْهه بفكر ولا وهم .

فيا رب، لك الحمد أن عرّفنا بذاتك عبر أسمائك، وأسرت إلى قلوبنا أن نُبصر عظمة (الصمد) في كل كمالٍ نسبح به ... فاجعلنا يا الله ممن يأنسون بك، ويحيون على معرفتك، ويموتون على توحيدك، ويُبعثون في زمرة الموحدين...

المبحث الثالث: البعد الروحي للصمدية – أسرارها عند أهل التصوف
في رحاب التصوف، لا تُقرأ "الصمدية" بعين العقل المجرد فقط، بل تُرتل من أعماق القلب، وتُذوق بنور البصيرة، ويُتنفس معناها في كل ذكر وسجدة وخلوة .

فهو عند القوم باب التوحيد الأخص، ومنبع الفناء عن السوى، وغاية السلوك العرفاني، وعنوان الكمال الإلهي الذي لا يشوبه نقص .

لقد أولى أهل التصوف عنايةً عظيمةً باسم "الصمد"، حتى جعلوه مقامًا من مقامات المعرفة بالله، ورأوا فيه سرّ التوحيد الخالص، والمحراب الذي تحوي إليه أفئدة العارفين .

المطلب الأول: مقامات الصمدية عند الصوفية

لقد كان للصوفية نظرة خاصة في استحضار اسم "الصمد" ضمن مقامات السير والسلوك، إذ وجدوا فيه ملاذًا للروح، وغايةً للعارفين، ومفتاحًا لمعالج القلوب. وفيما يلي عرضٌ لأهم المقامات التي ارتبطت بالصمدية :

أولاً: الصمدية مقام الفناء عن الخلق

الفناء في اصطلاح الصوفية لا يعني انعدام وجود العبد، بل هو انعدام نظره إلى غير الله، فحين يتجلى اسم في قلب المؤمن، يفقد تعلّقه بالأسباب والمخلوقات، ويتحقق في قلبه أن لا ملجأ ولا منجى إلا إلى الله الصمد.
فالصمدية هنا تغرس في النفس شعورًا عميقًا بالاكتماء بالله، وتعلّقًا لا يهتزّ بحكمه وقضائه، حتى يغدو العبد متحرّرًا من سلطان الخلق، لا يرجو إلا وجه الله ولا يخاف إلا سخطه ، يقول الإمام عبد الكريم الجيلي :

" الصمدية هي مقام الغنى المطلق، ومن تحقق بها، استغنى بالله، وفني عن شهود غيره " (Al-Jili, 2004, Vol. 1, p. 99)، ويقول أبو عبد الله القرشي : " العبد إذا تجلّى له الصمد، لم ير في الوجود غيره، وصار كل ما سواه عدمًا في نظره " (Al-Sulami, 2001, p. 211).

ثانيًا: الصمدية مقام الافتقار المطلق

الافتقار المطلق هو أعلى مراتب العبودية، حيث يدرك العبد أن غناه الحقيقي في فقره إلى الله. والعارفون يرون أن الصمدية تُرسّخ هذا المعنى، لأن الله هو المقصود وحده، وكل ما عداه محتاج إليه .
وكلما استشعر العبد هذا الفقر، ازداد قربًا من ربه، ففقره ليس ذلًا، بل هو عزّ العارفين. لذا، فإن تحقيق مقام الافتقار يُثمر الرضا، والخشوع، والتسليم .

ومن عرف الصمد، علم أنه لا باب يُقصد غير بابه، ولا ملجأ من دونه، ولا كمال إلا في حضرته، قال الإمام القشيري : " الصمدية معناها أن الخلق يقصدونه لحوائجهم، فمن علم ذلك، لم يتوجه بقلبه إلى غير مولاه، بل فوض الأمر إليه، وسكن لحكمه " (Al-Qushayri, 1991, p. 312).

ثالثًا: الصمدية مقام التوحيد الخالص

التوحيد عند الصوفية لا يكتمل إلا بتحقيق الصمدية، فالله صمدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، ومن عرف هذا استقامت رؤيته، فلم يرَ في الكون مؤثرًا إلا الله .

ويثمر هذا المقام إخلاصًا تامًا، وزهدًا حقيقيًا، وانقطاعًا عن كل الأسباب التي قد تُشرك القلب عن غير الله. فالموحّد الصادق لا يسكن قلبه لأحد، ولا يركن إلى شيء، لأنه يعلم أن الله وحده هو الكافي .

ففي مقام الصمد، ينعدم الشرك الخفي والجلي، فلا تعلق ولا اعتماد إلا على الله، وتتحرك النفس من الأغيار، وتثبت في مقام "لا إله إلا الله" بحق، قال الإمام الجنيد (قدس سره) : " التوحيد أن تعلم أن الصمدية له وحده، لا شركة معه فيها، فلا ترى فاعلاً إلا إياه، ولا رازقاً إلا هو، ولا قاضياً إلا حكمه " (Al-Tusi, 1985, p. 88) .

رابعاً: الصمدية مقام الحضور الدائم مع الله

العارف لا يغيب عن الصمد، ولا يغفل عن حضرته، فهو دائم التوجه، دائم الذكر، حاضر القلب، لا ينشغل إلا بالواحد الصمد ، فيظل متصلًا بمولاه في كل حال ؛ لأن من أدرك أن الله لا يحتاج لغيره، وأن الخلق كلهم محتاجون إليه، أيقن أن لا ملجأ له إلا الحضرة الإلهية ، فيستيقظ الذكر، وتخشع الجوارح، وتغدو الحياة كلّها صلاة، فهذا المقام هو سرّ المراقبة الدائمة، والاستقامة، وصفاء السريرة ، وفي ذلك يقول الإمام ابن عطاء الله السكندري : " الصمدية مقام السكون الكامل إليه، فلا يتحرك العبد إلا بأمره، ولا يسكن إلا عند ذكره " (Ibn 'Ata' Allah, 2000, p. 122).

إن الصمدية في التصوف ليست مجرد صفة من صفات الله تعالى، بل هي مراقبة في طريق السلوك، ومقام من مقامات العرفان، بما يُعرف التوحيد، ويُحقق الإخلاص، وتُبنى الثقة الكاملة بالله وحده .

فمن تحقق بحقيقة الصمدية، فني عن الخلق، وامتلأ قلبه بالله، وسكن إلى علمه وقدرته، وعاش مطمئنًا برب لا يعتريه نقص، ولا يشبهه أحد .

المطلب الثاني: أثر الصمدية على النفس والسلوك

إنّ اسم الله (الصمد) ليس مجرد صفة من صفات الكمال، بل هو منبع إشعاع روحي يُنير دروب السالكين، ويهذب نفوس المؤمنين، ويغرس فيهم معاني الانكسار، والتوكل، والتجرد لله الواحد الأحد . فمتى استقرت الصمدية في قلب العبد، أحدثت انقلاباً عميقاً في سلوكه، وزلزلت أوتاد التعلّق بغير الله، ورفعت مقامه في مدارج الإيمان . وفيما يلي أبرز الآثار التي تُحدثها الصمدية في نفس المؤمن وسلوكه :

1 . ترسيخ التوكل الحقيقي والاعتناق من الخوف من الخلق

حين يدرك المؤمن أنّ الله صمدٌ لا يحتاج إلى أحد، وأنّ كل الخلائق فقيرة إليه، يذوق طعم التوكل الحق ، ويصبح قلبه مطمئنًا، لا يرتجف عند النوائب، ولا يرتعب من البشر؛ لأنه يعلم أن لا رازق إلا الله، ولا ناصر إلا هو، ولا ملجأ إلا إليه . " فالطمأنينة حال رفيعة ، لا يحظى بها إلا عبد قد رجح عقله وقوي إيمانه ، ورسخ علمه ، وصفا ذكره ، وثبتت حقيقته وضبطت دواعي شهوته " (Al-Tusi, 1985, p. 67).

قال الإمام ابن عطاء الله السكندري : " إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء، لغيبته عن الله في كل شيء، فلو شهدوه في كل شيء، لم يستوحشوا من شيء " (Ibn 'Ata' Allah, 2000, p. 108)، وخير ما نستشهد به هنا عن هذا المعنى مقالته الحارث المحاسبي للجنيد البغدادي (تقدست أسرارهم) والذي كان _ أي الجنيد _ يُكثر من قوله : عزلي أنسي ، فأجابه الحارث بقوله : " كم تقول لي : أنسي في عزلي ، لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنسا ، ولو أن النصف الآخر نأى عني ما استوحشت لبعدهم " (Abu Nu'aym, 1988, Vol. 10, p. 74)؛ لأنسه بالله تعالى وانشغاله به دون سواه .

2 . تعزيز الإخلاص ونقاء النية

الصمدية تطهر النية، وتنقي القلب من الرياء، لأنها تعلّم المؤمن ألا يقصد في أعماله إلا الله، فهو وحده الصمد، الذي تُرفع إليه الحاجات، وتُبتغى مرضاته .

فمن تمكّنت الصمدية من قلبه، غدا مخلصاً في عبادته، نقيّاً في دعائه، لا يُريد من الناس شيئاً، ولا ينتظر منهم جزاءً ولا شكوراً .
 فالإخلاص " هو نور من نور الله يستودعه قلب عبده المؤمن فيقطعه به عن غيره، لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله " (Mahmoud, 1967, p. 119, with adaptation)، ولا يمكن لهذا النور أن ينجلي لقلوب المؤمنين إلا إذا قطعوا آمالهم عن الخلق وتوجهوا بكليّتهم الى الحق ، يقول الإمام القشيري : " الإخلاص أفراد الحق في الطاعة بالقصد " (Al-Yafi'i, 2000, p. 261).

وقال الشيخ أبو طالب المكي : " الإخلاص عند الموحدين هو خروج الخلق من النظر إليهم في الأفعال، وترك السكون والاستراحة بهم في الأحوال " (Al-Makki, n.d., Vol. 2, p. 73) .

ولا يتحقق الإخلاص إلا بتحقيق علاماته ، والتي يبينها سلطان العارفين الشيخ عبدالقادر الجيلاني (قدس سره) بقوله : " علامة إخلاصك أنك لا تلتفت إلى حمد الخلق، ولا إلى ذمهم، ولا تطمع فيما في أيديهم، بل تعطي الربوبية حقها، تعمل للمنع لا للنعمة، للمالك لا للملك، للخلق لا للبطل " (Al-Gilani, 2007, pp. 190–191) .

3 . التحرر من التعلقات الدنيوية

القلوب المعلقة بالمال، أو الجاه، أو البشر، قلوب لم تذق بعد حلاوة الصمدية. فمن عرف أن الله هو المقصود وحده، وتجرد عن الركون الى كل ما هو فانٍ ، وتعود على الإرتقاء بالروح لله مسبب الأسباب ، واستشعر يقيناً أنه سبحانه هو وحده الضار والنافع ، والمعطي والمانع ، سقطت من عينيه كل الأغيار، وزهد في كل ما سوى الله ، وانحالت عليه عطايا الله وفتوحه الربانية ، يقول الإمام سفيان الثوري : " إذا زهد العبد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه ، وأطلق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها " (Abu Nu'aym, 1988, Vol. 6, p. 387).

4 . بعث الأمل في القلوب المنكسرة

الصمدية بلسم الجراح، وسكينة المنكسرين، لأنها تقول للمهموم والمظلوم والفقير: إن باب الله لا يغلق، وإن الصمد يسمعك، ويراك، ويكفيك ، فلا وسيط بينك وبينه، ولا حاجة لذّل السؤال أمام الخلق ، فقط كن مع الله يكن الله معك ، يقول تعالى : { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } (Qur'an, Surah Al-Hadid, 4)، وقال سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } (Qur'an, Surah Al-Nahl, 128).

فأمنوا بالله ووحدايته وصمديتهواتقوه ، تنالوا الخير كله وتحظوا بمعية الله عز وجل ، فلا غالب لكم ، ولا رادّ لفضله عنكم ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (Qur'an, Surah Muhammad, 7)، وقال سبحانه : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } (Qur'an, Surah At-). (Talaq, 2–3).

5 . السمو الأخلاقي والرحمة بالخلق

العبد الذي يستمدّ من اسم الله "الصمد" فهماً حقيقياً، يتطهر قلبه من التكبر والغرور، ويشعر بتواضع دائم، لأنه يعلم أن كل حوله وقوته مستمدة من الصمد، وأنه عبد فقير لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

ومن تواضع لله، رحم الخلق، وأحسن إليهم ؛ لأن قلبه ممتلئ بالله لا بحاجة للانتقام أو الجفاء ، لذلك حين سئل الإمام الجنيد (قدس سره) عن التواضع قال : " خفض الجناح للخلق، ولين الجانب لهم " (Al-Qushayri, 1991, p. 278) .
 فالتواضع " أن لا ترى لنفسك قيمة، فمن رأى لها قيمة فليس له في التواضع نصيب " (Ibid., p. 382).

على عكس الاستعلاء والغرور والتكبر ونحوها من آفات النفس التي تعيق الوصول الى الله ، وتودي بصاحبها الى الهلاك ؛ لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " (Muslim, n.d., Vol. 1, p.) .

الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما، قذفته في النار" (93, Chapter: Prohibition and Clarification of Arrogance Abu Dawud, 2009, Vol. 3, p. 459).

فلا يغتر إلا من قلّ عقله ونقص إيمانه، يقول الإمام محمد الباقر بن الحسين بن علي (عليهم السلام): "ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قلّ أو كثر" (Abu Nu'aym, 1988, Vol. 3, p. 180)، فهو من أعظم الآفات المهلكة، قال الشيخ المحاسبي: "الكبر عظيم الآفات، عنه تشعب أكثر البليات، يستوجب به من الله عز وجل سرعة العقوبة والغضب؛ لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل، ولا يليق ولا يصلح لمن دونه؛ إذ كل من سواه عبد مملوك، وهو المليك الإله القادر؛ فعظم عند الله عز وجل الكبر ذنبًا؛ إذ كان لا يليق بغيره، فإذا فعل العبد ما لا يليق إلا بالمولى جلّ وعزّ اشتد غضب المولى تعالى عليه.. فيستحق المتكبر أن يقصمه الله عز وجل ويحقره ويصغره؛ إذ جاز قدره، وتعاطى ما لا يصلح لمخلوق.. (Al-Muhasibi, 1996, pp. 299–301).

إن الصمدية ليست فقط علمًا يُحفظ، بل نورًا يُعاش، وحالًا يسكن القلب، وأدبًا في السلوك، وسموًا في العبادة، وطريقًا للنجاة في الدنيا والآخرة، فمن أراد أن يكون عبدًا لله بحق، فليكن عبدًا للصمد، يلجأ إليه وحده، ويأنس به وحده، ويدوب فيه حبًا وخضوعًا وتسليمًا.

المبحث الرابع: أثر الصمدية في تحقيق المثالية الإيمانية ورفي المجتمعات الإسلامية
إن أعظم ما تُثمره معرفة "الصمدية الربانية" في قلب المؤمن، هو تحقيق المثالية الإيمانية، تلك المثالية التي تُهذب النفس، وتُعلي الهمة، وتوجه القلب توجيهًا مستقيمًا نحو الغاية العليا: رضوان الله تعالى.

فالصمد - كما سبق بيانه - هو الكامل في ذاته، المنفرد في صفاته، الغني عن كل ما سواه، والمقصد لكل خلقه في حوائجهم، والملجأ في شدائدهم، والمأمول في رغائبهم.

وما إن تتجلى هذه المعاني في قلب المؤمن، حتى تُحدث فيه زلزلة وجدانية، تعيد ترتيب أولوياته، وترزع فيه بذور التجرد والإخلاص والسمو عن الدنایا، فلا يرى غير الله مقصدًا، ولا يركن لغيره اعتمادًا، ويجعله يسعى نحو الكمال الممكن في حدود بشريته، ويقترّب من المثالية الإيمانية التي تنعكس على أخلاقه، ومعاملاته، ومواقفه.

وقد أشار الإمام الغزالي إلى هذا المقام بقوله: "إن العارف إذا ثبت قدمه في معرفة صفات الرب تعالى، نظر إلى ما أمكنه من التشبه بها في حدود العبودية، فتراه حليمًا كريمًا رحيماً، صبورًا متسامحًا، لأنه علم أن الله كذلك، وأحب أن يتخلق بأخلاق من يحبه" (Al-Ghazali, n.d., Vol. 4, p. 155)، وهذا هو لبّ المثالية: أن يرى المؤمن في معرفة الله بابًا لتزكية النفس، لا مجرد علم نظري، بل علم يُهذب القلب ويشع في السلوك.

من جانب آخر نرى للصمدية أثر كبير في ضبط نوازغ النفس، وتهذيب القلب من التعلق بالمخلوق، وتذويب الكبر والأنانية من النفس، وزرع التواضع والإفتقار إلى الله تعالى فيها.

قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني (قدس سره): "إذا علمت أن الله هو الصمد، علمت أن غيره لا يُغني عنك شيئًا، فلا ترى في قلبك عزة إلا بالله، ولا رغبة إلا إليه، فتزول الحُجب وتظهر الحقيقة" (Al-Gilani, 2007, Vol. 2, p. 122).

وهذا هو جوهر المثالية: بأن يتخلص القلب من كل تعلق دنيوي، ويثبت في سماء الإخلاص والطهر واليقين.

أما أثر الصمدية على رُقي المجتمعات، فحينما تتشبع النفوس بعقيدة الصمدية، فإن المجتمعات تُشفى من أدواء التبعية، والتعلق بالمخلوق، وتُبنى على أسس الكرامة، والعدالة، والإيثار، والاعتماد على الله في كل أمر.

وليس غريباً أن يكون هذا المبدأ (التعلق بالصمد وحده) سبباً في قوة المجتمعات الإسلامية في عصور ازدهارها، إذ كان المسلم يرى في ربه ملجأه، وفي دينه عزه، وفي إخوانه عضده، فانطلق في عمارة الأرض بقلبٍ مطمئن ويقين راسخ . وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الحالة بقوله : " إنَّ المجتمعات التي تنبني على عقيدة سليمة في الإله، تنشأ فيها القيم، ويزدهر فيها العمل، وتسمو فيها النفوس، لأنها تتجه إلى كمالٍ أعلى لا يُدرك إلا بالعمل الصالح والنظام الراسخ " (Ibn Khaldun, n.d., p. 245).

ولذلك، فإن الصمدية الربانية ليست مجرد صفة عقدية، بل هي مفتاح بناء الحضارة الإسلامية، لأنها تحرر الإنسان من الخوف والتبعية والانكسار لغير الله، وتجعله ينهض من داخله، فيبني أسرته ومجتمعه وأمتة على أساس من الإيمان والعزيمة . فالصمدية الربانية تشكل نواةً للمثالية الإيمانية لأنها تجمع صفات الكمال الإلهي، فيستلهم منها المؤمن طريق الرقي الروحي والتخلّق بأسمى الأخلاق، وتُسهم في بناء مجتمع راقٍ حرٍّ، مستقل، متسامح، قائم على العدالة والكرامة الإنسانية، وتجعل من الإيمان بالله قوة محركة للفرد والمجتمع نحو كل ما هو نافع ورفيع، ولذلك فإن إدراك معنى "الصمد" ليس مسألة عقدية فقط، بل هو مفتاح في طريق نهضة الأمة وإصلاح القلوب .

فالحمد لله الذي أكرمنا بصمديته، وأمرنا بتوحيد عبادته، وألهم قلوبنا أن تقصده، وجعل أرواحنا تفرغ إليه في غربتها، وتدوب خضوعاً بين يدي رحمته، وتنكسر النفوس طمعاً ورجاءً لعظمته ... لتشرق أنوار صمديته وأحديته على الروح والقلب والجوارح، وتسمو بشريعته، وتبلغ بها كمال الإنسانية وتتمام العبودية .

التوصيات

- في ختام هذا البحث المبارك، ومن خلال ما تم عرضه من مباحث علمية وروحية حول (الصمدية الربانية ومقتضياتها في العقيدة الإسلامية)، يمكن تقديم التوصيات الآتية :
- 1 . الدعوة إلى إحياء المفاهيم العقدية القرآنية الأصيلة، وعلى رأسها مفهوم "الصمدية"، بوصفه مفهوماً جامعاً يُرسي دعائم التوحيد الحقيقي، ويُهذب النفس، ويُزكي المجتمع .
 - 2 . ضرورة إدماج البُعد الروحي في الدراسات العقدية، وتجاوز النمط الجدلي الجاف، لأن العقيدة حين تخاطب القلب والعقل معاً تكون أكثر رسوخاً وأبلغ أثراً في سلوك المسلم .
 - 3 . تشجيع الباحثين في العقيدة الإسلامية على دراسة الصفات الإلهية من منظور تكاملي، يُراعي تداخل الصفات وتكاملها، ويُبرز الصمدية بوصفها محوراً تلتقي عنده كل المعاني الإلهية العليا .
 - 4 . الاستفادة من التراث الصوفي الرشيد في تعميق الفهم الروحي للعقيدة، وخاصة في ما يتعلق بتربية النفس على التعلق بالله وحده، والتحرر من أسر الدنيا، والسمو بالروح .
 - 5 . توجيه الخطاب الديني المعاصر إلى إبراز أثر العقيدة الصحيحة في بناء الفرد والمجتمع، وإبراز كيف أن الإيمان الحقيقي ينعكس سلوكاً راقياً، وعلاقات متوازنة، وتضامناً مجتمعياً .
 - 6 . التركيز في المناهج التعليمية على القيم العقدية الراسخة، وتنقية التصورات العقائدية من الشوائب الفلسفية الجدلية المفرطة، عبر تقديم العقيدة بلغة قرآنية مبسطة، ذات بُعد روحي وسلوكي .
 - 7 . الحث على نشر أبحاث علمية تجمع بين أصالة العقيدة، وعمق الفكر، وصدق الروح، وتكون ذات نفع عملي في واقع الأمة، وتسهم في تحقيق وحدتها الفكرية والروحية .

8 . التأكيد على أن الصمدية ليست مجرد صفة نظرية، بل هي منهج حياة، ومنظومة قيم، ومصدر طمأنينة، ونبع اعتزاز للمسلم في كل زمان ومكان .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد .. فقد سعى هذا البحث الموسوم بـ (الصمدية الربانية ومقتضياتها في العقيدة الإسلامية) إلى تسليط الضوء على إحدى أعظم الصفات الإلهية وأشدها جلالًا وتأثيرًا، تلك الصفة التي وردت في سورة الإخلاص، وجاءت في موضع التوحيد المحض، وهي صفة "الصمد"، بما تحمله من دلالات الكمال المطلق، والغنى التام، والتنزيه الكامل لله تعالى عن كل نقص أو حاجة . وقد أسفرت دراستي لهذا الموضوع عن النتائج الآتية :

- 1 . الصمد في اللغة يشير الى الكمال المطلق في السيادة ، والاستغناء الكامل عن الغير ، والمقصودية المطلقة إلى الله سبحانه وحده ، والتنزه عن النقص والحاجة .
- 2 . الصمد في الاصطلاح يجمع بين كمال الذات الإلهية ، وغناه المطلق عن كل ما سواه ، وحاجة كل الموجودات إليه ، وتنزيهه عن صفات المخلوقين ، وأنه أصل في كل الصفات الكمالية .
- 3 . للصمدية خصائص ربانية تتمثل في الكمال المطلق ، والتنزيه عن كل نقص ، والإطلاق والربانية ، والأحادية والإنفراد المطلق ، والحلم والكرم الإلهي ، والمقصودية المطلقة لله وحده ، وأنه الذي لا جوف له ، ولم يلد ولم يولد .
- 4 . الصمدية الربانية هي أصل أصول العقيدة، ومنبع صفات الكمال ، فهي ليست صفة واحدة بين صفات، بل هي الأصل العقدي الذي تنطوي تحته جميع صفات الجلال والكمال .
- 5 . الصمدية في جوهرها إثبات لوجود إلهي لا يشوبه نقص ولا احتياج، وهو عين معنى الوجود الذاتي الواجب، وهذا جوهر الصفة النفسية .
- 6 . الصمدية تنزه الله عن جميع النقائص المتصورة، أي أنها تتضمن كل الصفات السلبية مجتمعةً فيها .
- 7 . الصمدية هي الجوهر الروحي والعقلي الجامع لكل صفات المعاني والمعنوية . فكما أن الصفات النفسية والسلبية تنبثق عن الصمدية، فإن صفات الكمال — العلم، القدرة، الحياة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام — كلها تجد في "الصمد" حقيقتها العليا .
- 8 . أولى أهل التصوف عنايةً عظيمةً باسم "الصمد"، حتى جعلوه مقامًا من مقامات المعرفة بالله، ورأوا فيه سرَّ التوحيد الخالص، والمحراب الذي تحوي إليه أفئدة العارفين .
- 9 . للصمدية مقامات عالية عند الصوفية ، أهمها : مقام الفناء عن الخلق ، ومقام الإفتقار المطلق ، ومقام التوحيد الخالص ، ومقام الحضور الدائم مع الله سبحانه وتعالى .
- 10 . الصمدية تُحدث آثاراً عظيمة في نفس المؤمن وسلوكه ، أبرزها : ترسيخ التوكل الحقيقي ، والإنعتاق من الخوف من الخلق ، وتعزيز الإخلاص ونقاء النية ، والتحرر من التعلقات الدنيوية ، وبعث الأمل في القلوب المنكسرة ، والسمو الأخلاقي والرحمة بالخلق .
- 11 . الصمدية ليست فقط علمًا يُحفظ، بل نورًا يُعاش، وحالًا يسكن القلب، وأدبًا في السلوك، وسموًا في العبادة، وطريقًا للنجاة في الدنيا والآخرة .

12 . حينما تشيع النفوس بعقيدة الصمدية، فإن المجتمعات تُشفى من أدواء التبعية، والتعلق بالخلق، وتُبنى على أسس الكرامة، والعدالة، والإيثار، والاعتماد على الله في كل أمر .

المصادر والمراجع

The Holy Qur'an.

- Al-Ash'ari, A. H. (2000). Al-Ibanah 'an Usul al-Diyanah(F. S. Al-Rifa'i, Ed.). Beirut, Lebanon: Al-Rayan Publishing.
- Al-Baydawi, A. S. (1991). Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil. Beirut, Lebanon: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Baydawi, A. S. (1991). Tawali' al-Anwar fi 'Ilm al-Kalam(H. Al-Shafi'i, Ed.). Cairo, Egypt: Institute of Arabic Research.
- Al-Farabi, M. J. (1999). Jami' al-Bayan fi Ta'wil Ay al-Qur'an(A. Shakir, Ed.). Beirut, Lebanon: Al-Risalah.
- Al-Ghazali, A. H. (n.d.). Ihya' 'Ulum al-Din. Beirut, Lebanon: Dar al-Ma'rifah.
- Al-Ghazali, A. H. (2003). Al-Iqtisad fi al-I'tiqad(A. A. Abu al-Nasr, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Gilani, A. Q. (2007). Al-Fath al-Rabbani wa al-Fayd al-Rahmani. Baghdad, Iraq: Al-Jamal Publications.
- Al-Gilani, A. Q. (2009). Tafsir al-Gilani(M. F. Al-Gilani, Ed., 5th ed.). Istanbul, Turkey: Gilani Center for Scientific Research.
- Al-Hamadhani, A. J. (1965). Sharh al-Usul al-Khamsah (A. Osman, ed.). Cairo, Egypt: Dar al-Ansar.
- Al-Khatib al-Sharbini, M. (n.d.). Al-Siraj al-Munir(I. Shams al-Din, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Makki, A. T. (n.d.). Qut al-Qulub(A. I. Al-Kayyali, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Mufid, A. A. (1993). Awail al-Maqalat(J. Ja'far, Ed.). Qom, Iran: Islamic Research Complex.
- Al-Muhasibi, H. A. (1996). Al-Ri'ayah li Huquq Allah(A. A. 'Atta, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Qushayri, A. K. (1991). Al-Risalah al-Qushayriyyah(A. Mahmoud, Ed.). Cairo, Egypt: Dar al-Ma'arif.
- Al-Qushayri, A. K. (2002). Lata'if al-Isharat(I. Al-Bisyuni, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Razi, F. D. (2000). Mafatih al-Ghayb (al-Tafsir al-Kabir). Beirut, Lebanon: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Razi, M. B. A. B. (2009). Mukhtar al-Sihah(M. N. Al-Hafri, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr.
- Al-Shahrastani, M. A. (1992). Al-Milal wa al-Nihal(2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Ma'rifah.

- Al-Sharif al-Murtada. (1995). Al-Dhakirah fi 'Ilm al-Kalam(A. Al-Husayni, Ed.). Najaf, Iraq: Al al-Bayt Foundation.
- Al-Sulami, A. A. (2001). Tabaqat al-Sufiyyah(N. Shuraybah, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Tabataba'i, M. H. (1997). Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an(2nd ed.). Beirut, Lebanon: Al-'Alamiyyah Foundation.
- Al-Taftazani, S. D. (2001). Sharh al-'Aqa'id al-Nasafiyyah(2nd ed.). Beirut, Lebanon: Al-Ma'arif al-Nu'maniyyah.
- Al-Tahanawi, M. A. (2006). Kashshaf Istilahat al-Funun(A. Dahruj, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Tusi, A. N. (1985). Al-Luma' fi al-Tasawwuf(A. Mahmoud, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Tusi, N. D. (1999). Talkhis al-Muhassal(H. Muzhaffar, Ed., 2nd ed.). Tehran, Iran: University of Tehran Publications.
- Al-Yafi'i, A. A. (2000). Nashr al-Mahasin al-Ghaliyah fi Fadl al-Mashayikh al-Sufiyyah(K. Imran, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Zabidi, M. A. (2001). Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus(Group of Editors, Eds.). Cairo, Egypt: Dar al-Hidayah.
- Al-Zamakhshari, M. O. (2009). Al-Kashshaf 'an Haqa'iq al-Tanzil(A. Al-Mahdi, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Ibn 'Ata' Allah al-Sakandari. (2000). Al-Hikam al-'Ata'iyah(S. Hawwa, Ed.; Ibn 'Abbad al-Nafzi, Commentary). Cairo, Egypt: Dar al-Salam.
- Ibn Abi al-'Izz. (2000). Sharh al-'Aqidah al-Tahawiyyah(Sh. Al-Arna'ut, Ed.). Beirut, Lebanon: Al-Risalah.
- Ibn Ashur, M. T. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir. Tunis, Tunisia: Dar Suhnun.
- Ibn Khaldun. (n.d.). Al-Muqaddimah. Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr.
- Ibn Manzur, M. M. (1990). Lisan al-'Arab. Beirut, Lebanon: Dar Sadir.
- Ibn Qayyim al-Jawziyyah, M. A. (1990). Madarij al-Salikin(M. H. Al-Faqi, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kitab al-'Arabi.
- Mahmoud, A. (1967). Abu al-Hasan al-Shadhili: The Sufi Mujahid and Knower of God. Cairo, Egypt: Dar al-Katib al-'Arabi.
- .36 Muslim, A. H. (n.d.). Sahih Muslim(M. F. 'Abd al-Baqi, Ed.). Cairo, Egypt: Dar al-Hadith.
- .37 Al-Nu'man, A. A. (2001). Sharh al-'Aqa'id al-Nasafiyyah. Beirut, Lebanon: Al-Ma'arif al-Nu'maniyyah.
- .38 Shakir, A. (1999). Jami' al-Bayan fi Ta'wil Ay al-Qur'an(Ed.). Beirut, Lebanon: Al-Risalah.
- .39 Shams al-Din, I. (n.d.). Al-Siraj al-Munir(Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- .40 Zabidi, M. A. (2001). Taj al-'Arus(Group of Editors, Eds.). Cairo, Egypt: Dar al-Hidayah.

الذكاء الاصطناعي وعلاقته بمهارة التدريس عند مدرسي المرحلة الثانوية

أ. م. د. سعد قدوري الخفاجي
المديرة العامة لتربية ذي قار - العراق
art21en2e6@utq.edu.iq
009647801185117

م.م. دعاء عبد الكريم رحيم
كلية التربية الأساسية -
جامعة بابل - العراق
Dbarmany@gmail.com
009647819207312

الملخص

هدف البحث الحالي الى معرفة الذكاء الاصطناعي وعلاقته بمهارة التدريس عند مدرسي المرحلة الثانوية اتبع الباحثان المنهج الوصفي وتم اختيار عينة عشوائية من مدرسي ومدرسات المرحلة الثانوية مكونة من (153) مدرسا ومدرسة التابعين الى المديرية العامة لتربية ذي قار \ قسم تربية الناصرية . قام الباحثان ببناء اداة لقياس مدى استخدام الذكاء الاصطناعي من قبل عينة البحث مكونة من (3) مجالات وفي كل مجال (10) فقرات وبذلك يصبح مجموع الفقرات (30) فقرة. أما الاداة الثانية كانت لقياس مهارة التدريس وتكونت من (3) مجالات وفي كل مجال (8) فقرات وبذلك يصبح مجموع الفقرات (24) فقرة . وتم التأكد من الخصائص السيكومترية لكل منها , وتم تطبيق الاداتين على عينة البحث وباستعمال الوسائل الاحصائية المناسبة , اظهرت نتائج البحث وجود علاقة ارتباطية قوية بين استخدام الذكاء الاصطناعي ومهارة التدريس عند مدرسي المرحلة الثانوية , ويمكن تفسير ذلك على انه كلما زاد استخدام الذكاء الاصطناعي في المدارس الثانوية ازدادت مهارة التدريس عند مدرسي ومدرسات المرحلة الثانوية , وفي ضوء نتائج البحث , وضع الباحثان مجموعة من التوصيات والمقترحات .

ومن اهم التوصيات :

- 1- ضرورة تقديم دعم معنوي للهيئات التدريسية لغرض استخدام الذكاء الاصطناعي في عملية التدريس.
- 2- عقد دورات وندوات في قسم الاعداد والتدريب لتدريب المدرسين كيفية استخدام الذكاء الاصطناعي في التدريس .

ومن اهم المقترحات :

- 1- اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على عينة من مدرسي المدارس الابتدائية .
- 2- اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية لايجاد علاقة ارتباطية بين استخدام الذكاء الاصطناعي في عملية التدريس واثره في تحصيل الطلبة في مواد دراسية معينة .

الكلمات المفتاحية : الذكاء الاصطناعي , مهارة التدريس , المرحلة الثانوية

Artificial intelligence and its relationship to teaching skills among secondary school teachers

Assistant Professor

Assistant Professor

Dr. Saad Qaddouri Al-Khafaji Duaa Abdul Karim Rahim
College of Basic Education General
Directorate of Education in DhiQar
University of Babylon

Abstract:

The current research aimed to understand the relationship between artificial intelligence and teaching skills among secondary school teachers.

The researchers followed a descriptive approach and selected a random sample of 153 secondary school teachers, both male and female, affiliated with the General Directorate of Education in DhiQar, Nasiriyah Education Department.

The researchers constructed a tool to measure the extent of artificial intelligence use by the research sample. The tool consisted of (3) domains, with (10) paragraphs in each domain, bringing the total number of paragraphs to (30).

The second tool measured teaching skills and consisted of (3) domains, with (8) paragraphs in each domain, bringing the total number of paragraphs to (24).

The psychometric properties of each tool were verified, and the two tools were applied to the research sample using appropriate statistical methods. The research results showed a strong correlation between the use of artificial intelligence and teaching skills among secondary school teachers. This can be interpreted as meaning that the more artificial intelligence is used in secondary schools, the more teaching skills are increased among secondary school teachers. In light of the research results, the researchers developed a set of recommendations and proposals.

The most important recommendations include:

1. The need to provide moral support to faculty members to use artificial intelligence in the teaching process.
2. Holding courses and seminars in the Department of Preparation and Training to teach teachers how to use artificial intelligence in teaching.

The most important proposals include:

1. Conduct a study similar to the current study on a sample of primary school teachers.
2. Conduct a study similar to the current study to find a correlation between the use of artificial intelligence in the teaching process and its impact on student achievement in specific subjects.

Keywords: Artificial Intelligence, Teaching Skills, Secondary School

الفصل الأول

التعريف بالبحث

اولا : مشكلة البحث

رغم التطور الكبير الذي يشهده التعليم في العصر الرقمي، ما زال العديد من مدرسي المرحلة الثانوية يعتمدون على الأساليب التقليدية في التدريس، مما قد يحد من فاعلية العملية التعليمية. ومع بروز تقنيات الذكاء الاصطناعي كأداة مساعدة في تخطيط الدروس، وإدارة الصفوف، وتقديم التغذية الراجعة الفورية، واثارة دافعية الطلبة، ظهرت الحاجة إلى معرفة مدى قدرة المدرسين على توظيف هذه التقنيات في تحسين مهاراتهم التدريسية. إلا أن هناك فجوة واضحة بين الامكانيات المتاحة وبين مستوى استثمارها فعليا داخل الصفوف الدراسية، هذه الفجوة قد تعود الى ضعف حول طبيعة العلاقة بين استخدام الذكاء الاصطناعي ومستوى امتلاك المدرسين لمهارات التدريس، مثل: التخطيط، التنفيذ، وإدارة الموقف التعليمي وكذلك ضعف الوعي التربوي بأهمية الذكاء الاصطناعي، او قلة التدريب على استخدامه، مما ينعكس سلبا على تطوير مهارات التدريس كالشرح، واثارة الدافعية، والتقييم. ومن هنا تتحدد مشكلة البحث في السؤال الآتي :

ما علاقة الذكاء الاصطناعي بمهارة التدريس لدى مدرسي المرحلة الثانوية؟

ثانيا : اهمية البحث

- 6- يواكب الذكاء الاصطناعي احتياجات العصر الرقمي وينمي امكانية المدرسين على استخدام استراتيجيات تدريس حديثة .
- 2- يساعد على سد الفجوة بين الاساليب التقليدية ومتطلبات التعليم الحديث .
- 3- يفسح المجال امام المدرسين لتطوير خبراتهم الذاتية باستمرار من خلال وسائل التعليم الذكية
- 4- يساعد على تطوير بيئة صفية اكثر تشاركية وينمي التواصل الفعال بين المدرس والطالب .
- 5- يقدم توصيات عملية للاستفادة من التقنيات الذكية في العملية التعليمية .
- 6- يدعم المجتمع التعليمي من خلال رفع مستوى الأداء التعليمي والتربوي .

(الجوهري , 2020, 78)

ثالثا: هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى معرفة الذكاء الاصطناعي وعلاقته بمهارة التدريس عند مدرسي المرحلة الثانوية .

رابعا : متغيرات البحث

المتغير المستقل : الذكاء الاصطناعي ومدى استخدام ادوات الذكاء الاصطناعي في التدريس

المتغير التابع : استجابة المدرسين لأداة البحث .

خامسا : فرضيات البحث :

- لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين استخدام الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية ومهارة التدريس عند مدرسي المرحلة الثانوية .

- لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين توظيف داوات الذكاء الاصطناعي وتحسين مهارات التدريس لدى مدرسي المرحلة الثانوية .

سادسا : حدود البحث :

- الحدود الموضوعية : تتمثل في التعرف على الذكاء الاصطناعي وعلاقته بمهارة التدريس عند مدرسي المرحلة الثانوية.
- الحدود البشرية : مدرسي المرحلة الثانوية في المدارس الثانوية الحكومية النهائية التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة ذي قار \ قسم تربية الناصرية
- الحدود المكانية : المدارس الثانوية الحكومية النهائية التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة ذي قار \ قسم تربية الناصرية
- الحدود الزمانية : الفصل الدراسي الثاني 2024-2025.

مصطلحات البحث :

- اولا \الذكاء الاصطناعي: عرفها كل من (الياجزي , 2019) بأنه برنامج يقدم للمتعلم ارشادات ومساعدات اثناء عملية التعلم الى حد التمكن ويتميز بقدرته على توليد التدريبات والكشف عن قدرات وامكانيات المتعلم وتكشف ايضا مواطن القوة والضعف لديه ويقوم بعلاجها مما يؤدي الى دعم وتطوير التعلم (الياجزي , 2019, 24)

- (عز الدين , 2018) بأنه عملية محاكاة الذكاء البشري من خلال انظمة الكمبيوتر , ويتم من خلال دراسة سلوك البشر وتجاربهم ومراقبة ردود افعالهم ونمط تفكيرهم في مواقف معينة , ثم محاولة تقليد طريقة التفكير البشرية عبر انظمة الكمبيوتر ويجب ان تكون قادرة على التعلم وجمع البيانات وتحليلها واتخاذ القرارات بناء على هذا التحليل بطريقة تشبه طريقة تفكير البشر . (عز الدين , 2018, 82)

ثانيا \ مهارة التدريس : عرفها كل من

- (محمد , 2018) بأنه مجموعة من القدرات والاجراءات والاداءات التي يقوم بها المدرس اثناء الموقف التعليمي , بقصد ايصال المعلومات وتحقيق اهداف الدرس بكفاءة وفاعلية , وتشمل (التخطيط , عرض المادة , استخدام الوسائل , ادارة الصف , التقويم) (محمد , 2018, 71)
- (السرطاوي , 2010) بأنه مجموعة المهارات والاستعدادات التعليمية التي يطبقها المدرس داخل الصف بقصد تيسير تعلم الطلبة وتنمية تفاعلهم مع المادة الدراسية , وضمان تحقيق الأهداف التربوية المخططة .

(السرطاوي, 2010, 32)

الفصل الثاني

خلفية نظرية ودراسات سابقة

خلفية نظرية:

اولا: الذكاء الاصطناعي في التعليم

يعد الذكاء الاصطناعي من الابتكارات التقنية التي احدثت نقلة نوعية في ميادين متعددة منها الميدان التربوي حيث اصبح يمثل أداة اساسية في تطوير المؤسسات التربوية والتعليمية وتحسين ادائها .

(شحاته , 2022 , 88)

ففي مجال التعليم تعد اسهامات الذكاء الاصطناعي بالغة الاهمية , حيث حقق العديد من المميزات لكل من المدرسين والطلبة وهو مجال يتكون من التقاء الذكاء الاصطناعي مع تكنولوجيا التعليم , بهدف تعميق فهم كل من المدرسين والطلبة لكيفية التدريس .

(Malik, Tayal&Vij, 2019)

يسهم الذكاء الاصطناعي في تطوير المؤسسات التعليمية وتحسين جودة التدريس فيها , وكفاءة طلابها حيث يتم الانتقال من التلقين التقليدي المحصور بظروف معينة الى التدريس بطرق حديثة وذلك من خلال دخول الاجهزة التعليمية الى الصفوف تدريجيا وتمثلت بأجهزة العرض مروراً بأجهزة الكمبيوتر وصولاً الى اللوح التفاعلي , فلم تقتصر عملية التدريس على الادوات والوسائل التقليدية والمختبرات المدرسية القديمة بل ذهبت ابعد من ذلك وهو دخول الطلبة الى المختبر الافتراضي الذي يسمح لهم باجراء التجارب العلمية باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي ومحاكاة علمية تفاعلية وتوفير تجارب للطلبة الذين لا يستطيعون الوصول الى المختبرات التقليدية

(شحاته , 2022 , 97)

ثانيا: مدرس الذكاء الاصطناعي

يشير مصطلح مدرس الذكاء الاصطناعي الى التقنيات التي تساعد المدرس في عملية التدريس , حيث يعمل كأداة تكميلية للمدرس من خلال :

- زيادة الوقت المخصص للتدريس , اذ يقوم الذكاء الاصطناعي بانجاز المهام مثل تصحيح الواجبات والاختبارات مما يوفر للمدرس الوقت للتفاعل المباشر مع الطلبة .
- تنويع اساليب التدريس : اذ يوفر للمدرس امكانية استخدام طرق تدريس جديدة ومتنوعة , كنظام تدريسي ذكي يقدم دروسا مخصصة لكل متعلم بعد تحديد نقاط القوة والضعف لديه فيقدم له محتوى تعليميا مناسباً لمستواه .
- تحسين اداء الطلبة : اذ يمكن مدرس الذكاء الاصطناعي توفير تغذية راجعة للطلبة بشكل سريع مما يساعد في تحفيزهم ومشاركتهم في العملية التعليمية وتقدم منصات التعلم الالكتروني التفاعلية محتوى تعليميا يمكن للمدرس متابعة تقدمهم بشكل مستمر من خلاله .

(al,2020Dai, chai,Lin et)

ثانيا : مزايا توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم

- تحسين جودة التدريس :. من خلال تزويد المدرس بمعلومات دقيقة حول اداء الطلبة ومواطن الضعف لديهم .
 - توفير الوقت والجهد : من خلال التقليل من الاعمال الروتينية على المدرس مثل التصحيح والمتابعة .
 - تقديم تغذية راجعة فورية : من خلال حصول الطلبة على نتائج مباشرة تساعدهم على تصحيح الاخطاء بالسرعة الممكنة .
 - زيادة دافعية الطلبة : من خلال بيئات تعلم تفاعلية قائمة على الانشطة التعليمية .
 - تطوير دور المدرس : حيث يتحول من ناقل للمعرفة الى موجه ومرشد للعملية التعليمية
- (بكارى , 2022 , 94)

ثالثا: التحديات التي تواجه توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم

ذكر كل من (البشير , 2020) و (شعبان , 2021) عدد من التحديات من أبرزها :

- 1- نقص الكوادر المتخصصة .
- 2- ضعف التوعية للمدرسين بأهمية توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم .
- 3- ضعف رغبة بعض المدرسين في ادخال الذكاء الاصطناعي في التعليم وعدم قناعتهم بأهميته .
- 4- قلة البرامج التدريبية الخاصة بالمدرسين والتي توظف فيها تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم .
- 5- قلة المخصصات المالية لتوظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم .
- 6- سهولة الغش باستخدام الهواتف الذكية .
- 7- تخطيط واعداد المناهج والمحتوى التعليمي بشكل مناسب .

اسهامات الذكاء الاصطناعي في تعزيز مهارات التدريس لدى المدرسين في مراحل (التخطيط , التنفيذ , التقييم) :

- 1- مرحلة التخطيط :عند استخدام مهارة التدريس في ضوء الذكاء الاصطناعي، يصبح التخطيط للتدريس أكثر دقة وفعالية، حيث يمكن للمدرس الاعتماد على أدوات الذكاء الاصطناعي لتحليل احتياجات الطلاب ومستوياتهم المختلفة قبل بدء العملية التعليمية، ما يساعد في وضع أهداف تعليمية واضحة ومناسبة لكل طالب. كما يسهل الذكاء الاصطناعي على المدرس تصميم الأنشطة التعليمية وتحديد أفضل الأساليب والوسائل لتحقيق هذه الأهداف، بحيث تكون الدروس متكيفة مع قدرات الطلاب وتزيد من تفاعلهم وفهمهم للمواد الدراسية.
- 2- مرحلة التنفيذ، فيتيح الذكاء الاصطناعي للمدرس تقديم المحتوى بطرق مبتكرة، مثل المحاكاة التفاعلية والألعاب التعليمية، كما يمكنه متابعة استجابة الطلاب في الوقت الفعلي وتعديل طرق الشرح بما يتناسب مع احتياجاتهم الفردية، ما يجعل العملية التعليمية أكثر تفاعلاً وفعالية.

3- مرحلة التقييم، يساهم الذكاء الاصطناعي في تقييم أداء الطلاب بشكل دقيق وسريع من خلال تحليل نتائج الاختبارات والواجبات وتقديم تقارير تفصيلية توضح نقاط القوة والضعف، مما يساعد المدرس على اتخاذ قرارات مستنيرة لتحسين تعلم الطلاب وتطوير طرق التدريس المستقبلية. بذلك يصبح الذكاء الاصطناعي أداة داعمة لمهارات المدرس، تساعد على التخطيط، والتنفيذ، والتقييم بشكل أكثر فاعلية ودقة.

(الصبيحي، 2020، 17)

دراسات سابقة

اولا :الدراسات التي تناولت الذكاء الاصطناعي

1- دراسة (ابو النضر 2023)

اجريت هذه الدراسة في مصر وهدفت الى توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية من وجه نظر المدرسين والطلاب الثانوي واستخدم المنهج الوصفي التحليلي وتكونت العينة من (122) من مدرسون وطلاب المرحلة الثانوية وظهرت النتائج توظيف المدرسين للذكاء الاصطناعي بمستوى متوسط بينما استخدام الطلاب ضعيف تحديات التوظيف مرتفعة ومن اهم التوصيات وضع خطط واستراتيجيات لتوظيف الذكاء الاصطناعي في المرحلة الثانوية تطوير البنية التحتية , رفع وعي الطلبة , ووضع برامج تطوير مهني للمدرسين .

2- دراسة (ال مسعد والفراي , 2023)

اجريت هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية وهدفت الى تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم من وجهة نظر مدرسات المرحلة الثانوية واستخدمت المنهج الوصفي المسحي وتكونت العينة من (163) مدرسات المرحلة الثانوية من اهم النتائج توظيف متوسط , تحديات مرتفعة ومن اهم التوصيات عقد دورات تدريبية , تحسين البنية التقنية .

ثانيا : دراسات تناولت مهارة التدريس

1- دراسة (عبد الفتاح ومصطفى 2021)

اجريت هذه الدراسة في ليبيا وهدفت الى تأثير مهارة التدريس للمدرس على التحصيل الدراسي للطلاب , مع التركيز على مهارة التخطيط والتنفيذ والتقييم في مادة لغة العربية والتربية الاسلامية واستخدمت المنهج المسح الشامل لأساتذة المادتين وتكونت العينة من (214) طالبا وظهرت النتائج وجود علاقة ايجابية بين مهارات التدريس (التخطيط , التنفيذ , التقييم) والتحصيل الدراسي للطلاب وظهرت التوصيات التركيز على تطوير مهارات التدريس لدى المدرسين , تنظيم ورش عمل تدريبية لتحسين مهارات التدريس , اجراء دراسات مماثلة في مؤسسات تعليمية اخرى .

2- دراسة (ابو فراج , 2020)

اجريت هذه الدراسة في الاردن وهدفت الى درجة امتلاك مدرسي المرحلة الثانوية لمهارات التدريس الفعال من وجهة نظر المدرسين انفسهم واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي وتكونت العينة من (45) مدرسا ومدرسة من مدرسي المرحلة الثانوية وظهرت النتائج ان مدرسي المرحلة الثانوية يمتلكون مهارات تدريس فعالة بدرجة متوسطة , توزعت المهارات على مجالات التخطيط ,

التنفيذ , التقييم اما التوصيات اجراء ورش عمل تدريبية لتحسين مهارات التدريس , تطوير برامج تدريبية تركز على مجالات التخطيط , التنفيذ , التقييم .

الفصل الثالث

اجراءات البحث

مجتمع البحث:

تم تحديد مجتمع البحث بمدربي المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية والاهلية في مدينة الناصرية /محافظة ذي قار

عينة البحث:

تم اختيار عينة عشوائية من مدرسي المرحلة الثانوية وبلغ عددهم 153 مدرسا ومدرسه .

أدوات البحث:

لغرض الحصول على البيانات المطلوبة ولتحقيق اهداف البحث قام الباحثان بما يلي:

أولا :بناء مقياس الذكاء الاصطناعي

بعد الاطلاع على الادبيات والدراسات في مجال التربية وعلم النفس تم تحديد عدد فقرات المقياس فكانت (30) فقرة منها (25) فقرة ايجابية (5) فقرات سلبية ولغرض التثبت من صلاحية تم عرضه على مجموعة من الخبراء في مجال التربية وعلم النفس وطرائق التدريس

وكانت بدائل الاجابة (موافق ,غير متأكد ,غير موافق) .

اعطيت لها درجات (1,2,3) للفقرات الايجابية وكذلك (3,2,1) للفقرات السلبية.

التطبيق الاستطلاعي للمقياس:

للتثبت من وضوح التعليمات والفقرات وتحديد زمن الاجابة ,تم تطبيقه على عينة عشوائية مكونة من (25) مدرسا ومدرسه من المرحلة الثانويه في مدينة الناصرية ,وتبين ان الفقرات واضحة وقد يتراوح متوسط زمن الإجابة (25-30) دقيقة.

صدق المقياس :

تم التثبت من صدق المقياس بالشكل الاتي:

1-الصدق الظاهري :تم عرض المقياس بفقراته على مجموعة من الخبراء في مجال التربية وعلم النفس وطرائق التدريس.

2-صدق البناء :تم حساب معاملات الارتباط باستخدام معادلة ارتباط بيرسون بين درجات المدرسين التي تم الحصول عليها من التطبيق الاستطلاعي وكانت العلاقة بين درجة الفقرة والدرجة الكلية دالة على مستوى الدلالة 0.05 .

القوة التمييزية لفقرات المقياس:

تم حساب القوة التمييزية باستخدام الحقيبة الاحصائية SPSS تبين ان جميع فقرات المقياس كانت مميزة لانها دالة عند مستوى دلالة 0.05 .

الثبات:

تم حساب الثبات باستخدام معادلة الفا-كرونباخ,اذ بلغ معامل الثبات 0.87 وهي قيمة اتساق عالية.

ثانيا :بناء مقياس مهارة التدريس

بعد الاطلاع على الادبيات والدراسات السابقة تم تحديد عدد الفقرات المقياس وكانت (24) فقرة منها (20) فقرة ايجابية (4) فقرات سلبية , ولغرض التثبت من صلاحية المقياس تم عرضه على مجموعة من الخبراء في مجال التربية وعلم النفس وطرائق التدريس . وكانت بدائل الاجابة موافق , غير متأكد , غير موافق أعطيت لها درجات (1,2,3) للفقرات الايجابية كذلك (1,2,3) للفقرات السلبية.

التطبيق الاستطلاعي للمقياس:

للتثبت من وضوح التعليمات والفقرات وتحديد زمن الاجابة , تم تطبيقه على عينة عشوائية مكونة من (28) مدرسا ومدرسه من مدرسي المرحلة الثانويه في مدينة الناصرية وتبين ان الفقرات واضحة وقد تراوح متوسط زمن الاجابة 20-25 دقيقة.

صدق المقياس :

تم التثبت من صدق المقياس بالشكل الاتي:

- 1-الصدق الظاهري :تم عرض المقياس بفقراته على مجموعة من الخبراء في مجال التربية وعلم النفس وطرائق التدريس.
- 2-صدق البناء :تم حساب معاملات الارتباط باستخدام معادلة ارتباط بيرسون بين درجات الطلبة التي تم الحصول عليها من التطبيق الاستطلاعي وكانت العلاقة بين درجة الفقرة والدرجة الكلية دالة على مستوى الدلالة 0.05 .

القوة التمييزية لفقرات المقياس:

تم حساب القوة التمييزية باستخدام الحقيبة الاحصائية SPSS تبين ان جميع فقرات المقياس كانت مميزة لانها دالة عند مستوى دلالة 0.05 .

الثبات:

- تم حساب الثبات باستخدام معادلة الفا-كرونباخ, اذ بلغ معامل الثبات 0.85 وهي قيمة اتساق عالية.
- التطبيق النهائي:** بعد اجراء المعالجات الاحصائية للتحقق من الخصائص السايكومترية للمقياسين قام الباحثان بالاتي:
- 1-تم تطبيق مقياس الذكاء الاصطناعي لمجموعة من مدرسي المرحلة الثانويه وقد بلغ عددهم 153 مدرسا ومدرسة.
 - 2-تم تطبيق مقياس مهارة التدريس على عينة عشوائية من مدرسي المرحلة المتوسطة عددهم 153 مدرسا ومدرسه
- الوسائل الاحصائية:** تم استخدام الحقيبة الاحصائية للعلوم SPSS لمعالجة البيانات وتحليلها وأيجاد النتائج.

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

بعد الانتهاء من دراسة الخصائص السايكومترية للادتين وتطبيقهما النهائي على عينة البحث وتفرغ البيانات وتحليلها اعتمد الباحثان على البرنامج الاحصائي (SPSS) لحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وفقاً لما يلي:

1- نتائج السؤال الأول:

- ما مستوى الذكاء الاصطناعي لدى مدرسي المرحلة الثانويه ؟
- تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري كما في جدول (1).
- جدول (1)

الذكاء الاصطناعي لدى عينة البحث

المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العينة
80.65	2.39	153

يتبين من خلال جدول (1) ان المتوسط الحسابي قد بلغ (80.65) والانحراف المعياري (2.39) وهي تعد اعلى من المتوسط الفرضي ويمكن ان يعزى ذلك الى ان مدرسي المرحلة الثانوية كان لهم دور إيجابي في اعداد دروس تفاعلية والتي يمكن من خلالها رفع المستوى العلمي للطلبة وكذلك تركيز المدرس على التفاعل المباشر مع الطلبة وتعزيز قدراتهم على دمج التقنيات الحديثة داخل الصف.

2- نتائج السؤال الثاني:

ما مستوى مهارة التدريس لدى مدرسي المرحلة الثانوية؟

تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري كما في جدول (2)

جدول (2)

جودة الحياة لدى عينة البحث

المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العينة
85.24	3.15	153

يتبين من جدول (2) ان قيمة المتوسط الحسابي قد بلغت (85.24) والانحراف المعياري (3.15) وهي تعد اعلى من المتوسط الفرضي ويمكن ان يعزى ذلك الى ان المدرسين يمتلكون قدرة عالية من الثقة بالنفس وعلى إدارة الصف ويوفر جو تعليمي إيجابي وينعكس ذلك بصورة إيجابية على أداء الطلبة وجودة التعليم وتحسين مستواهم العلمي.

3- نتائج السؤال الثالث

ما علاقة الذكاء الاصطناعي بمهارة التدريس لدى مدرسي المرحلة الثانوية ؟

تم حساب معامل الارتباط بين درجات مقياس الذكاء الاصطناعي ودرجات مقياس مهارة التدريس لدى مدرسي المرحلة الثانوية عينة البحث والبالغ عددهم 153 مدرس ومدرسة وذلك باستخدام معادلة بيرسون ,اذ بلغت قيمة معامل الارتباط 0.675 عند مستوى دلالة 0.05 وبدرجة حرية 199 عند مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة 0.195 كما موضح في جدول 3.

جدول رقم 3

العلاقة بين الذكاء الاصطناعي ومقياس مهارة التدريس

المدرسين	درجة الحرية	معامل ارتباط بيرسون		الدلالة الاحصائية عند 0.05
		المحسوبة	الجدولية	

داله	0.195	0.675	199	153
------	-------	-------	-----	-----

يتضح من جدول (3) وجود دلالة معنوية بين الذكاء الاصطناعي الذي يقدمه مدرسي المرحلة الثانوية ومقياس مهارة التدريس لدى مدرسي المرحلة الثانوية ويدل ذلك على:

- 1- زيادة كفاءة المدرسين من خلال قوة التقنية والخبرة التربوية مما يجعله بارزاً بين زملائه.
- 2- زيادة التحفيز والمتعة والتنوع من خلال الدمج بين التكنولوجيا ومهارة التدريس اذ يقلل من الفجوات التعليمية ويعزز الفهم لدى الطلبة.
- 3- جعل التعليم أكثر فاعلية اذ يغطي الذكاء الاصطناعي الجانب التقني بينما يغطي المدرس الماهر الجانب التربوي فيجعل الدرس أكثر فاعلية.

الفصل الخامس

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

اولا: الاستنتاجات

توصل البحث الحالي الى الاستنتاجات الآتية:

- 1- وجود درجة عالية من الذكاء الاصطناعي لدى مدرسي المرحلة الثانوية.
- 2- وجود مستوى عالي من مهارة التدريس لدى مدرسي المرحلة الثانوية.
- 3- وجود علاقة ارتباطية ايجابية ذات دلالة معنوية بين الذكاء الاصطناعي ومهارة التدريس لمدرسي المرحلة الثانوية.

ثانيا: التوصيات

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحثان بما يلي:

- 1- ضرورة تفعيل البرامج الارشادية والتربوية من قبل المدرسين لتعريفهم بالذكاء الاصطناعي.
- 2- عقد برامج تدريبية للمدرسين لتعريفهم بأهمية مهارات التدريس.
- 4 عقد ندوات تثقيفية متضمنة مفاهيم الذكاء الاصطناعي وانواعه ومفاهيم مهارات التدريس.

ثالثا: المقترحات

استكمالا للبحث الحالي يقترح الباحثان ما يلي:

- 1- اجراء دراسة لمعرفة اثر استراتيجيات نشطة مدعمة بالذكاء الاصطناعي واثرا في التحصيل الدراسي لدى المرحلة المتوسطة.
- 2- الذكاء الاصطناعي وعلاقته بالتفكير الحاذق والميل نحو مادة الفيزياء لدى طلبة الصف الرابع العلمي.
- 3- الذكاء الاصطناعي وعلاقته بالتفكير الابداعي والدافعية نحو التعلم .
- 4- جراء دراسة لمعرفة مقياس اتجاهاتهم العلمية وعلاقتها بمهارات التدريس لدى مدرسي المرحلة الاعدادية.
- 5- اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على عينة من معلمي المرحلة الابتدائية.

المصادر:

- همام , أحمد محمد (2019) : التقنيات الرقمية ودورها في تطوير العملية التعليمية , دار المسيرة , عمان .
- الجوهري , محمد (2020) : الذكاء الاصطناعي في التعليم , الاتجاهات والتطبيقات , دار الفكر العربي , القاهرة .
- عبد الفتاح , عفاف ومصطفى , علي (2021) : مهارات تدريس المدرس وعلاقته بالتحصيل الدراسي للطلاب , مجلة جيل العلوم الانسانية , العدد 75, ليبيا
- أبو فراج , سليم مصطفى (2017) : درجة امتلاك مدرسي المرحلة الثانوية لمهارات التدريس الفعال من وجهة نظر المدرسين انفسهم , مجلة كلية التربية للبنات , جامعة بغداد , العراق .
- القرني , سميرة (2012) : اتجاهات مدرسي ومدرسات المرحلة الثانوية نحو استخدام تقنية الهواتف النقالة في العملية التعليمية , الرياض .
- الياجزي , فاتن حسن (2019) : استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في دعم التعليم الجامعي بالملكة العربية السعودية , دراسات عربية في التربية وعلم النفس , رابطة التربويين العرب .
- ال مسعد , فاطمة و الفراني , لينا (2023) : تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم من وجهة نظر مدرسات المرحلة الثانوية , المجلة العلمية للجمعية المصرية للكمبيوتر التعليمي , المجلد 11 , العدد 1 , القاهرة .
- ابو النضر , هاني (2023) : توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية من وجهة نظر المدرسين والطلاب (ثانوي) , مجلة العلوم التربوية , المجلد 4, العدد 6 , القاهرة .
- السرطاوي , عبد الرحمن (2010) : مهارات التدريس الحديثة , دار المسيرة , عمان .
- محمد , فحطان (2018) : اساسيات التدريس التربوي , دار الرشيد , العراق .
- الصبحي , صباح عيد رجاء (2020) : واقع استخدام اعضاء هيئة التدريس بجامعة نجران لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم , مجلة كلية التربية , الجزء 4 , العدد 44 , جامعة عين الشمس , القاهرة .
- البشير , منى عبد الله (2020) : متطلبات توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تدريس طلاب وطالبات الجامعات السعودية من وجهة نظر الخبراء , مجلة كلية التربية , جامعة كفر الشيخ , كلية التربية , مجلد 20 , العدد 2 , الرياض .
- شعبان , اماني عبد القادر (2021) : الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في التعليم , المجلة التربوية , جامعة سوهاج , كلية التربية , القاهرة .
- شحاته , نشوى رفعت (2022) : توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية , مجلة الجمعية المصرية للكمبيوتر التعليمي , القاهرة .
- عز الدين , غازي (2018) : الذكاء الاصطناعي تكنولوجيا رمزية , مجلة فكر للعلوم الانسانية والاجتماعية , كلية التربية , جامعة ام القرى , الرياض .

○ بكاري , مختار (2022) : تحديات الذكاء الاصطناعي وتطبيقاتها في التعليم , مجلة المنتديات للدراسات والبحاث التعليمية , مجلد 6 , العدد 1.

- 18- Malik , G, Tayal , D , & Vij , S (2019) . An analysis of the role of artificial intelligence in education and teaching.In Recent Findings in Intelligent Computing Techniques, 407-417.
- 19. Dai, C., S., Chai, P., Y., Lin (2020): Promoting students' wellbeing by developing their readiness for the artificial intelligence age, Sustainability, Vol. 12, No. 16, pp. 1-15, 2020.

تشطّي الشخصية القانونية للفرد بين الواقع والفضاء الرقمي: نحو تأسيس هوية مدنية إلكترونية
(دراسة تحليلية)

أ.د. عبد المهدي كاظم ناصر

كلية القانون/ جامعة القادسية/ العراق

haidergatea@qu.edu.iq

009647830369633

م. م. حيدر صلاح كاظم

كلية القانون/ جامعة القادسية/ العراق

abdulmahdi.naser@qu.edu.iq

009647727489536

الملخص

ينطلق هذا البحث من أطروحة بسيطة في ظاهرها عميقة في أثرها، ذلك أنّ الشخصية القانونية للفرد لم تعد تقيم في الورق وحده، بل بات لها حضور رقمي يعمل ويؤثر ويولد آثاراً مدنية كاملة، فالهوية الإلكترونية ليست قشرة تقنية، إنّما هي امتداد مدني فعلي للشخص الطبيعي، تُسند الأقوال والأفعال إلى صاحبها وتنهض عليها الالتزامات والحقوق والمسؤوليات، ولقد اعتمد البحث منهجاً تحليلياً مقارناً وتطبيقياً، إذ أعاد قراءة نصوص التقنين المدني العراقي في الاسم والموطن والأهلية وفي قواعد الفعل الضار وتنازع القوانين، وربط ذلك بقانون التوقيع والمعاملات الإلكترونية رقم ٧٨ لسنة ٢٠١٢ الذي نقل معيار الحجية من مادة الخبر إلى إمكان النسبة وسلسلة الثقة. ثم وازن الحلول مع القانون الفرنسي والألماني والإطار الأوروبي المعاصر، ولقد أظهر التحليل أن حماية الاسم واللقب في المادتين ٤٠ و ٤١ مدني تمتد وظيفياً إلى الحساب والمعرف واسم النطاق حين تؤدي وظيفة التعريف الاجتماعي والمهني، وأن الموطن المختار في المادة ٤٥ يقبل تسكيته في عنوان إلكتروني موثق فيغدو الإخطار الرقمي إخطاراً قانونياً إذا استوفى شروط الكتابة الإلكترونية، وأن قاعدة مكان وقوع الواقعة المنشئة للالتزام غير التعاقدية تبرر ولاية المحاكم العراقية متى وقع الأثر الضار داخل العراق ولو انطلقت الشرارة من خادم أجنبي، أما قانون ٧٨ لسنة ٢٠١٢ فوفّر قرائن هوية وإرادة عملية، وكذلك اشترط انفراد السيطرة وإمكان كشف العبث وختم الزمن وسجلات جهة التصديق، فصارت هذه العناصر كتابة معتبرة تنهض بعبء الإثبات وتعيد توزيع عبء الدحض بحسب جودة السلسلة لا بحسب الانطباعات. وفي القانون المقارن قررت لائحة eIDAS مبدأ عدم التمييز ضد التوقيع الإلكتروني ومعادلة المؤهل للخطي، وعززت التعديلات الأخيرة منظومة الشهادات والصفات والمحفظة الهوية، وكرس قانون الخدمات الرقمية مسارات الإخطار والإجراء والشفافية وإدارة المخاطر على المنصات، وفي فرنسا قررت المادة ٩ مدني حماية الحياة الخاصة بتدابير وقائية. وفي ألمانيا أُنشئت §§ ١٢ و ٨٢٣ و BGB ١٠٠٤ حماية الاسم والتعويض ودعوى الإزالة والمنع كعلاج سريع. هذه الأدوات تؤكد صلاحية القياس عندنا لإيقاف الحسابات المنتحلة وأسماء النطاق المغتصبة مع إبقاء التعويض، حتى خلص البحث إلى أن النص العراقي قادر على حماية الهوية الرقمية اليوم إذا فهم بوظيفته، لكنه يحتاج إطاراً وطنياً لحماية البيانات يسد الفجوة المفاهيمية والتنظيمية، لذلك اقترح ثلاث ركائز: تعريف وطني للهوية الرقمية يضم المعرفات والصفات الإلكترونية القابلة للتحقق، ونسق حقوق إجرائية للفرد يشمل الإخطار بالخرق والوصول والتصحيح والمحو والاعتراض وبيان منطق القرارات المؤتمتة، وسلطة مستقلة لحماية البيانات ترافق الامتثال وتنسق مع القضاء وتدير سجل قرارات

شفاف، واقترح البحث بروتوكولات عملية قابلة للتنفيذ فوراً، مثل أمر منع مؤشّر بهاش بدل الروابط، وكذلك أمر حفظ مؤمن للدليل يجمّد النسخ والسجلات بختم زمني، وكذلك موطن مختار إلكتروني معلن، واختبار رباعي للحجية يقوم على التعريف والسيطرة والربط الكاشف للعبث وختم الزمن. بهذه الأدوات تلتئم الشخصية القانونية بين الواقع والفضاء وتستقر الثقة في المعاملات الرقمية أمام القضاء والإدارة والسوق.

الكلمات المفتاحية: الهوية الرقمية؛ التوقيع الإلكتروني؛ الإثبات؛ حماية البيانات؛ المنصات الرقمية.

The Fragmentation of the Legal Personality of the Individual between Reality and the Digital Space: Towards the Establishment of an Electronic Civil Identity (An Analytical Study)

Prof. Dr. Abd Al-Mahdi Kadhum Nasser

College of Law / University of Al-Qadisiyah / Iraq

Asst. Lect. Haider Salah Gatea

College of Law / University of Al-Qadisiyah / Iraq

Abstract

This study advances a straightforward yet far-reaching thesis. The legal personality of the individual no longer resides in paper alone. It now has a functional digital presence that produces full civil effects. Digital identity is not a mere technical shell. It is a civil extension of the natural person to which statements and acts are attributed and from which rights, obligations, and liabilities flow. Methodologically, the article adopts an analytical, comparative, and applied approach. It re-interprets the Iraqi Civil Code provisions on name, domicile, capacity, tort, and private international law. It then anchors them in the Electronic Signature and Electronic Transactions Law No. 78 of 2012, which shifts evidentiary weight from ink to attribution and the chain of trust, and compares the Iraqi framework with French and German law and with current European Union instruments. The analysis shows that the protection of name and surname under Articles 40 and 41 of the Civil Code functionally extends to user accounts, platform handles, and domain names whenever they serve social or professional identification. Article 45 on chosen domicile allows for an electronic reading, whereby a duly authenticated digital address constitutes a valid service address, provided the requirements of electronic writing are met. The rule on non-contractual obligations governed by the place where the harmful event occurs justifies Iraqi jurisdiction where the damage materialises in Iraq, even if the initial act originated from a foreign server. Law No. 78 of 2012 supplies operational presumptions of identity and intent. It requires sole control over the signing device, detectability of tampering, qualified time-stamping, and certification records. These elements together form an admissible “writing” that carries the burden of proof and reallocates rebuttal burdens according to the quality of the chain, not to intuition.

Comparatively, the eIDAS Regulation prohibits discrimination against electronic signatures and equates a qualified electronic signature with a handwritten signature. In contrast, the 2024 amendments strengthen trust services, attribute attestations, and the European digital identity wallet. The EU Digital Services Act establishes notice-and-action, transparency, and risk-mitigation duties for platforms. French Civil Code Article 9 provides urgent measures to protect private life. German BGB §§ 12, 823, and 1004 furnish name protection, damages, and actio negatoria as swift relief. These tools support Iraqi analogies

to prevent impersonation of accounts and abusive domain names while preserving damage claims .The article concludes that Iraqi law can already protect digital identity if interpreted functionally. However, a national data-protection framework is necessary to bridge the conceptual and institutional gaps. Three pillars are proposed. A statutory definition of digital identity encompasses verifiable electronic identifiers and attributes. A set of procedural data-subject rights, including breach notification, access, rectification, erasure, objection, and explanations of automated decisions. And an independent data-protection authority with oversight, coordination with courts, and a public decisions register. Finally, the paper proposes immediately deployable protocols. Hash-indexed injunctions instead of URL-based orders. Forensic data-escrow orders preserving copies and logs with qualified timestamps. A published electronic domicile for service. And a four-pronged evidentiary test based on reliable identification, exclusive control, tamper-evident linkage, and time-stamping. Together, these measures reconcile physical and digital personhood and stabilise trust in electronic transactions before courts, public administration, and the market.

Keywords: Digital Identity; Electronic Signature; Evidence; Data Protection; Digital Platforms

المقدمة

جوهر فكرة البحث

يتحرك هذا البحث من فكرة بسيطة في ظاهرها عميقة في أثرها وهي أن شخصية الفرد القانونية لم تعد تقيم في بطاقة الأحوال وحدها بل بات لها ظل حي يعمل في الفضاء الرقمي ويؤثر في العقود والالتزامات والسمعة والذمة المالية، إذ أنَّ الهوية الإلكترونية ليست صورة تقنية جامدة بل امتداد مدني فعلي للشخص الطبيعي يرث صفته ويصدر عنه قوله ويرتبط به الأثر، ومن ثم فموضوع البحث هو إعادة تعريف الشخصية القانونية بوصفها وحدة متماسكة بين حضور مادي محسوس وحضور رقمي دال مع بناء جسر إثباتي يضمن أن ما يقع على الشاشة يقع في ذمة القانون، إذ أنَّ جوهر الفكرة أن معيار الاعتداد ليس مادة الوسيط بل سلامة النسبة ووضوح الإرادة وإمكان كشف العبث وأن العدالة تتحقق حين ترى المحكمة الأثر الرقمي كما كانت ترى أثر القلم على الورق.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من واقع يومي تتزايد فيه المعاملات الإلكترونية في القضاء والإدارة والسوق والتعليم والعمل الحر، إذ أنَّ كل ثغرة مفاهيمية في فهم الهوية الرقمية تتحول إلى خسارة في الثقة وإلى عطب في حماية الاسم والسمعة وإلى نزاع طويل يرهق المتقاضين، ويمتد أثر البحث إلى صميم الاقتصاد لأنه يعزز قبول التوقيع والكتابة الإلكترونية ويختصر كلفة التعاقد ويطمئن المستثمر المحلي والأجنبي إلى أن نظام الإثبات يواكب التكنولوجيا، وله أهمية اجتماعية لأنه يوفر أدوات سريعة لإزالة الانتحال والتحرش الرقمي والتزيف العميق ويصون حقوق الفئات الأضعف من إساءة استخدام صوره وأصواتهم، كما تتبدى أهميته المؤسسية في تمكين الإدارات من التحول الرقمي دون التضحية بصلاصة الدليل أو بسلامة الإجراءات

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تأصيل مفهوم الهوية المدنية الإلكترونية بلسان القانون الخاص بحيث تغدو جزءاً صريحاً من البنية النظرية للشخصية لا ملحفاً تقنياً، ويهدف إلى ترجمة الأدلة الرقمية إلى قرائن محكمة على الهوية والإرادة عبر منهج واضح يربط التعريف والسيطرة والحفظ والزمن بسلسلة ثقة قابلة للتحقق، ويسعى إلى تقويم كفاية النصوص العراقية في حماية الاسم والموطن والأهلية عند عبورها إلى المنصة وتقديم قراءات تأويلية عملية تسند القضاء في التكييف، كما يهدف إلى صياغة مسارات إجرائية لمنع والإزالة والتعويض تصلح للاستخدام الفوري في المحاكم وللاستيعاب في لوائح المنصات، ويتبع استلزام التجارب المقارنة النافعة ولا سيما الفرنسية والألمانية والإطار الأوروبي للهوية والثقة الرقمية مع الحفاظ على خصوصية السياق العراقي.

إشكالية البحث

إنَّ الإشكالية المركزية هي مدى قدرة المنظومة المدنية التقليدية على استيعاب الهوية الرقمية كامتداد قانوني فعلي للشخص الطبيعي دون افتئات على مبادئ الشكل والرضا والأهلية، وتتفرع عنها أسئلة دقيقة مثل كيف نزن الدليل حين ينتقل من أثر القلم إلى أثر الخوارزم وكيف نلحق الحساب والمعرف والاسم المستعار بمفهوم الاسم المدني متى أدى وظيفة التعريف وكيف نخد الموطن القضائي في نزاع عابر للحدود وقع أثره في العراق وانطلقت شرارته من خادم في الخارج، وتنهض إشكالية أخرى حول حدود مسؤولية المنصات بين واجب العناية السريعة وحرية الإتاحة ومتى ترجح كفة الخصوصية على مصلحة المعرفة العامة ومتى يترجح العكس، وتبقى إشكالية الفجوة التشريعية في حماية البيانات حاضرة لأنها تعطل بناء حق شخصي واضح في التحكم بالهوية الرقمية وتضع عبئاً زائداً على القاضي في ربط الأطراف بالواجبات

نطاق البحث

يقف البحث في حقل القانون المدني ويركز على الهوية الرقمية للأفراد في مجال الإثبات والعقود والمسؤولية عن الفعل الضار، لا يتوسع في التجريم والعقوبات إلا بقدر ما يخدم التكييف المدني وآليات الحماية الوقائية، هذا و يتركز جغرافيًا على النص العراقي مع مقارنة منتقاة بالفرنسي والألماني وبالمعايير الأوروبية المعاصرة من باب الاستئناس لا الاستيراد الحرفي، ويقتصر على بيئة المنصات والتوقيعات والكتابة الإلكترونية وما يتصل بها من إثباتات زمنية ومصادقات رقمية ولا يدخل في تقنيات التشفير التفصيلية إلا بمقدار الحاجة لتفسير القرينة القانونية، ومن حيث النطاق الزمني فهو راهن ومفتوح على التطبيقات العملية الجارية في الأجهزة القضائية والإدارية ومشروعات التحول الرقمي الوطنية.

منهجية البحث

يعتمد البحث منهجًا تحليليًا تأصيليًا يعيد قراءة نصوص الاسم والموطن والأهلية والإثبات في التقنين المدني وقانون التوقيع والمعاملات الإلكترونية بما يسمح بفهمها في الوسط الرقمي دون إقحام أو افتئات، ويعتمد منهجًا مقارنًا يوازن بين الحلول الفرنسية والألمانية ومعايير الاتحاد الأوروبي في الهوية والثقة الرقمية ومبادئ حماية البيانات مع إبراز ما يصلح للتكييف الوطني، ويتبنى منهجًا تطبيقيًا يرسم بروتوكولات عملية للإثبات والمنع والإزالة والتعويض قابلة للتفعيل أمام القضاء وعلى المنصات ويختبرها على سيناريوهات وأمثلة واقعية مثل انتحال الحساب أو تزوير التوقيع أو الولوج غير المشروع أو نشر نتائج بحث قديمة تمس الاعتبار

خطة البحث

عولجت فكرة بحثنا بمبحثين تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة، إذ تناولنا في المبحث الأول مفهوم محفظة الهوية المدنية الإلكترونية وفي المبحث الثاني تناولنا المسؤولية والحماية المدنية والإجرائية للهوية الإلكترونية وآليات الإثبات والمنع والإزالة والتعويض.

المبحث الأول

مفهوم محفظة الهوية الرقمية

لا نغير الأبواب، إنما نُعيد ترتيبها لتفتح على العالم الإلكتروني، ذلك أن الاسم يبقى اسمًا والموطن يبقى موطنًا والأهلية تبقى معيار الإرادة، لكن وسائل الإثبات وبيئات الوجود تتنوع، ولبيان ذلك نرى المطالب الآتية:

المطلب الأول

الاسم والموطن والأهلية كما صاغها المشرع العراقي ثم امتدادها الرقمي

حين يقول التقنين المدني العراقي بلا تكلف لكل شخص اسم ولقب ويلحق اللقب بالوالد فهو لا يكتفي بوصفٍ أحوالي بل يضع لبَّ الحق الشخصي في التعريف ثم يمدّ له حماية قضائية صريحة لمن نوزع في لقبه أو انتحل الغير لقبه فيملك طلب وقف التعرض والتعويض (لاحظ المادة 40 و 41 من القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل). وتحت هذا السقف يرد تعريف الموطن بأنه المكان الذي يقيم فيه الشخص عادة بصفة دائمة أو مؤقتة (لاحظ المادة 42 من القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل)، ويجوز تعدد المواطن ويقرر يجوز اتخاذ موطن مختار لتنفيذ عمل قانوني ولا يُثبت الموطن المختار إلا بالكتابة (لاحظ المادة 45 من القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل). وفي الأهلية يقول كل شخص بلغ سنّ الرشد متمتعًا بقواه العقلية غير محجوز عليه يكون كامل الأهلية لمباشرة حقوقه المدنية (لاحظ المادة 46 من القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل). وإنّ هذه العبارات هي مادة البناء الأولى لتمديد الحماية إلى الفضاء الرقمي لأن حساب الفرد ومعرفة على المنصة واسم النطاق والملف الشخصي تنطبق عليها آثار الاسم واللقب والموطن المختار بمقتضى الوظيفة لا بمقتضى الأداة، وعند التنازع الدولي يضع التقنين مسطرته الهادئة في باب الاختصاص والتشريع فيقرر اختصاص محاكم العراق إذا كان موضوع التقاضي حادثة وقعت في العراق ثم يقرر لغير التعاقدية قاعدة المكان قائلاً بالالتزامات غير التعاقدية يسري عليها قانون الدولة التي حدثت فيها الواقعة المنشئة للالتزام، مع قيدٍ مهم إذ لا تُطبّق هذه القاعدة على وقائع حدثت في الخارج وكانت مشروعة في العراق وإن

عدت غير مشروعة في بلد وقوعها، وإن هذه الصياغة تمنح القاضي العراقي نقطة ارتكاز في الانتحال والتشهير الرقمي إذا وقع أثرهما في العراق ولو انطلقت شرارتهما من خادم خارج حدوده وتحتفظ للقانون العراقي بدور الكابح حيث تكون الفعلة مباحة لديه (لاحظ المادة 15 و 27 من القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل).

وبعد قانون التوقيع والمعاملات الإلكترونية رقم 78 لسنة 2012 هذا الهيكل بقرائن هوية وإرادة تصلح للبيئة الرقمية دون لف ودوران، إذ أنه يُعرّف التوقيع الإلكتروني بأنه علامة شخصية تتخذ شكل حروف أو أرقام أو رموز أو إشارات أو أصوات أو غيرها وله طابع منفرد يدل على نسبه إلى الموقع ويكون معتمداً من جهة التصديق (لاحظ المادة 1 من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم 78 لسنة 2012).

ويقرر أن التوقيع صحيح إذا توفرت وسائل تحديد هوية الموقع والدلالة على موافقته وفق اتفاق الطرفين على الإجراء الإلكتروني ثم يعطيه في المعاملات المدنية والتجارية والإدارية ذات الحجية المقررة للتوقيع الخطي (لاحظ المادة 4 من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم 78 لسنة 2012).

ومتى راعى شروط المادة 5 التي تشترط الارتباط بشخص الموقع وحده وانفراد سيطرته وقابلية كشف أي تعديل، وفي المادة 13 بمنح المستندات الإلكترونية والكتابة الإلكترونية والعقود الإلكترونية ذات الحجية القانونية لمثيلتها الورقية إذا أمكن الحفظ والاسترجاع ومعرفة المنشئ والزمن، وإن هذه النصوص تجعل سجلات الدخول وختم الزمن وسلسلة المصادقة وبصمات الشهادة أدلة كتابية أصيلة لإسناد الفعل الرقمي لفاعله وإثبات الخطأ والسببية والضرر، وعليه فإن الاسم واللقب في المادتين 40 و 41 يلتقطان صورة الحساب والمعرف الشخصي حين يؤديان وظيفة التعريف الاجتماعي والمهني على المنصة ويُتحتل بهما الشخص فتتعدّد دعوى وقف التعرض والتعويض على أساس حماية اللقب والاسم معاً بقراءة وظيفية معاصرة، ثم أن الموطن المختار في المادة 45 يتيح للأطراف اختيار عنوان للإخطارات والتنفيذ ويمكن تفسيره هندسياً ليشمل عنواناً إلكترونياً أو مساحة تواصل منصاتية متى أثبت بالكتابة الإلكترونية المستوفية لشروط المادة 13 من قانون 78 لسنة 2012 فيندمج الإخطار الرقمي بالإخطار القانوني، وأخيراً فإن قاعدة المادة 27 في غير الالتزام التعاقدية تُحيل قاضي الانتحال أو القذف الرقمي إلى مكان حدوث الواقعة المنشئة أو مكان تحقق الأثر الضار داخل العراق فتسوّغ تطبيق القانون العراقي واختصاص محاكمه مع مراعاة قيد المشروعية المتقدّم. وفي فرنسا يقول يذهب المشرع الفرنسي إلى أن لكل إنسان حق في احترام حياته الخاصة "وللقاضي أن يصف تدابير فورية لمنع الاعتداء أو وقفه مع حفظ الحق في التعويض (لاحظ المادة 9 من القانون المدني الفرنسي المعدل لسنة 2016) هذا ويؤطر السجل المدني الهوية الاسمية في المادة 57 منه التي تنص على أن أي عقد الميلاد يذكر اليوم والساعة والمكان والاسم العائلي وسائر البيانات الجوهرية، وهذا الجذر المدني يتساند مع تعريف GDPR للبيانات الشخصية بأنها كل معلومة تتعلق بشخص مُعرّف أو قابل للتعريف لا سيما بالاستناد إلى مُعرّف على الإنترنت an online identifier وهو نص يفتح الباب لاعتبار المعرف الرقمي عنصراً مُحدّداً للشخص (لاحظ المادة 4 من اللائحة العامة لحماية البيانات لسنة 2018).

هذا ويتكامل المشهد مع منظومة eIDAS التي تمنح التوقيعات المؤهلة وشهادات الثقة حجياً عبر الحدود واتسعت بإصلاح 1183/2024 لتأسيس محفظة الهوية الرقمية الأوروبية European Digital Identity Wallet بوصفها وعاءاً آمناً للصفات والاعتمادات (www.eur-lex.europa.com)

ويضع القانون المدني الألماني في المادة 12 منه قاعدة صريحة في Right to a name فإذا نزع صاحب الاسم في حقه أو أصيب مصلحته باستعمال غير مأذون لذات الاسم جاز له طلب إزالة الاعتداء والمنع، ويُسند § 823 المسؤولية عن الإضرار غير

المشروع ويمنح §1004 دعوى الإزالة والمنع actio negatoria كعلاج سريع للاعتداءات المستمرة وقد جرى القياس في الفقه والقضاء على حماية مصالح أخرى تشبه الحق العيني حيث تقتضي الضرورة، وإنَّ هذه الأدوات توفر نموذجاً عملياً لإيقاف حساب مُنتحل أو اسم نطاق غاصب مع إبقاء التعويض في ذمة المعتدي. ويمكن إجمال ما تمّ التطرق إليه في هذا المطلب بما يلي:

1- إنَّ الاسم الرقمي كمصلحة شخصية مالية لا مجرد دلالة تعريف ذلك أنَّ الحساب والمعرف واسم النطاق ليسوا ظلاً للاسم المدني فحسب بل أصلٌ يُؤلِّد منفعة قابلة للتسييل عبر السمعة والوصول والجمهور، وعند الانتحال لا نخسر هويةً فقط بل نخسر فرصاً تعاقدية ووزناً تفاوضياً، بل و اقترح معاملته في القضاء العراقي كمصلحة ذات طبيعة مزدوجة شخصية ومالية فتحتسب معها خسارة الفرصة وشُعبة المنصة reach و engagement كعناصر تعويض لا كأرقام عرضية (Bradford, 2012)

2- الموطن المختار الإلكتروني كسجل وطني إذ أنَّ نقل فكرة الموطن المختار إلى سجلِّ إلكتروني سيادي يُربط بالهوية المؤثقة والحفظ الهوياتية، فتكون مراسلات المنصات والإخطارات القضائية على عنوان إلكتروني مُعلن مسبقاً، وإنَّ هذا يقلِّص الإنكار ويُقصّر أمد الخصومة وكذلك تُدعم الفكرة بختم زمني وهاش لعريضة البلاغ يتيح المطابقة دون كشف المحتوى (Mason & Seng, 2021)

3- أوامر قضائية محدَّدة بمحاش بدل الروابط فبدل أن نأمر بمنع رابط يتبدل كل ساعة نأمر بمنع المحتوى المعرف بمحاش معياري، فيسهل على المنصة التعرف الآلي ويصعب على المعتدي التحايل، وإنَّ هذا يحفظ الدقة ويحترم حرية التعبير لأن المنع يستهدف الملف بعينه لا الكلمات المفتاحية. (Martin, 2018)

4- بروتوكول الإثبات الرقمي الرابعي كمعيار قضائي مُعلن إذ أنَّ تعريف الشخص وسيطرته المنفردة على أداة التوقيع، ربط لا يقبل العبث بين التوقيع والمحتوى، ختم زمني قابل للتحقق، وسلسلة سجلات تُستحضر عند الطلب، و إذا اكتملت الأربعة انعقدت قرينة قوية على النسبة والإرادة وانتقل عبء الدحض. ينفع نشره في تعميم قضائي أو ملحق إثباتي (UNCITRAL, 2001)

5- المجاورة التقنية لاختصاص القضاء إذ أنَّ اختصاص المحاكم العراقية يُستدل عليه بمزيج من توجيه المنصة للواجهة باللغة والعملة والسوق العراقيين وبأثر الضرر داخل العراق لا بمقر الخادم، وإنَّ هذه قراءة وظيفية تعزّزها مقارنة الاتحاد الأوروبي في ترسيم واجبات المنصات عبر DSA وما يخلقه من أثر بروكسلي عابر للحدود (Wolters & Gellert, 2023)

6- ميزان الخصوصية مقابل الإتاحة كاختبار ثلاثي إذ نأخذ من Google Spain اختباراً عملياً لكنه مُحكم عند طلب الإزالة أو إلغاء الفهرسة، و نزن قدم المعلومة وملاءمتها للغرض وحجم الضرر على الاعتبار فإن رجحت الكفة يُؤمر بالإزالة أو التهميش بدل الحجب الكلي إن كان ذلك كافياً (Court of Justice of the European Union, 2014)

7- بيّنة المبتاداتا بين القبول والتحفّظ إذ أنَّ إدراج قائمة فحص قضائية لسلامة المبتاداتا قبل قبولها دليلاً أصلياً، وتُختبر القابلية للتلاعب وسلسلة الحياة وأدوات الاستخراج وتوافق الخوارزميات المفتوحة المصدر مع التحقق المستقل. (Balkibayeva, 2024)

المطلب الثاني

التوقيع الخطي والقرينة الإلكترونية على الهوية والإرادة

يَقُومُ التوقيع - في جوهره - على وظيفتين لا مادة الخبر فيهما بل أثر النسبة والاتصاف بالحل: تعيين الشخص الموقع تعييناً يطمئنُ إليه القاضي، وإظهار إرادته في الالتزام بما حُمِّلَ المستند، وإنَّ هذا الجوهر نفسه هو الذي نقله قانون التوقيع والمعاملات الإلكترونية العراقي رقم ٧٨ لسنة ٢٠١٢ إلى الوسط الرقمي دون نقصانٍ في الحجية متى استوفت البنية التقنية شروطها؛ إذ قرّر في مادته الرابعة أنَّ التوقيع الإلكتروني يُعدُّ صحيحاً ومُنْتَسِباً إلى صاحبه متى توفّرت وسائلُ تعيين هويّة الموقع، ودلّ التوقيع على موافقته، واتفق

الطرفان على وسيلة الإجراء الإلكتروني، ثم أضفى عليه في نطاق المعاملات المدنية والتجارية والإدارية ذات القوة المقررة للتوقيع الخطّي مع مراعاة شروط المادة الخامسة - كما تقدّم - وهذا نقلٌ وظيفي رصين فمعايير الحجّة ليس مادة التوقيع بل إمكان نسبته وربطه المحكم بمحتواه.

ولما كان مدار الحجّة على سلسلة الثقة، شدّد المشرّع في المادة الخامسة على أربعة أعمدة تُحوّل العلامة الرقمية إلى قرينة هويّة وإرادة مكتملة وهي أن يختصّ التوقيع بصاحبه وحده، وأن تبقى أداة إنشائه تحت سيطرته المنفردة، وأن يكون أيّ تبديل أو عبث قابلاً للكشف، وأن يُنشأ وفق إجراءات تُفصلها تعليمات الوزارة؛ ثم رُتب على التوقيع المعتمد لدى جهة التصديق ما ترجمته الرسمية exclusiveness of proof أي قوة إثبات مُعزّزة تتقدّم سائر الدلائل حتى يقوم الدحض بما يوازنها في المعيار واليقين، وبذلك لا يعود المعرّف والحفظ الهويّاتيّة وشهادة التصديق مُجرّد شواهد تقنية، بل تُصبح - مع سجلات الإنشاء وختم الزمن - كتابةً مُعتبرة تُسند الشخص إلى فعله، ويُبنى عليها القضاء في النزاع.

ويتجسّد منطق السلسلة تشريعياً في أبواب الترخيص والرقابة فنصوص قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية تُنيط بشركة خدمات الشبكة وضع المواصفات، ومتابعة المرخص لهم، والفصل في الشكاوى، وتُلزم المزودين بإبقاء سجلّ إلكتروني مفتوح لحالات الشهادات مع تاريخ التعليق والإلغاء (لاحظ المواد من 6-10 منه) كما تقضي نصوصه (لاحظ المادة 9 منه) بسقوط شهادة التصديق بموت الشخص أو زوال الشخصية المعنوية أو إذا تبين تزوير بيانات الإنشاء أو اختراق نظام التوقيع أو استُخدمت الشهادة استخداماً غير مشروع، وهي قواعد تشكّل مفاصل الدحض في الدعوى فمن يدعي اختراقاً أو زوال السيطرة يلتزم بإقامة قرائنه على وقائع الإلغاء أو تعليق الشهادة وسجلات النظام، ويشدّد القانون هذا النسق بإطار الكتابة الإلكترونية؛ فالمادة ١٣ تمنح الوثائق والكتابة والعقود الإلكترونية القوة القانونية لمثلها الورقية بشرط إمكان حفظها واسترجاعها، وبقيائها على صورتها وقت الإنشاء أو الإرسال أو التسلم، ودلالاتها على المنشئ والمتلقّي وزمن الإرسال والتلقّي؛ كما تقضي المادة ١٥ منه بأن اشتراط التوقيع في مُستند رسمي أو عاديّ يسقط أثر تخلفه إذا تحقّق التوقيع الإلكتروني على مُستند إلكتروني وفق هذا القانون. هنا يتبلور معيار المحكمة العملي فإن استطاع الخصم أن يُقدّم سلسلة مُحكّمة من شهادة التصديق السارية، وختم الزمن، وسجلات الإنشاء والتسلم، انقلبت هذه المجموعة إلى قرينة مُطمئنة على الهوية والإرادة لا تنفضها مجرد دعوى الإنكار.

وتكميلاً للصورة المقارنة نُظهِر قواعد الاتحاد الأوروبي ففي لائحة eIDAS نلاحظ مبدأ عدم التمييز بين التوقيع الإلكتروني والخطّي في الأصل؛ فلا يُحرّم التوقيع الإلكتروني من الأثر أو من القبول كدليل لمجرد كونه إلكترونياً، مع تقرير مُعادلة التوقيع المؤهل للخطّي نصّاً (لاحظ المادة 25 من اللائحة)، ثم تأتي تعديلات ١١٨٣/٢٠٢٤ لتحكم مُعاملة شهادات الصّفات الإلكترونية وأثر إلغائها الفوريّ منذ لحظة الإلغاء بلا رجوع في الصّحّة، وهو منطق يُوازيه في القانون العراقي أثر إلغاء الشهادة وتعليقها على قوة الدليل وسلسلة الاعتماد، وإنّ الغرض من الإشارة المقارنة هنا ليس النسخ، بل بيان أنّ معيار السيطرة المنفردة وكشف العبث وسجلات الاعتماد صار هو لبّ القرينة في الأنظمة المعاصرة، وهي نفسها مفاتيح المادتين ٤ و ٥ من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية العراقي.

المبحث الثاني

المسؤولية والحماية الإجرائية للهوية الرقمية

حين تُخدش الهوية الإلكترونية لا يأتي الجرح من فراغ، إنما من خطأ يتسلّل عبر انتحال أو تزوير أو ولوج غير مشروع، فيصبح السؤال كيف تُثبت الخطأ ونقيس الضرر ونصل الحلقات بين الفعل ونتيجته، ثم كيف تُلزم المنصّات بواجب عناية واستجابة مع تعقّد الحدود واختلاط الاختصاص، ولتوضيح ذلك نرى المطالب الآتية:

المطلب الأول

مسالك الإثبات والمسؤولية في القانون العراقي

لا نعيد اختراع العجلة لأن العجلة هنا هي ذاتها التي حملت الورق المختوم من مكتب الكاتب العدل إلى قاعة المحكمة ثم تابعت رحلتها على سكة الضوء حيث تتلامس الهوية مع مفاتيح التشفير ويصير الزمن ختمًا رقميًا لا تراه العين لكنه يحكم السلسلة من أولها إلى آخرها، فنحن فقط نعيد ترتيب الأدوات التي يعرفها القضاء العراقي أصلا اسم وموطن وأهلية وإرادة وركن خطأ وركن ضرر وسببية فنمد لها كابلاً رقمياً يثبت نسب الدليل إلى صاحبه دون أن نفقد يقين المحكمة الذي صنعتها الكتابة منذ قرون، وإنّ ما يتبدل هو الوسيط وما يبقى هو المعيار هل تعرفنا على الشخص وهل اتصلت إرادته بالحل اتصالاً يكشف العبث أم لا؟ وفي هذه الإجابة المعيارية يجد قانون التوقيع والمعاملات الإلكترونية العراقي رقم ٧٨ لسنة ٢٠١٢ مكانه الطبيعي لأنه يقرر ببساطة أن التوقيع الإلكتروني متى عرّف الموقع وأظهر موافقته واتفق الطرفان على الإجراء اكتسب حجية التوقيع الخطي داخل المعاملات المدنية والتجارية والإدارية ثم منح الكتابة والعقود الإلكترونية أصالة إذا أمكن حفظها واسترجاعها ومعرفة منشئها وزمن الإنشاء والإرسال والقبول، إذ إننا أمام نقل أمين لجوهر الدليل من مداد القلم إلى أثر الخوارزم دون مساس بوزن الدليل أو بسلطة المحكمة في تقديره، ولبيان ذلك نرى ما يلي:

الفرع الأول

حجية المستندات الإلكترونية وإسناد الفعل لفاعله

حين يضع المشرع شرط التعريف والسيطرة والانفراد وكشف العبث والحفظ والاسترجاع فإنه يحدد خريطة الطريق التي تجعل من سجلات الدخول وبطاقات التعريف ذات العاملين وختم الزمن وسلاسل التتبع ودفاتر جهة التصديق كتابةً معتبرة لا مجرد أثر تقني يلوح به طرف الدعوى، إذ أنّ الكتابة في عالم الشبكات ليست نصّاً على شاشة فحسب بل هي ملف له بصمة محتوى وله توقيع يربطه بالموقع ربطاً يكشف أي تعديل بعد لحظة الإنشاء ولها سجل مباداتاً يبيّن ساعة الإرسال وساعة التلقي ويُسند النسخة إلى سلسلة ثقة تبدأ برخصة مُصدّق وتنتهي بقائمة إلغاء الشهادات، وبهذا المنطق يغدو الإثبات الإلكتروني امتداداً طبيعياً لقواعد الإثبات العامة في القانون المدني العراقي لا خصماً لها لأن مناط الحجية لم يكن يوماً مادة الخبر بل إمكان نسبة الفعل إلى صاحبه اطمئناناً واستناداً إلى قرائن متساندة، وقد أحسن قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية العراقي النافذ رسم البنية حين أجاز في أحكامه النهائية إصدار أنظمة وتعليمات تيسر التطبيق وتملأ الفراغات الفنية في الاعتماد والاعتماد العكسي وآجال تعليق الشهادات وإلغائها وهو ما يمنح القاضي قناة عملية لطلب السجلات من المنصات ومن جهات التصديق ويرتب آثار الامتناع عند التلكؤ أو الرفض بغير مسوغ، وفي التطبيق العملي تتحول سلسلة الثقة إلى منهج استدلالي بسيط لكنه صلب يبدأ بالسؤال عن الشخص الذي صدرت عنه العلامة الرقمية وهل كان وحده القادر على توليدها وقت الإنشاء ثم ينتقل إلى سلامة الربط بين العلامة ومحتوى المستند وهل يمكن كشف أي عبث ولو بكسرة بايت ثم إلى سجلي الزمان والمكان وهل تناغمت حركات الدخول والخروج على الحساب مع قصة النزاع وأخيراً إلى سجل جهة التصديق هل الشهادة سارية عند اللحظة الحرجة وهل عُلقّت لاحقاً بسبب فقد السيطرة أو أُلغيت بسبب اختراق مثبت، وحين تتأزر هذه الحلقات يتولد الاطمئنان القضائي الذي ينهض به الدليل الإلكتروني فيتحول من دلائل متناثرة إلى قرينة قوية على الهوية والإرادة ومن ثم على ركن الخطأ متى استُخدم المعرف في انتحال أو في تزوير أو في دخول غير مأذون إليه، ولأن النص فتح باب التعليمات فقد شهدت السنوات الأخيرة حراكاً تنفيذياً لتشغيل بنية التوقيع الرقمي الوطني وتراخيص إصدار الشهادات وإطلاق منصات حكومية للتوقيع والتوثيق وهي خطوات تعزز قدرة القضاء والإدارة على التعامل مع المستندات الإلكترونية كبنية أصلية لا استثناء هـ. (Martin, D. (2018).

وإنَّ القيمة العملية لهذا التحول تظهر عندما نبتعد عن الصورة المدرسية للدليل ونقترب من خصام الناس اليومي، إذ يزعم شخص أن حسابه اختُرق وأن ما وُقِّع باسمه لا ينسب إليه فتسأل المحكمة عن سجل الجلسات هل فُتح الحساب من جهازين متباعدين في الزمن نفسه وهل تكررت محاولات الدخول الفاشلة قبل لحظة الإنشاء وهل غُيّرت مفاتيح الاستيثاق قبل الواقعة وهل أخطر صاحب الحساب جهة التصديق أو المنصة بفقد السيطرة في الزمن الملائم أم لا، و إذا جاءت الإجابات منضبطة ومنقولة من دفتر معتمد تحولت دعوى الاختراق إلى مجرد إمكانية نظرية لا تقوى على دحض قرينة الهوية والسيطرة. وإن جاءت السلسلة مهتزة بفجوات زمنية أو تناقضات بين سجل المنصة وسجل جهة التصديق سقط الوثوق بالتوقيع وصار عبء الإثبات على من يتمسك به. (Balkibayeva, Z. (2024).

ولأن الإثبات يلتقي بالمسؤولية عند عتبة ركن الخطأ فإن قواعد المسؤولية التقصيرية في القانون المدني تبقى الإطار الحاكم متى انكشف الفعل غير المشروع وانحدر ضرره على اسم الشخص أو سمعته أو ماله، ومن هنا يبرز دور قواعد تنازع القوانين واختصاص القضاء في الدعاوى العابرة للحدود الرقمية، فلو انطلقت شرارة الانتحال من خادم في الخارج لكن أثرها أصاب الداخل العراقي بالضرر فإن قاعدة مكان وقوع الواقعة المنشئة للالتزام غير التعاقدية تقيم للساحة العراقية قانونها وقضائها على الدعوى لأن مناط الاختصاص هو حيث وقع الفعل أو حيث تحققت نتيجته، وإنَّ هذا الربط يمنح الضحية طريقاً قصيراً إلى قاضيه الطبيعي ويمنع المنصات العابرة من التدرج بمواقع خوادمها للنجاة من الرقابة القضائية الوطنية.

وحين نقرأ شرط التعريف والسيطرة والانفراد وكشف العبث والحفظ والاسترجاع لا نرى قائمة تقنية جافة بل نرى منهجاً قضائياً يربط الهوية بالإرادة ربطاً محكماً فتتحول سجلات الدخول وبطاقات التعريف ذات العاملين وختم الزمن وسلاسل التتبع ودفاتر جهة التصديق إلى كتابة معتبرة لا ظلاً معلوماً، والسّر أن الكتابة في العالم الرقمي ليست حروفاً على شاشة بل ملفاً له بصمة محتوية وله توقيع يكشف أي تغيير بعد لحظة الإنشاء وله مبادرات تُظهر ساعة الإرسال وساعة التلقي وتسدّد النسخة إلى سلسلة ثقة تبدأ برخصة المصدّق وتنتهي بقائمة إلغاء الشهادات، هكذا يغدو الإثبات الإلكتروني امتداداً طبيعياً لقواعد الإثبات العامة في القانون المدني العراقي لأن مناط الحجية دائماً هو إمكان نسبة الفعل إلى صاحبه اطمئناناً لا مادة الخبر. (Mason, S., & Seng, D., eds, 2021)

في التطبيق العملي تنقلب سلسلة الثقة إلى مسطرة استدلالية واضحة يبدأ القاضي بالسؤال عن الشخص الذي صدرت عنه العلامة الرقمية وهل كان وحده القادر على توليدها وقت الإنشاء؟ ثم ينظر إلى سلامة الربط بين العلامة والمحتوى؟ وهل يُكشف العبث ولو بقدر بايت ثم إلى سجل الزمان والمكان وهل تناغمت حركات الدخول والخروج مع قصة النزاع، وأخيراً إلى سجل المصدّق هل كانت الشهادة سارية في اللحظة الحرجة وهل عُلقَت بسبب فقد السيطرة أو أُلغيت بسبب اختراق مثبت فإذا تأزرت هذه الحلقات تحولت الدلائل المتناثرة إلى قرينة قوية على الهوية والإرادة ومن ثم على ركن الخطأ متى استُخدم المعرف في انتحال أو تزوير أو دخول غير مأذون إليه. (Martin, D. (2018)

وعندما ندخل إلى خصام الناس اليومي نختبر متانة السلسلة بلا زينة خطابية يقول شخص إن حسابه اختُرق وإن ما وُقِّع باسمه لا ينسب إليه فتسأل المحكمة عن سجل الجلسات، فهل فُتح الحساب من جهازين متباعدين في اللحظة نفسها؟ وهل تكررت محاولات الدخول الفاشلة قبل الإنشاء؟ وهل غُيّرت وسائل الاستيثاق قبل الواقعة؟ وهل أخطر صاحب الحساب المصدّق أو المنصة بفقد السيطرة في الزمن الملائم؟ فإذا جاءت الإجابات من دفتر معتمد انقلبت دعوى الاختراق إلى احتمال نظري لا يهدم قرينة الهوية والسيطرة أما إذا انكشفت فجوات زمنية أو تناقض بين سجلات المنصة والمصدق سقط الوثوق بالتوقيع وعاد عبء الإثبات على من يتمسك به هذه دينامية عادلة تعطي الوزن لجودة السلسلة لا لانطباعات عامة عن التقنية. (Mason & Seng)

الفرع الثاني

الفجوات التشريعية وموقع حماية البيانات من هوية الشخص

تبدو الهوية الرقمية صلبة حين تستند إلى نصوص الإثبات لكنها تبقى عرضة لثغرات لا يسدها إلا إطار شامل لحماية البيانات يعرّف الشخص تعريفًا معلوماتيًا ويضبط حركة جمع بياناته ومعالجتها ويعطيه أدوات النفاذ والمحو والتقييد والاعتراض، وفي العراق حتى هذه اللحظة لا يملك قانونًا وطنيًا شاملاً لحماية البيانات بالمعنى المقارن الذي رسخته أوروبا في لائحة الحماية العامة للبيانات، وهو ما تؤكد مراجع مهنية دولية ترصد خرائط الخصوصية في العالم وتذكر العراق ضمن أكبر الدول التي لا تمتلك تشريعًا وطنيًا عامًا، وتضيف أن مشهد الحماية يتوزع على قواعد متفرقة وبعض الأطر القطاعية دون سلطة إشراف موحدة، لا يعني ذلك خلو الساحة من أي حماية لكنه يعني أن الهوية الرقمية تبقى محمية بجهد القضاء المدني والجزائي وباجتهادات متفرقة لا بإستراتيجية تشريعية متناسقة. Abdul Wahhab, B. M., Hussein, S. M., & Rajamanickam, R. (2022).

وفي المقابل وضع الاتحاد الأوروبي معيارًا مفاهيميًا حاسمًا حين عرّف البيانات الشخصية بأنها أي معلومة تتعلق بشخص معرف أو قابل للتعريف لا سيما بالاستناد إلى معرف على الإنترنت - كما تقدّم - هذه العبارة القصيرة تحسم النقاش لأنها تقرر أن المعرف الإلكتروني نفسه جزء من تعريف الشخص قانونًا لا مجرد قشرة تقنية، واستلهم هذا التعريف في تشريع عراقي مقبل سيغلق فجوة المفهوم ويمنح القضاء نصًا صريحًا يربط المعارف بالحياة الخاصة وبسائر الحقوق الشخصية فيجعل الاعتداء عليها اعتداءً على الشخصية القانونية ذاتها، عندها لا تبقى دعوى الانتحال رهينة تكييفات لغوية حول معنى الاسم في فضاء المنصة بل تصبح دعوى حماية بيانات وهوية بموجب قانون خاص يوزع الواجبات على المعالجين ويلزمهم بمسارات إنذار وإزالة واستجابة ضمن آجال محددة ويضع للجزاءات سلمًا واضحًا.

إن سد الفجوة يحتاج لثلاثة أوتاد تشريعية متكاملة: أولها تعريف وطني دقيق للهوية الرقمية بوصفها مجموعة من المعارف والصفات الإلكترونية التي تنسب شخصًا طبيعيًا على نحو يمكن التحقق منه فنيًا وقانونيًا، وثانيها نظام حقوق إجرائية للفرد يتضمن حق الإخطار عند خرق البيانات وحق الوصول إليها وتفسير القرارات المؤتمتة التي تؤثر في سمعته الرقمية وحق المحو عندما يصبح الاحتفاظ غير متناسب مع الغرض، وثالثها إنشاء سلطة مستقلة لحماية البيانات لها ولاية على القطاعين العام والخاص وتنسق مع القضاء في أوامر الإزالة والمنع وتراقب امتثال المنصات، وكل ذلك يندمج مع ما لدينا بالفعل من حجية للتوقيع والمستند الإلكتروني فلا يبدأ من فراغ بل يكمل شبكة الحماية التي نسجتها قواعدها العامة.

المطلب الثاني

التزامات المنصات وطرائق الإزالة والمنع في المقارن ثم إسقاطها على العراق

عندما تصطدم هوية الفرد بمنصة عالمية لا ينفعه مجرد إشارة إلى أنه صاحب الاسم بل يحتاج إلى قواعد تلزم الوسيط بواجب عناية سريعة وشفافة، وإن التجربة الأوروبية صنعت صندوق أدوات عملي لا يتطلب منا نسجًا حرفيًا لكنه يمدنا بمقاييس جاهزة. يقرر قانون الخدمات الرقمية في أوروبا إطارًا عامًا للخدمات الوسيطة يبدأ من آليات الإخطار والإجراء وينتهي بتقييمات المخاطر للمنصات الكبرى مع تقارير شفافية دورية ومسارات تظلم داخلية وخارجية، وإن هذا الإطار متى جرى مواءمته وقرن بمنظومة الهوية الرقمية والتوقيع المؤهل صار بإمكانه أن يحول دعوى الشخص من صرخة في بريد الدعم إلى مسار واضح يبدأ بإخطار صالح وينتهي بقرار معلل في زمن معلوم، وفقًا لما يلي:

الفرع الأول

من الحق في الحياة الخاصة والاسم إلى واجبات المنصات

تعلمنا فرنسا منذ زمن قصير العبارة بعيد الأثر حين قررت أن لكل إنسان حقاً في احترام حياته الخاصة فجعلت للقاضي سلطة اتخاذ التدابير الوقائية لإيقاف الاعتداء ثم فتحت باب التعويض، وهذه الروح تحولت في الفضاء الأوروبي إلى منظومة مترابطة تحمي الاسم والهوية والمعرفات الرقمية (لاحظ المادة 9 من القانون المدني الفرنسي)، على مستوى الاتصالات الموثوقة اعترفت لائحة eIDAS بأن التوقيع الإلكتروني لا يحرم من أثره مجرد كونه إلكترونياً ثم ساوت التوقيع المؤهل بالخطي ونصت على الاعتراف المتبادل عبر حدود الاتحاد.

ومع الإصلاح الحديث نشأت محفظة الهوية الرقمية الأوروبية لتكون وعاء الصفات والإثباتات الإلكترونية بحيث يستطيع الفرد أن يحمل معه تعريفاً موحداً وتوقيعاً ذا قوة قانونية في تعاملاته الخاصة والعامة، وإن هذه الشبكة ليست شعارات تقنية بل أدوات قضائية وإجرائية تعطي المنصة معياراً لما يجب أن تقبله من إشارات ثقة وتعطي الفرد دليلاً على هوية لا ينزع فيها إلا بدحض قوي.

وفي قوس آخر من التجربة الأوروبية جاء قضاء محكمة العدل في قضية جوجل إسبانيا ليقرر أن لمحرك البحث مسؤولية عن إتاحة روابط قديمة وغير متناسبة مع الغرض في ظروف معينة وأن للفرد حقاً في محو نتائج البحث حين ترجح كفة الخصوصية على حق الجمهور في المعرفة في توازن دقيق، وهذه الفكرة تصلح أن تكون أداة عراقية صالحة حين يُستعمل اسم الشخص أو صورته أو معرفه على نحو يهدر سمعته دون مصلحة عامة معتبرة إذ يمكن تسكينها في دعوى المنع والإزالة مع مراعاة الفارق المؤسسي بين نظام الاتحاد وتجربتنا الوطنية، والمهم هو المبدأ أن وسيط الشبكة ليس خارج المسائلة وأن الإزالة ليست مئة تقنية بل التزام قانوني عندما يستقر الميزان على الضرر غير المتناسب (2014, May Court of Justice of the European Union. 13).

أما قانون الخدمات الرقمية نفسه فيرسم مفاصل عملية دقيقة، المنصات تضع آلية واضحة يسهل الوصول إليها لإخطارها بالمحتوى غير المشروع بما في ذلك الحسابات المنتحلة وتلتزم بالبت السريع مع تبيين الأسباب وتمكين الطعن وتقديم تقارير شفافية عن عدد البلاغات وإجراءات المعالجة، وإن المنصات الكبرى تؤدي تقييمات دورية لمخاطر إساءة الاستخدام إلى الإضرار بالحقوق الأساسية وتقدم خطط الحد من المخاطر وتتيح واجهات بيانات للباحثين المعتمدين، ونحن لا نحتاج نقل كل بند لكننا نستطيع اصطيد القاعدة البسيطة واجب الإخطار واجب القرار واجب الشفافية واجب التخفيف إذا صيغ بروتوكول وطني بهذه الروح فإنه يُنهي فوضى البريد الدائري ويعطي للمتضرر خريطة طريق من نقرته الأولى حتى قرار الإزالة والتعويض (Wolters, P., & Gellert, R. (2023)).

الفرع الثاني

إسقاط مُحكم على الواقع العراقي

يمكن للمحاكم العراقية اليوم أن تتحرك في ثلاثة مسارات متساندة دون انتظار تشريع جديد لأنها تملك من النصوص ما يكفي لتنزيل الحماية على الأرض، فالمسار الأول هو إعادة قراءة حماية الاسم واللقب في القانون المدني على أنها تشمل حساب الشخص ومعرفة عندما يؤدىان وظيفة التعريف الاجتماعي والمهني على المنصة، وبهذه القراءة يصبح انتحال الحساب تعرضاً للاسـم يفتح دعوى الإزالة والمنع والتعويض، كما يمكن توظيف فكرة المواطن المختار في صورة إلكترونية صريحة بأن يتخذ الطرفان عنواناً رقمياً للإخطارات والتنفيذ متى ثبت بالكتابة الإلكترونية ذات الحجية. وهذا يختصر الطريق في المنازعات مع مزود الخدمة أو مع المستخدم المنتحل (Jaber, A. A., & Al-Dubaisi, W. H. (2024)).

بينما المسار الثاني هو تفعيل قانون التوقيع والمعاملات الإلكترونية لتثبيت نسبة الفعل الرقمي إلى فاعله. هنا يصبح سجل الدخول وأثر الزمن وشهادة التصديق وسلسلة الاعتماد كتابةً قائمة بذاتها وليست مجرد دلائل متناثرة، فإذا قدم المدعى توقيعاً معتمداً يقترن بسلسلة سليمة من الاعتماد والزمن انتقل عبء الدحض إلى المنكر فلا يكفي أن يقول اختراقني بل عليه أن يقيم قرائن نوعية على فقد السيطرة أو على خلل في جهة التصديق أو المنصة لأن شرط الانفراد والسيطرة يجعل القول بالانتحال دعوى إيجابية لا تنقض قرينة الهوية بمجرد النفي، وإذا كانت الشهادة قد عُلقت أو أُلغيت في اللحظة الحرجة سقط الوثوق بالدليل وإلا بقي قائماً ينهض بإثبات الخطأ والسببية والضرر في آن واحد K والمسار الثالث تشريعي تنظيمي لا يرتبط بإنشاء الحقوق من عدمها بل بتنظيم سبلها، و المقصود أن تُسن منظومة وطنية لحماية البيانات والهوية الرقمية تعرف الهوية الإلكترونية تعريفاً إجرائياً يضم الاسم والمعرفات الرقمية والاعتمادات المؤكدة وتمنح الفرد حقوق النفاذ والمحو وتلزم المنصات بقناة إشعار موحدة وآجال رد وسجل قرارات معلن وتقرر أوامر إلكترونية عاجلة للإزالة والمنع وغرامات تهديدية على من يكرر الاعتداء وذلك بروح دعوى المنع الألمانية ودينامية الحق في الحياة الخاصة الفرنسية ضمن سياقنا الوطني، وهذا المسار لا يبدأ من العدم لأن قانون ٧٨ رسم إطار الاعتماد وأجاز التعليمات التنفيذية وقد ظهرت بالفعل مبادرات حكومية لتشغيل بنية التوقيع وإطلاق منصات محلية للتوقيع والتحقق وهو ما يعني أن المواد الصلبة موجودة وما نحتاجه هو مخطط هندسي يوصلها ببعضها ويجعلها قابلة للاستخدام القضائي والإداري اليومي، ولكي يكتمل الإسقاط لا بد من بروتوكول عملي للقاضي وللمتقاضى، إذ يبدأ المتضرر من حساب منتحل أو محتوى مزيف للهوية بإخطار إلكتروني يتضمن إثبات نسب الاسم أو الصورة أو المعرف إليه مع إرفاق ما يتيسر من مستندات إلكترونية تحمل توقيعاً معتبراً أو إشهاداً من جهة رسمية على صلته بالمعرف ويودع الإخطار في قناة واضحة لدى المنصة، إذ تلتزم المنصة زمنياً محدداً للبت وتصدر قراراً معللاً بالإزالة أو بالإبقاء مع فتح باب التظلم الداخلي ثم الخارجي. عند الإبقاء يلجأ المتضرر إلى القضاء طالباً أمراً وقتياً بالمنع والإزالة مستنداً إلى قرائن الهوية وإلى موازنة الضرر مع المنفعة العامة. وفي الدعوى الموضوعية يطلب التعويض ويقدم سلسلة الاعتماد والزمن وسجلات الدخول. إذا امتنعت المنصة أو جهة التصديق عن تقديم السجلات بغير مسوغ ترتب المحكمة قرائن ضد الممتنع لأنها حجب الدليل عن خصمه. هذا المسار ليس مثالياً لكنه قابل للتنفيذ في بيئتنا لأنه لا ينتظر قيام سلطة بيانات وطنية بل يستخدم ما لدينا ويستعد لما سيأتي (Khalaf, J., Al Dabbagh, A., & Saad, Z. (2025, June 12).

وفي الخلفية المؤسسية يتحرك جهاز الدولة باتجاه ترسيخ البنى الداعمة منذ سنوات تتحدث وزارة الاتصالات ومقدمو الخدمات التقنيون عن إنجاز نسب مرتفعة من مشروع البنية الوطنية للتوقيع الرقمي وعن جاهزية منصات توقيع محلية وعن تعليمات تنفيذية رجحتها تقارير مهنية في منتصف ٢٠٢٥، لا تُعطي لهذه الأخبار وزن القانون حتى تظهر في الجريدة الرسمية لكنها مؤشر عملي على أن مسار الاعتماد والتشغيل يسير وأن القضاء سيجد قريباً أمامه شهادات مصدق وطنية يمكن الرجوع إلى سجلاتها وطلبها بالطرق الرسمية.

وبالفعل فقد وافق رئيس مجلس الوزراء العراقي (لاحظ الموقع الإلكتروني: www.pmo.iq) على إطلاق العمل بالتوقيع الإلكتروني لمؤسسات الدولة والقطاع الخاص والمواطنين، وإنّ هذا الإعلان ليس خبراً عابراً في شريط منصة اجتماعية بل نقطة انعطاف في طريق طويل بدأتها النصوص وانتهى اليوم إلى الفعل، فحين يوافق رأس السلطة التنفيذية على إطلاق العمل بالتوقيع الإلكتروني فالمشهد يتحول من وعد تقني إلى التزام دولة، إذ تتبدل اللغة من هل يصلح القانون إلى متى نضعه موضع التطبيق ومن أين نبدأ، وهنا يلتقي موضوعنا عن وحدة الشخصية بين الواقع والفضاء مع قرار سياسي يفتح الأبواب التطبيقية دفعة واحدة، وإنّ أول ما يعنيه الإطلاق أن معيار الحجية الذي رسمه قانون التوقيع والمعاملات الإلكترونية يخرج من الكتب إلى مسارات الناس اليومية، إذ أنّ توقيع الموظف العام على قرار إداري يولد أثراً نافذاً من لحظته إذا استوفت سلسلة الثقة شروطها، وكذلك فإنّ عقد

المشتريات الحكومية ينتقل من طاولة الورق إلى منصة موقعة بمفاتيح معتمدة، وكذلك خطاب البنك إلى عميله يصبح وثيقة كاملة إذا عرفنا المنشئ والزمن واستطعنا كشف العبث، فلم نعد نبحث عن حبر أزرق بل عن انفراد بالسيطرة وعن ربط لا يقبل التلاعب وعن ختم زمني يقطع الجدل حول الميعاد.

والمغزى الثاني عملي جداً، فحين يُطلق العمل رسمياً تنشأ مسؤوليات محددة على مؤسسات الدولة والقطاع الخاص، لا يكفي إعلان النية، بل يلزم بناء سلسلة ثقة وطنية من الجذر إلى الأطراف، وجذر توقيع سيادي يحميه عتاد آمن، وجهات تصديق مرخصة بسياسات اعتماد واضحة، مراكز تسجيل تتعامل وجهاً لوجه أو عن بعد وفق ضوابط تحقق صرامة، وكذلك قوائم إلغاء وتحقق فوري عند الاشتباه، وكذلك قنوات متاحة للجُمهور للتحقق من الشهادات لحظة الاستخدام، وإن كل ذلك ليس تفاصيل تقنية بل أعمدة حجية الدليل أمام القاضي، فإذا سارت السلسلة كما ينبغي صار التوقيع الإلكتروني كتابة أصلية، وإذا اضطربت انهار البناء على أصحابه.

والإطلاق هذا يفرض قراءة جديدة لمشهد الخدمة العامة، فالتبليغ الإداري والقضائي يستطيع أن يتخذ طريقاً إلكترونياً معترفاً به، والمواطن المختار الذي عرفه التقنين المدني يجد ترجمته الرقمية في عنوان معتمد يتلقى الإخطارات بأثر قانوني، وكذلك ملفات الموظفين يمكن أن تنتقل إلى محفظة هوياتية تحفظ صفتهم ومؤهلاتهم وتبرزها عند الطلب، وكذلك التعاقدات الحكومية تخرج من طقس المراجعات الورقية إلى منصة توقيع تتيح الأثر الفوري والرقابة اللاحقة، بل حتى الشكاوى والعقود الصغيرة التي ترهق المواطنين يمكن أن تُحسم بتوقيع على هاتف إذا اكتملت عناصر السلسلة.

وهنا تتجلى قيمة موضوعنا في حماية الشخصية المدنية وهي تعبر هذا الجسر، فالانتحال لن يقف في وجه توقيع موثق إذا تعلمنا أن ننقل دعوى الاعتداء من مستوى الاسم المجرد إلى مستوى المعرف الموثق، وكذلك فإن الحساب الذي يحمل اسمك لا يساوي توقيعك ما لم يُسند إلى شهادة صادرة عن جهة معتمدة وتحت سيطرتك المنفردة، ومع الإطلاق يصبح بوسعنا أن نبني آلية سريعة للإزالة والمنع تستند إلى قرائن الهوية لا إلى رسائل متبادلة بلا نهاية، وإن أمر قضائي مؤشّر بهاش يلاحق المحتوى ذاته لا الرابط المتبدل، وأمر حفظ مؤمن للدليل يلزم المنصة بتجميد النسخ والسجلات بختم زمني، ومسار تظلم داخلي زمني قصير، وكل ذلك يصبح ممكناً حين يكون للتوقيع ركائز وطنية ظاهرة، وسيكون على الحكومة أن تحسم أسئلة الحوكمة منذ اليوم الأول، من هي الجهة المنظمة التي تمنح التراخيص وتدقق الامتثال وتصدر سياسات الاعتماد وممارسات التصديق، وما حدود المسؤولية المدنية لجهة التصديق عند الخطأ الفني أو التقصير التنظيمي، وما مستوى التأمين الإلزامي ضد أخطار فقدان السيطرة أو الاختراق، وكيف نوزع العبء بين صاحب الشهادة والمنصة والجهة المصدقة إذا وقع الضرر، الإجابة ليست تقنية محضة، بل إنها قسمة عدالة بين أطراف يتشاركون سلسلة واحدة، فمن يملك المفتاح يتحمل واجب العناية الأعلى، وكذلك من يدير المنصة يتحمل واجب الاستجابة الأسرع. من يوقع باسمه يتحمل واجب الحفظ والإخطار عند الفقد.

والقرار بمس القضاء من لحظته، إذ يلزم دليل إجرائي واضح يقول للقاضي كيف يزن الدليل الإلكتروني، ما العناصر التي تكفي لقيام قرينة الهوية والإرادة، ومتى ينتقل عبء الدحض، وكيف تُستقبل المبتادات وكيف تُحص، زما معيار صحة الختم الزمني، ومتى نكتفي بالتوقيع البسيط ومتى نطلب توقيعاً عالي الموثوقية، كما يحتاج القضاة إلى قوالب أوامر إلكترونية جاهزة لأوامر المنع المؤشرة بهاش وأوامر الحفظ المؤمن وطلبات الكشف عن السجلات، وحين تنتظم هذه الأدوات تختصر الخصومة من شهور إلى أيام لأن الطريق معروف والقرائن محددة.

سيطول الأثر لبطال السوق كله، فالبنوك تستطيع استكمال فتح الحساب عن بعد إذا جمعنا التوقيع مع تحقق حي آمن، وكذلك شركات الاتصالات تربط شرائح الهواتف بالهوية الموثقة فتراجع مساحة الاحتيال، والتجارة الإلكترونية تغادر منطقة الشك إلى منطقة التصديق المسبق، وكذلك الفواتير الضريبية تتخذ شكلاً إلكترونياً موقّعاً بما يرفع دقة التحصيل ويقلل المنازعات، ونفس

الشيء بالنسبة إلى المنح الدراسية والشهادات المهنية تصدر بصيغة قابلة للتحقق العام فتتخلص ظاهرة الشهادات المزيفة، وكل ذلك ينعكس على الثقة وعلى تكلفة المعاملة وعلى سرعة الدوران في الاقتصاد.

ومع هذا الزخم تظهر مخاطر تحتاج سياسة محسوبة، كخطر الإقصاء الرقمي إذا لم نوفر بدائل حضورية مراعية لذوي الاحتياجات وللمناطق الأبعد، وخطر الاستحواذ التقني إذا احتكر مزود واحد البنية الأساسية، وخطر الإفراط في الجمع إذا استُخدمت المحافظ الهوية كمنشود شامل لكل شيء، ومن هنا يلزم ميزان يحفظ الخصوصية ويضمن قابلية النقل ويمنع حبس المستخدم داخل نظام مغلق، والهوية يجب أن تكون ملك الشخص لا ملك المزود، وكذلك المفاتيح يجب أن تتبدل عند الحاجة دون فقدان الحقوق، والسجل يجب أن يظهر للقاضي عند الطلب وأن يغيب عن العيون التي لا شأن لها به، ثم إن هذا القرار يفتح نافذة كبيرة لتطوير ثقافة الإثبات، فالناس ستعلم أن التوقيع ليس صورة لاسم بخط جميل على شاشة بل سلسلة ثقة تبدأ من جهاز آمن ومن كلمة سر لا يُسهل فيها ومن طريقة تحقق متعددة العوامل ومن شهادة يمكن التحقق منها فوراً، بل ستعلم المؤسسات أن التوقيع بلا حفظ ولا استرجاع ولا زمن واضح هو توقيع ناقص، وستعلم المنصات أن سجل الدخول والإنشاء والتسليم ليس ترفاً بل وثيقة حياة العقد وموته.

ويبقى سؤال البيانات وحمايتها والإطلاق لن يكتمل من دون إطار وطني صريح يقر بحقوق الوصول والمحو والاعتراض والإخطار عند الخرق، وإلى أن يكتمل هذا البناء يمكن للدولة أن تتبنى معايير مؤقتة تحاكي أفضل الممارسات وتربط بين الجهة المنظمة للتوقيع وجهة إشراف على الخصوصية ولو بصيغة انتقالية، والغاية أن لا يُترك الأثر الرقمي بلا سقف حماية وأن لا تتحول أدوات الثقة إلى قنوات تسريب.

خاتمة

بعد أن انتهينا من دراسة ومبحث موضوع بحثنا نصل الآن إلى بيان أهم ما توصل إليه البحث من نتائج ومقترحات وكما يلي:

أولاً: النتائج: لاحظنا أن:

1. الشخصية القانونية لم تعد حبيسة الورق فالهوية الإلكترونية امتداد مدني فعلي للشخص الطبيعي، تُنشئ مركزاً قانونياً وتولد أثراً في الالتزام والحق والمسؤولية.
2. قانون التوقيع والمعاملات الإلكترونية رقم ٧٨ لسنة ٢٠١٢ يوفّر جسور الإثبات، فحين تكتمل سلسلة الثقة من تعريف وسيطرة وحفظ وزمن تصبح الكتابة والتوقيع الإلكترونيان أصلاً في الإثبات لا استثناء.
3. حماية الاسم واللقب في القانون المدني العراقي تُسعف القضاء في مواجهة الانتحال على المنصات، فالحساب والمعرف والاسم على النطاقات يمكن إدخالها تحت معنى الاسم متى أدت وظيفة التعريف
4. فكرة الموطن المختار صالحة للصياغة الإلكترونية إذ يمكن اعتماد بريد آمن أو بوابة حكومية أو معرف منصاتي للتبليغ والتنفيذ إذا ثبت ذلك كتابة إلكترونية معتبرة
5. قاعدة مكان وقوع الواقعة المنشئة للالتزام غير التعاقدية تمنح القضاء العراقي ولاية على أفعال منصات عابرة إذا وقع أثرها داخل العراق
6. الفجوة التشريعية في حماية البيانات ما تزال قائمة إذ نلاحظ غياب قانون شامل يضع عبئاً زائداً على القضاء ويزيد كلفة التقاضي ويضعف التوقع المشروع لدى الأفراد والشركات.
7. التجربة المقارنة ترشد ولا تُلزم إذ أن فرنسا تحمي الحياة الخاصة بأوامر عاجلة، و ألمانيا توفّر أدوات المنع والإزالة بدعوى راسخة، و الإطار الأوروبي في eIDAS و DSA يقدم آليات عملية للإخطار والقرار والشفافية.

8. التزامات واضحة على المنصات تحسن بيئة الحماية كقناة إشعار عربية أو آجال قرار معللة أو سجلات متاحة للسلطة القضائية عند الطلب.
 9. الضرر في الانتحال رقمياً يتجاوز الخسارة المالية فالسمعة والهوية والفرص عناصر معتبرة في التعويض.
 10. القضاء قادر منذ الآن على حماية الهوية الرقمية بأدوات قائمة وما يلزم هو بروتوكول عملي وإسناد تشريعي مُحكم.
- ثانياً: المقترحات "نقترح أن يتم:
1. سن قانونٍ خاص لحماية الهوية المدنية الإلكترونية وحماية البيانات يتكامل مع القانون المدني ومع قانون ٧٨ لسنة ٢٠١٢ دون تعارض
 2. تعريف صريح للهوية الإلكترونية تضم المعرفات الموثقة والصفات الرقمية وشهادات الاعتماد. مع الإقرار بموطن مختار إلكتروني للإخطارات والتنفيذ
 3. إنشاء جهة تنظيمية وطنية لخدمات الثقة والهوية تمنح التراخيص و تُدير قوائم الثقة وتُصدر المواصفات وتُراقب الامتثال
 4. فرض التزامات واضحة على المنصات التي تستهدف المستخدم العراقي كقناة إشعار موحدة أو آجال بت أو سجل قرارات أو واجب حفظ السجلات أو واجب تعاون مع القضاء
 5. تقرير أوامر قضائية إلكترونية عاجلة للمنع والإزالة كزمن محدد للإجراء و جزاءات تهديدية عند التأخر أو التكرار.
 6. اعتماد قرائن قانونية مُحددة في قضايا الانتحال كاستعمال مُعرّفٍ معتمد خارج بيئة سيطرة صاحبه يُنشئ قرينة على الاعتداء إلى أن يثبت العكس.
 7. تنظيم النفاذ إلى السجلات التقنية مع صون الخصوصية تُسلم للسلطة القضائية أو لخبير مأذون، ويُحظر تداولها خارج الغاية.

المصادر

أولاً: المراجع الأجنبية:

- 1- (Balkibayeva, Z. (2024). Problems of admissibility and reliability of metadata as evidence. International Journal of Law and Policy, 2(10), 48–58. <https://doi.org/10.59022/ijlp.232>)
- 2- (Bradford, A. (2012). The Brussels effect. Northwestern University Law Review, 107(1), 1–68)
- 3- (Court of Justice of the European Union. (2014, May 13). Google Spain SL and Google Inc. v AEPD and Mario Costeja González (Case C-12/131, ECLI:EU: C:2014:317). <https://eur-lex.europa.eu/legal-content/EN/TXT/?uri=ECLI:EU:C:2014:317>)
- 4- (Martin, D. (2018). Demystifying hash searches. Stanford Law Review, 70, 691–733. <https://review.law.stanford.edu/wpcontent/uploads/sites/70/02/2018/3-Stan.-L.-Rev.-691.pdf>)

- 5- (Mason, S., & Seng, D. (Eds.). 2021. Electronic Evidence and Electronic Signatures (5th ed.). University of London Press.)
- 6- (UNCITRAL. (2001). Model law on electronic signatures, with a guide to enactment. United Nations)
- 7- (Wolters, P., & Gellert, R., 2023). Towards a better notice-and-action mechanism in the DSA. JIPITEC, 14(3). <https://www.jipitec.eu>
- 8- Abdul Wahhab, B. M., Hussein, S. M., & Rajamanickam, R. (2022). The concept of online privacy and personal data protection in Iraq: A way forward. Journal of Positive School Psychology, 6(3), 6870–6881
- 9- Balkibayeva, Z. (2024). Problems of admissibility and reliability of metadata as evidence. International Journal of Law and Policy, 2(10), 48–58. <https://doi.org/10.59022/ijlp.232>
- 10- Court of Justice of the European Union. (2014, May 13). Google Spain SL and Google Inc. v Agencia Española de Protección de Datos (AEPD) and Mario Costeja González (Case C-131/12; ECLI:EU:C:2014:317). EUR-Lex. <https://eur-lex.europa.eu/legal-content/EN/TXT/?uri=ECLI:EU:C:2014:317>
- 11- Jaber, A. A., & Al-Dubaisi, W. H. (2024). Liability arising from the acts of third parties in Iraqi law. International Journal of Criminal, Common, and Statutory Law, 4(2), 163–169. <https://www.criminallawjournal.org>
- 12- Khalaf, J., Al Dabbagh, A., & Saad, Z. (2025, June 12). Implementation instructions for Iraq's Electronic Signature and Electronic Transactions Law. Lexis Middle East Law. <https://www.lexismiddleeast.com>

ثانيا: القوانين:

1. قانون التوقيع الالكتروني والمعاملات الالكترونية رقم 78 لسنة 2012.
2. القانون المدني الألماني لسنة 1900.
3. القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951
4. القانون المدني الفرنسي المعدل لسنة 2016.
5. اللائحة العامة لحماية البيانات لسنة 2018.

ملحق

مشروع قانون حماية الهوية المدنية الإلكترونية وتنظيم الإخطار والمنع والإزالة

الباب الأول

التعاريف والنطاق

المادة 1 — التعاريف

يقصد بالمصطلحات الآتية المعاني المبينة قرين كل منها

الهوية المدنية الإلكترونية: مجموعة المعارف والصفات والبيانات الرقمية التي تُسند إلى شخص طبيعي على نحو يمكن التحقق منه.
المعرف الإلكتروني: أي علامة تعريف رقمية خاصة بشخص. وتشمل الاسم على المنصة واسم النطاق ومعرفات الحساب وأي رمز تحقق يرتبط بالشخص.

المحفظة الهوية: وعاء آمن لحفظ المعارف والصفات والشهادات الرقمية وإبرازها.
خدمات الثقة: التوقيع الإلكتروني وختم الزمن والشهادة الإلكترونية وسائر الخدمات التي يعتمد عليها هذا القانون والأنظمة الصادرة بشأنه.

جهة التصديق: الشخص المعنوي المرخص لإصدار الشهادات وإدارة قوائم الثقة.

المنصة: كل خدمة بسيطة أو شبكة اجتماعية أو محرك بحث أو سوق إلكتروني تستهدف مستخدمين داخل العراق.
الإخطار المعتبر: رسالة إلكترونية مؤثقة تتضمن بيانات الإسناد ومحل المخالفة وطلبات الإزالة والمنع وفق هذا القانون.
الموطن المختار الإلكتروني: عنوان بريدي آمن أو حساب خدمة حكومية أو بوابة منصة يتفق عليه للتبليغ والتنفيذ.

المادة 2 — نطاق التطبيق

يُطبق هذا القانون على كل علاقة مدنية تمس الهوية المدنية الإلكترونية داخل العراق أو يترتب أثرها داخله، ويُطبق كذلك على المنصات التي تستهدف المستخدم العراقي ولو كان مقرها خارج الإقليم.

المادة 3 — العلاقة بالقوانين النافذة

تظل أحكام القانون المدني وقانون التوقيع والمعاملات الإلكترونية رقم ٧٨ لسنة ٢٠١٢ سارية، وتُقرأ أحكام هذا القانون مكملة لها ولا تُلغى إلا بنص صريح.

الباب الثاني

المبادئ العامة والحقوق

المادة 4 — مبدأ الاعتراف

لا يُجرم أي توقيع أو مستند إلكتروني من الأثر مجرد كونه إلكترونياً، متى استوفت سلسلة الثقة شروط التعريف والسيطرة والربط والحفظ كان أصلاً في الإثبات.

المادة 5 — حق التحكم بالهوية

للفرد حق التحكم بهويته المدنية الإلكترونية ويشمل الحق في التعريف الآمن وفي الإخطار عند الاعتداء وفي طلب الإزالة والمنع وفي التعويض عند الضرر

المادة 6 — الموطن المختار الإلكتروني

يجوز اتخاذ موطن مختار إلكتروني للإخطارات والتنفيذ، ويثبت بالكتابة الإلكترونية المعتبرة، وتعد الإخطارات المرسلة إليه صحيحة ما لم يثبت خلاف ذلك.

الباب الثالث

الإثبات الرقمي والقرائن

المادة 7 — حجية المستند الإلكتروني

للمستندات الإلكترونية والكتابة الإلكترونية والعقود الإلكترونية ذات الحجية القانونية لمثيلتها الورقية متى أمكن حفظها واسترجاعها ومعرفة منشئها وزمن الإنشاء والإرسال والقبول.

المادة 8 — سلاسل الثقة

تتكون سلسلة الثقة من شهادة اعتماد سارية وأداة إنشاء تحت سيطرة الموقع. وربط يكشف التعديل وختم زمن موثق وتعد هذه العناصر قرائن متساندة على الهوية والإرادة.

المادة 9 — قرينة الاستعمال غير المشروع

يُنشأ استعمالٌ معرفٌ معتمدٌ من بيئة لا يسيطر عليها صاحبه قرينةً على الاعتداء الهوياتي إلى أن يثبت العكس ويكفي للقلب دليلٌ نوعي على فقد السيطرة أو اختراقٌ مثبت أو إلغاءٌ للشهادة في الزمن المعني.

المادة 10 — سجلات المنصات وجهات التصديق

تُعد سجلات الدخول وخلاصات الأجهزة وختم الزمن والشهادات وقوائم الإلغاء بياناتٌ كتابية وتسلم للسلطة القضائية أو للخبير المأذون عند الطلب.

الباب الرابع

التزامات المنصات ومزودي الخدمة

المادة 11 — قناة الإخطار

تلتزم المنصة بإتاحة قناة إخطار عربية يسهل الوصول إليها مع نموذج موحد يبين هوية المبلغ ومحل المخالفة وطلب الإزالة والمنع.

المادة 12 — آجال القرار

على المنصة البت في الإخطار المعتبر خلال أربع وعشرين ساعة في حالات الانتحال الظاهر وخلال اثنتين وسبعين ساعة في الحالات التي تستلزم مراجعة فنية ويصدر القرار معللاً وقابلاً للتظلم.

المادة 13 — سجل القرارات والشفافية

تنشر المنصة تقرير شفافية نصف سنوي يتضمن عدد الإخطارات وأنواعها ومتوسط زمن المعالجة ونسب الإزالة ويُحظر كشف أي بيانات شخصية إلا بقدر الضرورة

المادة 14 — واجب التعاون مع القضاء

تلتزم المنصة وجهة التصديق بحفظ السجلات التقنية مدة لا تقل عن سنتين وتسلم ما تطلبه المحكمة داخل آجال محددة ويُرتب الامتناع بغير مسوغ قرينةً ضد الممتنع.

المادة 15 — حماية المستخدمين

يحظر تصميم واجهات تُضلّل المستخدم بشأن هوية الحسابات المؤثقة أو إعلانات التكر وتلتزم المنصة بوضع شارة تحقق للحسابات التي تستوفي متطلبات الاعتماد

الباب الخامس

الأوامر القضائية العاجلة والمسؤولية

المادة 16 — أوامر المنع والإزالة

للمحكمة إصدار أمرٍ وقتي بالمنع أو الإزالة عند قيام دلائل جدية على الاعتداء الهوياتي، ويُنفذ الأمر إلكترونياً، وتلتزم المنصة بتنفيذه فور التبليغ

المادة 17 — التعويض

يشمل التعويض الضرر المادي والضرر الأدبي، ويجوز الحكم بتعويض قانوني تقديري عند تعذر الحساب الدقيق، ويضاعف التعويض عند العود.

المادة 18 — الجزاءات التهديدية

يجوز للمحكمة تقرير غرامة تهديدية عن كل يوم تأخير في تنفيذ أمر المنع أو الإزالة، وتؤول إلى الخزينة العامة دون إخلال بحقوق المتضرر.

المادة 19 — حدود المسؤولية

تنتفع المنصة من قيد المسؤولية إذا أثبتت أنها اتخذت إجراءات معقولة وأنها استجابت للإخطار ضمن الآجال، ولا ينتفع بهذا القيد من يساهم عمداً في الاعتداء أو يتقاعس عن إزالة محتوى انتحالي ظاهر

الباب السادس

الجهة التنظيمية والتراخيص

المادة 20 — إنشاء الجهة

تنشأ جهة تنظيمية تسمى هيئة الهوية المدنية الإلكترونية وخدمات الثقة، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والإداري.

المادة 21 — اختصاصات الهيئة

ترخيص جهات التصديق، وإدارة قوائم الثقة، وإصدار المواصفات الفنية، ومراقبة الامتثال، والتنسيق مع السلطة القضائية، و قبول الشكاوى، وإصدار تقارير سنوية.

المادة 22 — الاعتماد والمحافظة

تضع الهيئة نظام اعتماد للمحافظ الهوياتية والتوقيعات المؤهلة وختم الزمن، وتُحدّث جداول الإلغاء والتعليق بصورة فورية.

الباب السابع

الاختصاص والقواعد الإقليمية

المادة 23 — الولاية القضائية

تتعد الولاية للمحاكم العراقية متى وقع الاعتداء داخل العراق أو تحققت نتيجته فيه، ولو كان الفعل قد صدر من خارج حدود الدولة.

المادة 24 — التبليغ الإلكتروني

يُعتد بالتبليغ عبر الموطن المختار الإلكتروني، ويُقبل التبليغ عبر البريد المؤمن أو البوابة الرسمية أو حساب الخدمة الحكومية، وتثبت صحة التبليغ بختم زمن موثّق.

الباب الثامن

أحكام ختامية وانتقالية

المادة 25 — اللوائح

تصدر الهيئة خلال ستة أشهر من نفاذ القانون اللوائح اللازمة لتنفيذه، ويستمر العمل بالتعليمات النافذة التي لا تتعارض معه

المادة 26 — النفاذ

يعمل بهذا القانون بعد ثلاثين يوماً من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

اثر استراتيجية التعارض المعرفي في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم

م.م. عبد الرحمن وفي جنك

المديرية العامة لتربية بابل - العراق

abdulrhman.wifi.89@gmail.com

773506248409640

الملخص :

يهدف البحث إلى التعرف على: (اثر استراتيجية التعارض المعرفي في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم) من أجل التحقق من صحة الفرضية الصفية والتي تنص على "لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين متوسط درجات تلاميذ المجموعة التجريبية الذين يدرسون على وفق استراتيجية التعارض المعرفي ومتوسط درجات تلاميذ المجموعة الضابطة الذين يدرسون على وفق الطريقة الاعتيادية في التحصيل اختير التصميم التجريبي ذو المجموعتين التجريبية والضابطة أحدهما تضبط الأخرى ضبطاً جزئياً من ذوات الاختبار البعدي للتحصيل ، وللتحقق من الفرضية البحث اختيرت عينة قصدية مؤلفة من (64) تلميذ وموزعين على مجموعتين تجريبية الذي بلغ عدد التلاميذ (32) تلميذ ومجموعة الضابطة الذي بلغ عدد التلاميذ (32) تلميذ , واجري التكافؤ بين تلاميذ مجموعتي البحث بالمتغيرات الآتية : (المعلومات المسابقة لمادة العلوم , التحصيل السابق لمادة العلوم , العمر الزمني , الذكاء) في الفصل الدراسي الاول من العام الدراسي (2024-2025) . باستخدام تصنيف بلوم للمستويات (التذكر، والفهم، والتطبيق، والتحليل)، اختار الباحث ستة فصول من كتاب العلوم للصف الخامس الابتدائي كأساس لتجربته. ثم وضع 261 هدفاً سلوكياً لكل موضوع من هذه المواضيع. أُجري تحليل إحصائي باستخدام اختبار t لعينتين مستقلتين بعد انتهاء التجربة، وتوصل إلى النتائج التالية: (تفوق المجموعة التجريبية التي درست بطريقة استراتيجية التعارض المعرفي على المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيلي) لذا يوصي الباحث ببعض التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية : استراتيجية التعارض المعرفي , التحصيل

The Effect of Cognitive Conflict Strategy on Fifth-Grade Students' Achievement in Science

Abdul Rahman Wafi Jank

General Directorate of Education, Babylon, Iraq

Abstract:

The research aims to identify: (The effect of the cognitive conflict strategy on the achievement of fifth-grade primary school students in science) to verify the validity of the null hypothesis, which states: "There is no statistically significant difference at a significance level of (0.05) between the average scores of students in the experimental group who study according to the cognitive conflict strategy and the average scores of students in the control group who study according to the traditional method of achievement".

The results of the post-test informed the selection of an experimental design consisting of two groups, with one group serving as a partial control for the other. A total of 64 students were chosen for the study, with 32 serving as experimental subjects and 32 serving as control subjects, to test the research hypothesis. Students in the two groups were found to be equivalent based on the following factors: (intelligence, chronological age, prior scientific accomplishment, and scientific competitiveness), throughout the first half of the school year. Years 2024–2025. Subjects to be covered in the experiment were chosen by the researcher and included six chapters from the fifth-grade science textbook. Using Bloom's taxonomy of learning outcomes—memorization, understanding, application, and analysis—he identified 261 learning outcomes related to the subjects to be covered in class. After the experiment was finished, the findings were collected and analyzed using a t-test for two independent samples. The data was then presented on a scientific achievement exam. The outcomes are as follows:

(The control group used the conventional approach, whereas the experimental group studied utilizing the cognitive conflict technique, and the result was better on the accomplishment exam.) Hence, the researcher offers a few ideas and recommendations.

Keywords: cognitive conflict strategy, achievement

الفصل الأول

أولاً: مشكلة البحث : على الرغم من التقدم المحرز في تعليم العلوم، لا يزال عدد المعلمين الذين يتبنون استراتيجيات وأساليب التدريس الحديثة محدوداً. ونتيجةً لذلك، يُلقن التلاميذ الحقائق والأرقام دون أي فرصة لفهم البنية الأساسية للمادة. يعتمد النهج الحالي على التلقين، الذي يُحوّل التلاميذ إلى متلقين سلبيين للمعلومات، ينتظرون دورهم للمشاركة - وهذه ممارسة تُكبت إبداع التلاميذ. وقد أظهرت أبحاث سابقة أن أساليب التدريس التقليدية، التي تُركّز على الحفظ بدلاً من تطبيق المفاهيم العلمية والعملية الواردة في الكتب المدرسية، تُسهم في تدني مستويات تحصيل التلاميذ، مما يُعزز هذه المؤشرات. (السامرائي 2013: 10)

لذا تتبلور مشكلة البحث وتحددت بالسؤال الاتي :

ما اثر استراتيجية التعارض المعرفي في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم ؟

ثانياً: اهمية البحث : لم ينشأ العلم فجأةً أو نتاج جهد شخص واحد. بل تطور العلم عبر سلسلة من الخطوات التدريجية، مع اكتشافات عديدة امتدت على مدى فترة طويلة. ساهمت الأفكار والتجارب في تقدم العلم حتى هذه المرحلة، لكن الصدفة كان لها تأثير أكبر بكثير (الدليمي وآخرون، 2020: 65) العلم والثقافة الاجتماعية واللياقة البدنية أهدافاً للتعليم، ولذلك يهدف إلى غرس هذه القيم في نفوس التلاميذ مع تشجيعهم على النشاط البدني. في جوهره، يكتسب التلميذ تعليمًا علميًا من خلال تعلم الحقائق والمعلومات العلمية والاستفادة منها من وجهات نظر علمية واجتماعية وجسدية متنوعة في سياقات واقعية (بكار 2011: 38) نظرًا لدوره المحوري في تمهيد الطريق للمساعي الأكاديمية اللاحقة، يُعدّ تعليم العلوم أولويةً شاملة، ولا سيما في المرحلة الابتدائية. ولا شك أن المنهج العلمي أساسي في مناهج المرحلة الابتدائية. إن توفير فرص واقعية للتلاميذ لتعلم المفاهيم والحقائق العلمية يُبرز أهمية تعليم العلوم في المرحلة الابتدائية. لذا، يهدف تعليم العلوم إلى تعريف الطلاب بالعالم الطبيعي. إن العقلية العلمية - التي تتسم بالفضول والموضوعية والتعاون والقدرة على تحديد القضايا وفهم النتائج - ضرورية لتفاعلات الطلاب المستقبلية مع المجتمع والبيئة والمجتمع العلمي ككل (الهويدي: 2010: 77) وبناءً على ما سبق، لا عجب أن تكتسب هذه الدراسة أهمية بالغة:

1. مواكبة أحدث التطورات العلمية والتقنية العالمية.
2. دور التعليم، وخاصةً التعليم العلمي، في بناء القدرات المعرفية والعلمية للتلاميذ، وصقلهم ليصبحوا بالغين مفكرين ومنفتحين، وتسهيل تفكيرهم.
3. دمج الممارسات الرائدة في الفكر التربوي المعاصر، كتلك التي تعزز فعالية الطلاب وإبداعهم، وتحفزهم على الدراسة.

ثالثاً: هدف البحث وفرضيته

يهدف البحث إلى التعرف على: (اثر استراتيجية التعارض المعرفي في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم)، لغرض التحقق من هدف البحث تم وضع الفرضية الصفية الآتية:

— لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط درجات تلاميذ المجموعة التجريبية الذين يُدرسون على وفق استراتيجية التعارض المعرفي ومتوسط درجات تلاميذ المجموعة الضابطة الذين يدرسون على وفق الطريقة الاعتيادية في الاختبار التحصيلي.

رابعاً: حدود البحث : أقتصر البحث الحالي على:

1. الحد المكاني: المدارس الابتدائية الحكومية التابعة المديرية العامة لتربية بابل.
2. الحد الزمني: الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي (2024 - 2025) م.
3. الحد البشري: تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في ضمن مديرية تربية بابل .

4. **الحد المعرفي:** الموضوعات الدراسية المتضمنة الوحدات (الاولى والثانية والثالثة) من كتاب العلوم المقرر للصف الخامس الابتدائي

خامساً:- تحديد المصطلحات:

1- **الأثر:** (يوسف، 2020) بأنه: " مؤثر على مدى قدرة التلاميذ على استخدام موارد النظام التعليمي ومدى قدرتهم على الحصول على المعلومات واستخدامها للوصول إلى أهدافهم" (يوسف، 2020: 34).

2- **استراتيجية التعارض المعرفي:** (عبيد، 2019) بأنها: "مخطط مفاهيمي تعليمي يضعه المدرس كأداة تعليمية يهدف إلى إحلل المفاهيم البديلة حيث يبرز المفاهيم البديلة المتعلقة بموضوع معين لدى المتعلم ومن ثم تقديم مفهوماً وحدثاً متناقضاً بصورة عملية وتعاونية بين المتعلمين يحدث عدم اتزان في بنيتهم المعرفية حول المفهوم البديل ويهيئ الفرصة بتقديم المفهوم العلمي الصحيح وذلك لحل الخلاف القائم بين المفهوم البديل والمفهوم الجديد" (عبيد، 2019: 39)

التعريف الاجرائي بأنها: استراتيجية تدريس يستخدمها المعلم للكشف عن التصورات الخاطئة المراد تعلمها، ويتم تدريسها للحدث المتعارض بعرض الصور التي تتعارض مع البنية المعرفية للمفهوم تؤدي إلى استثارة دافعية التلاميذ للبحث عن المفهوم، وبعدها تقدم المفهوم الصحيح وتحدث حالة التوازن المعرفي لديهم، الذي يؤدي الى اكتساب المفهوم بشكل صحيح.

ثانياً: التحصيل : عرفه (رزوقي وداوود 2017): مجموعة المهارات والمعارف المملكة من قبل المتعلم عند تعرضه لخبرة تربوية لدراسة مادة معينة او مجموعة مواد ويتمثل بقياس المتعلم قدرته للاستيعاب المواد الدراسية المقرر دراستها وايضاً قدرته لتطبيقها من خلال وسائل القياس الاختبار. (رزوقي وداوود ، 2017 : 99)

-التعريف الاجرائي (الدرجة التي يحصل عليها التلاميذ عينة البحث في مادة العلوم للصف الخامس الابتدائي للوحدات (الاولى والثانية والثالثة) من الكتاب المدرسي ، ويقاس بحصولهم على الدرجة النهائية للاختبار التحصيلي المعد لأغراض البحث الحالي .

الفصل الثاني

إطار نظري ودراسات سابقة

المحور الاول: الإطار النظري:

يُعدّ الإطار النظري ركناً أساسياً في أي دراسة علمية، فهو يُحدد نطاق البحث ويُهيئ لاختيار المنهج وتطبيقه. كما يُرسي الإطار النظري الذي سَتبنى عليه الدراسة. ولتطوير بحث يرتبط ارتباطاً مباشراً بعنوان البحث ومنهجه وإجراءاته، ينعكس الإطار النظري للدراسة في خصائص الموضوع من خلال تضمين الكتابات والتقارير والوثائق والآراء والبيانات (حمزة وآخرون، 2019: 27).

اولاً: استراتيجية التعارض المعرفي:

(1) مفهومها:

تعد استراتيجية التعارض المعرفي أحد الاستراتيجيات المنبثقة من الفلسفة البنائية التي طورها (Tsai) عن استراتيجية المتعارضات، إذ يرى أن اختيار الأسلوب التدريسي المناسب لتقديم المعرفة العلمية له دور كبير في إثارة الدافعية للتعلم وحب الاستطلاع التي يسعى التربويون إلى تحقيقها وذلك من خلال تدريس المادة (حمدان، 2018: 89). فضلاً عن ذلك إنها تعد من الأساليب التدريسية التي أثبتت فاعليتها ودورها المهم في تدريس المفاهيم، إذ تحتم بتوفير سياقاً للتعلم وإطاراً نظرياً وعملياً يهدف إلى تفسير النتائج العملية التي يتم التوصل إليها وذلك في ضوء خلفية نظرية من الحقائق والمفاهيم والقوانين والنظريات (الكعي، 2018: 54) ويشير الأدب التربوي الخاص بالأحداث المتعارضة على إنها "مجموعة من الأنشطة والمهام التعليمية التي تأتي نتائجها بشكل غير متوقع، وتثير الدهشة لدى المتعلمين ومن ثم فهي تعمل على مساعدتهم على الوصول إلى حالة من الانتباه واليقظة ومن ثم استثارة دافعتهم للتعلم" (Saana, 2018: 44)

(2) أهداف استخدام الأحداث المتعارضة:

يسعى التدريس باستعمال الأحداث المتعارضة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف والتي حددها (عطية، 2018) في ثلاثة أهداف رئيسية وهي:

- أ. تعديل مفاهيم المتعلمين عن الظواهر الطبيعية بحيث تصبح أكثر فاعلية.
 - ب. تصحيح تصورات المتعلمين عن المفاهيم بحيث تكون أكثر دقة.
 - ج. بناء اتجاهات المتعلمين بحيث تأخذ دوراً مركزياً في حياتهم الخاصة.
- (عطية، 2018: 54)

(3) استراتيجية التعارض المعرفي:

تمثل استراتيجية التعارض المعرفي الاتجاهات المعاصرة التي طورها (Tsai, 2023)، على أساس النظرية البنائية، إذ تسهم في إعادة هيكلة المعلومات وإحداث التغيير والتعلم ذو المعنى وبقاء أثره لمدة أطول، وتقوم فكرتها على تقديم حدث متعارض في شكل مدرك حسي جديد يتحدى التصور البديل الموجود لدى المتعلمين لغرض تسهيل عملية توفيق و مولائمة هذا التصور عند المتعلمين حتى يتحول إلى تصور علمي صحيح (Tsai, 2023: 54). وهذا يعني أن الأحداث المتعارضة تمثل المحور الرئيسي لمكونات استراتيجية التعارض المعرفي، ويعد استخدامها وسيلة لتعزيز للتدريس وتعليمها لدى المتعلمين لأنها تجمع بين تقديم الحدث المتعارض وحل هذا التعارض بما ينسجم مع تغيير معلوماتهم (Al-Aside, 2016: 3). كما أنها تسلط الضوء على الأدوار الإيجابية للمتعلمين، مما يشجعهم على أن يكون لديهم نظرة إيجابية اتجاه العلوم، وتساعدهم على فهم الترابطات بين الأفكار من خلال منحهم انطباعات حسية تدعمها، مما يحسن قدرتهم على تذكرها. (الخزاعلة وزكي، 2012: 43)

(4) أهمية استراتيجية التعارض المعرفي:

تكمن أهمية استراتيجية التعارض المعرفي من خلال مجموعة من النقاط هي:

- أ- وضع المتعلمين في حالة دهشة بتقديم معلومة أو نتيجة موقف تعليمي معين تتعارض مع توقعاتهم، مما يولد لديهم قلقاً وتوتراً، وبالتالي تدفعهم إلى التعلم الجديد.
- ب- تعريض المتعلمين لخبرة تشبه المعضلة أو اللغز، مما يولد لديهم شعوراً بعدم سهولة الموقف التعليمي، وهو تعارض شعوري بشكل أو بآخر، وهذا بدوره يولد حب استطلاع عقلي لديهم.
- ج- تعريض المتعلمين لفجوة معرفية، لكي يشعروا بغموض الموقف ويدركوا أن شيئاً ما مفقوداً من البناء المعرفي للموقف التعليمي، وبالتالي يدفعهم نحو التعلم.
- د- استخدام الأسئلة الغريبة، بمعنى تقديم أسئلة وعلامات استفهام للمتعلمين فتحدث عندهم حالة عدم توازن عقلي عندما يحاولون تطبيق ما يعرفونه على موقف تعليمي جديد، وبالتالي يدفعهم نحو التعلم.

(5) مكونات استراتيجية التعارض المعرفي:

تتكون استراتيجية التعارض المعرفي من مجموعة من المكونات التي تسعى جميعها إلى تحقيق الأهداف المنشودة:

- أ- **تصورات الطلاب الخاطئة (البديلة):** التصورات البديلة عن المفهوم المراد تعلمه والتي يمتلكها المتعلمين قبل تعلم المفهوم الجديد من خلال بيئتهم المحيطة والخبرات التي مروا بها.
- ب- **الحدث المتعارض:** تُعدّ الوقائع المتضاربة جزءاً أساسياً وجوهرياً من منهج الصراع المعرفي. تضع هذه البدائل المتعلمين في مواقف واقعية مُحيرة، حيث يتعين عليهم حل صراع معرفي بين أفكارهم والبدائل المتاحة. في سياق العلوم الاجتماعية، يتجلى هذا الصراع في صور أو أفعال ملموسة تُوجّه بحثهم وحلولهم المحتملة.

ج- التصور العلمي الصحيح المراد تعلمه (مفهوم الهدف العلمي): وهو المفهوم العلمي الصحيح المراد تعلمه ويقوم المدرس بكتابته وعرضه على المتعلمين.

د- الحدث الخرج أو التفسير (الشرح): ويتناول هذا الحدث شرح وتفسير التعارض بين البناء للمفاهيم البديلة عند المتعلمين والمفاهيم العلمية المراد تعلمها ويجب أن يستهدف الموضوع الحساس للمفهوم البديل عند المتعلمين ويهدف إلى إحلال المفهوم العلمي الجديد محل المفهوم البديل.

هـ- المفاهيم العلمية الأخرى المرتبطة بالتصور العلمي الصحيح: وهي المفاهيم المرتبطة بالمفهوم العلمي الصحيح التي يقدمها المدرس لتدعيم وتعزيز المفهوم العلمي إذ يتم تدريسها إلى جانب المفهوم العلمي الهدف وإبراز العلاقات بينهما.

و- المدعمات الإدراكية: وهي مدعمات حسية تمثل تطبيقات أو نشاطات عملية تدعم المفهوم العلمي بشكل مناسب. ثانياً : التحصيل : يعد التحصيل احد المعايير الرئيسية للكشف عن المعرفة والمعلومات التي اكتسبها المتعلمين , وله أهمية بالغة لإحداث تغيير اجتماعي وسلوكي للمتعلمين يعرف بالتعلم , ويعد نتاج للتعليم وتحدد اهميته بمقدار ما تم تحقيقه من الاهداف ال(سلوكية ووجدانية ومهارية)

وكلما كان التحصيل مؤثر لديهم كانت فعاليته ذات اهمية ايجابية تربوية في سلوك المتعلمين ويساعدهم على التفاعل مع بيئتهم (الخفاف , 2011 : 268) .

اهمية التحصيل الدراسي

1- يعدّ معيار اساسي يمكن من خلاله الحكم على حجم النتاج التربوي كمّاً وكيفياً وايضاً الوقوف على ما تقوم به العملية التربوية من آثار ونتائج في بناء شخصية المتعلم.

2- محك اساسي يمكنه تحديد المستوى الاكاديمي للمتعلم ولهذا فإنه يعد احد اهم الجوانب في النشاط العقلي الذي يقوم به المتعلم .

3- يسهم في زيادة ملحوظة لقدرة المتعلم على الاحتفاظ بالمعلومات لفترة معينة من الزمن لانه يستند الى زيادة التفكير العلمي لحل العديد من المشكلات التي يتعرض لها المتعلم مما يؤدي الى تحفيز المتعلم لاكتساب المعرفة . (رزوقي , وضياء , 2017 : 104).

المحور الثاني : الدراسات السابقة

الدراسات التي تناولت استراتيجية التعارض المعرفي

دراسة شربة 2017 : يهدف البحث الحالي الى تعرف : " اثر استراتيجية مخططات التعارض المعرفي في تحصيل طلاب الصف الخامس الادبي في مادة قواعد اللغة العربية " .

أجريت هذه الدراسة في العراق وهدفت الى معرفة (اثر استراتيجية مخططات التعارض المعرفي في تحصيل طلاب الصف الخامس الادبي في مادة قواعد اللغة العربية) واستخدموا المنهج التجريبي وتكونت عينة البحث (82) طالبا طلاب اعدادية الثورة للبنين وتم استخدام الوسائل الإحصائية : (معادلة كيودر ريتشار دسون -2 , معادلة الفا كرونباخ , واختبار t-test) وظهرت النتائج وظهرت النتائج تفوق طلاب المجموعة التجريبية على طلاب المجموعة الضابطة في اختبار التحصيل

الفصل الثالث

منهج البحث واجراءاته:

هنا، يضع الباحث خطته لتحقيق هدف البحث من حيث اختيار التصميم التجريبي المناسب، واختيار العينة والمجتمع البحثي المناسبين، وإنشاء التكافؤ بين المجموعتين، ومعرفة الأدوات والموارد التي سيحتاجها، وإجراء التجربة، وتحليل البيانات بشكل ثابت.

أولاً: منهج البحث: لتحقيق هدف الدراسة، استخدم الباحث أسلوب البحث التجريبي. وعليه اتبع الباحث المنهج التجريبي لتحقيق هدف البحث

ثانياً: التصميم التجريبي: من أولى خطوات الباحث تطوير تصميم تجريبي. وتوزيع أفراد العينة عشوائياً على مجموعتين تجريبية وضابطة يُمكن الباحث من التحكم المباشر في المتغيرات (النعمي وآخرون، 2015: 218). أنها تُحدد منهجية دراسته أُجري اختبار قياس بعدي على مجموعتي الدراسة، وكان التصميم التجريبي ضابطاً جزئياً كما في المخطط رقم(1)

المجموعة	اجراءات التكافؤ	المتغير المستقل	المتغير التابع
التجريبية	- اختبار الذكاء - اختبار المعلومات السابقة في مادة العلوم - التحصيل السابق في مادة العلوم للصف الرابع الابتدائي	التدريس على وفق استراتيجياتية التعارض المعرفي	- التحصيل
الضابطة	العمر الزمني بالأشهر	التدريس على وفق الطريقة الاعتيادية	

مخطط رقم(1) التصميم التجريبي

ثالثاً: مجتمع البحث وعينته:

أ- مجتمع البحث: وفقاً للعاوي (2008)، يتألف مجتمع البحث من جميع الجهات ذات الصلة بموضوع البحث والتي ينوي الباحث تطبيق نتائج الدراسة عليها في سياق أوسع. وتشمل مجموعة البحث جميع طلاب الصف الخامس الابتدائي المسجلين في مدارس المديرية العامة للتربية النهارية في محافظة بابل على مدار العام الدراسي (2024-2025)

ب-عينة البحث: اختار الباحث مدرسة محمد البرغوث الابتدائية كعينة تمثيلية بعد تحديد مجتمع المدارس. وقد أتاح عمل الباحث هناك ودعم إدارة المدرسة ذلك من خلال توفير المرافق اللازمة للتجربة. يوجد في هذه المدرسة الابتدائية فصلان دراسيان للصف الخامس. الفصل (أ) هو المجموعة الضابطة التي ستدرس نفس الموضوع باستخدام المنهج التقليدي، بينما الفصل (ب) هو المجموعة التجريبية التي ستدرس العلوم باستخدام أسلوب التعارض المعرفي. يتكون الفصل (أ) من 32 طالبًا يمثلون المجموعة التجريبية، والفصل (ب) من 32 طالبًا يمثلون المجموعة الضابطة؛ بإجمالي 64 طالبًا يشكلون كلا المجموعتين. لم يكن في أي من الفصلين طالب غير ناجح

المجموعة	الشعبة	عدد التلاميذ
التجريبية	أ	32
الضابطة	ب	32
المجموع		64

جدول (1) عينة البحث من المجموعتين التجريبية والضابطة وعدد التلاميذ

رابعاً: تكافؤ مجموعتي البحث: كان من الضروري التحكم في المتغيرات أو العناصر التي يُعتقد أنها تؤثر على سلامة التجربة ودقة نتائجها قبل البدء بتنفيذها. لذا، إليكم ما تم تأكيده:

1: **السلامة الداخلية للتصميم التجريبي:** في هذه الحالة، يُمكن أن يُعزى المتغير التابع إلى المتغير المستقل فقط. عند التأكد من استبعاد جميع العوامل غير ذات الصلة من التجربة، وأن المتغير التابع لا يتأثر إلا بالمتغير المستقل، نقول إن التصميم قد حقق التكامل الداخلي (محمد، 2011: 35)

• ضبط ظروف الاختبار في افراد التجربة:

وتأكد الباحثون من صحة الدراسة من خلال مقارنة المجموعتين التجريبية والضابطة على المقاييس التالية للتأكد من أن أي اختلافات بينهما ترجع إلى المتغير المستقل وليس إلى عوامل مربكة:

أ- **الذكاء:** استخدمنا النسخة العراقية من اختبار جون رايفن للمصفوفات المتسلسلة لتقييم معدل الذكاء. يمكن لأي شخص، بغض النظر عن عمره، الخضوع لهذا الاختبار الشفهي. إنه موثوق وصالح للغاية، وهدفه تقديم صورة شاملة لعمليات الدماغ لدى الشخص. يتكون هذا الاختبار من 36 سؤالاً، 12 منها تتبنى فكرة الصعوبة المتدرجة. تُقسم الأسئلة إلى ثلاث مجموعات: أ، ب، ج. يحتوي كل مصفوفة على جزء محدد مقطوع، وعلى الممتحن استخدام أحد الأشكال الموجودة في الجانب السفلي للعثور على الجزء المفقود (الدباغ، 1983: 23). تم إعطاء المجموعتين التجريبية والضابطة الاختبار يوم الخميس 3 أكتوبر 2024. بعد ذلك، تم التحقق من الإجابات باستخدام مفتاح الإجابة النموذجية. تم منح الطلاب نقطة واحدة للإجابة الصحيحة وصفر للإجابة غير الصحيحة أو المفقودة. بمجرد إجراء الاختبار وتصحيح الطلاب لإجاباتهم، قمنا بحساب الانحراف المعياري والمتوسط الحسابي لنتائج المجموعتين التجريبية والضابطة. مع انحراف معياري قدره 7.04 ومتوسط حسابي قدره 17.09، تفوقت المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة بهامش كبير. لم تكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الذكاء بين مجموعتي الطلاب عند مستوى دلالة (0.05) مع 62 درجة حرية، حيث كانت قيمة t المحسوبة (0.96) أقل من قيمتها

الجدولية (2)، وفقاً لنتائج اختبار t لعينتين مستقلتين. من حيث متغير الذكاء، يوضح الجدول (2) أن المجموعتين قابلتان للمقارنة. ويوضح ذلك.

جدول (2) تكافؤ مجموعتي البحث في متغير الذكاء

الدالة الاحصائية عند مستوى (0.05)	القيمة التائية		درجة الحرية	الانحراف المعياري	التوسط الحسابي	عدد العينة	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة					
غير دالة	2	0,96	62	6,41	17,09	32	التجريبية
				7,04	15,46	32	الضابطة

ب- اختبار المعلومات السابقة: طُوِّر اختبارٌ يتألف من إحدى وعشرين فقرةً موضوعيةً من نوع الاختيار من متعدد، ولكلٍّ منها أربع إجابات محتملة، وذلك لتحديد مستوى المعرفة السابقة لدى طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة فيما يتعلق بالموضوع العلمي قيد الدراسة. وسُتستخدم هذه المعرفة بعد ذلك لتحديد المتغير التابع وضمان تكافؤ البيانات. في هذه الفقرات، يراجع الطلاب مواد ذات صلة باللغة التي سيتعلمونها أثناء إجراء التجربة. قبل تطبيقه، عُرض الاختبار على لجنة من المحكمين ذوي الخبرة في منهجيات التعليم للتأكد من صحته وموثوقيته. أُجري تحليلٌ للموثوقية والصلاحية باستخدام معادلة كوبر، والتي اعتمدت على نسبة اتفاق 90% أو أكثر من وجهات نظرهم. ولم يكن الاختبار مناسباً للاستخدام إلا بعد إجراء التعديلات اللازمة استجابةً لتعليقات المحكمين. أُجري الاختبار على المجموعتين التجريبية والضابطة يوم الأحد الموافق 2024/6/10. وخضعت الإجابات للفحص باستخدام مفتاح إجابة قياسي، يُمنح نقطة واحدة للإجابة الصحيحة وصفر نقطة للإجابة الخاطئة أو الناقصة أو الاختيار من متعدد. بعد ذلك، حُدِد الانحراف المعياري والمتوسط الحسابي لمجموعتي الدرجات. بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة 8.03 على مقياس من 2 إلى 4، بينما بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية 7.96 بانحراف معياري قدره 2.95. ونظراً لأن قيمة t المحسوبة كانت أقل بمقدار (0.08) من قيمتها الجدولية (2) عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة سطحية (62)، مما يشير إلى تكافؤ مجموعتي البحث إحصائياً في هذا المتغير (الجدول 3)، لم تُعثر على فروق ذات دلالة إحصائية بعد اختبار دلالة الفرق بين المتوسطين باستخدام اختبار t لعينتين مستقلتين.

جدول (3) تكافؤ مجموعتي البحث في اختبار المعلومات السابقة

الدالة الاحصائية عند مستوى (0.05)	القيمة التائية (t)		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد العينة	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة					
غير دالة	2	0,08	62	2,95	7,96	32	التجريبية
				2,94	8,03	32	الضابطة

ج- التحصيل السابق في مادة العلوم للصف الرابع الابتدائي

هذا هو متوسط درجات العلوم للصف الرابع الابتدائي التي حصل عليها التلاميذ في المجموعتين المستقلة والمستقلة. وقد استخدم الباحث السجلات المدرسية وبطاقات التقارير المدرسية للتلاميذ للحصول على درجاتهم. وبمعدل انحراف معياري قدره 1.97 ومتوسط حسابي قدره 8.81، تفوقت المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة التي كان متوسطها الحسابي 8.87 وانحراف معياري قدره 1.66. ولأن قيمة t المحسوبة كانت أقل بمقدار (0.13) من قيمتها الجدولية (2) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (62)، وبعد اختبار دلالة الفرق بين المتوسطين باستخدام اختبار t لعينتين مستقلتين، تبين عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسط درجات التلاميذ. وقد كان أداء المجموعتين متشابهًا في مقياس الإنجاز السابق للمادة العلمية في الصف الرابع الابتدائي، كما هو موضح في الجدول (4)، مما يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية.

جدول (4) تكافؤ مجموعتي البحث في التحصيل لمادة العلوم للعام السابق

المجموعة	عدد العين	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية ()	القيمة التائية (t)		الدلالة الاحصائية عند مستوى دلالة (0.05)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	32	8,81	1,97	62	0,13	2	غير دالة
الضابطة	32	8,87	1,66				

د- العمر الزمني بالأشهر: تُستخدم الأشهر لحساب أعمار الطلاب. سمح سجل الطالب ورقم الهوية للباحث بالوصول إلى أعمارهم، وذلك بفضل مساعدة إدارة المدرسة. تمت موازنة أحجام الفصول الدراسية عن طريق تعديل أعمار الطلاب. وللتأكد من تشابه المجموعتين، نظرنا إلى الأعمار الزمنية للأطفال واكتشفنا أن المجموعة التجريبية كان متوسطها 129.21 شهرًا وكان متوسط المجموعة الضابطة 127.28 شهرًا. بعد حساب المتوسط والانحراف المعياري للأشهر باستخدام اختبار t لعينتين منفصلتين، أظهرت النتائج أن المجموعتين لم تكونا مختلفتين إحصائيًا عند مستوى دلالة 0.05 و 62 درجة حرية في متغير العمر الزمني بالأشهر. كانت القيمة الجدولية لقيمة (2) t ، بينما كانت القيمة المحسوبة 0.97، وهي أقل. وهذا يوضح أن المجموعتين الطلابيتين كانتا متقاربتين فيما يتعلق بمتغير العمر الزمني، كما هو موضح في الجدول (5).

جدول (5) تكافؤ مجموعتي البحث في العمر الزمني

المجموعة	عدد العينة	المتوسط الحسابي $\bar{x}$	الانحراف المعياري	درجة الحرية Df	القيمة التائية (t)		الدلالة الاحصائية عند مستوى 0.05
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	32	129.21	56.96	62	0.97	2	غير دالة
الضابطة	32	127.28	69.36				احصائياً

2- اختيار العينة: أُجريت معادلة إحصائية بين مجموعتي الطلاب من حيث العمر الزمني (مُقاسًا بالأشهر)، ودرجاتهم في مادة العلوم في الصف الرابع الابتدائي، ونتائج اختبارات المعرفة السابقة، ونتائج اختبارات الذكاء. كما بذل الباحث جهدًا لضبط الفروق الفردية في اختيار العينة من خلال اختيار الطلاب عمدًا. لم يكتفِ الباحث نفسه بتعليم المجموعتين، بل تشاركوا أيضًا في بيئة منزلية ومدرسة، وحضروا الحصص الدراسية معًا في اليوم نفسه.

3-الاندثار التجريبي: وفقًا لعبد الرحمن وعدنان (2007: 479)، تتأثر نتائج الدراسة بالتأثير الناتج عن مقاطعة عدد من الطلاب أو مغادرتهم خلال فترة التجربة. وباستثناء حالات نادرة جدًا ومشاهدة للغياب الفردي والإجازات المرضية، لم يُستبعد أي طالب من أيٍّ من المجموعتين، أو يُنقل، أو يُستبعد بأي شكل آخر من عينة الدراسة خلال فترة التجربة.

4- تحديد أداة البحث: وبعد التأكد من صحة اختبار الإنجاز وثباته، تم تطبيقه على المجموعتين التجريبية والضابطة تحت نفس الظروف.

5-العمليات المتعلقة بالنضج: يحدث ذلك عندما يخضع الشخص المدروس لتغيرات في بنيته العقلية أو البيولوجية أو النفسية أثناء إجراء التجربة، وهذه التغيرات تؤثر إما إيجابًا أو سلبًا على النتائج (مالهام، 2000: 424). أُجريت التجربة في هذا البحث ابتداءً من يوم الاثنين 7 أكتوبر/تشرين الأول 2024 وحتى يوم الأحد 5 يناير/كانون الثاني 2025. ونظرًا لتساوي مدة التجربة بين المجموعتين (الضابطة والتجريبية)، فلا يمكن أن يكون لهذا المتغير تأثير على نتائج الدراسة.

6- مدة تطبيق التجربة: أُعطيت كلٌّ من المجموعتين التجريبية والضابطة من الطلاب نفس المدة الزمنية لإكمال التجربة. كانت بداية التجربة يوم الاثنين، ٧ أكتوبر ٢٠٢٤، وانتهت يوم الأحد، ٥ يناير ٢٠٢٥.

7- ثانيًا: السلامة الخارجية للتصميم التجريبي : بذل الباحث جهدًا لاستبعاد بعض العوامل المربكة من التجربة لضمان الصدق الخارجي للتصميم. وبالتالي، سعى إلى إدارتها وتشكيلها. ومن بين هذه العوامل، أهمها:

1-ظروف التجربة والحوادث المصاحبة: يشمل ذلك كل ما قد يحدث للطلاب أثناء إجراء التجربة، مما قد يؤدي إلى إنهاؤها مبكرًا أو تغيير المتغير التابع (أبو علم، 2006: 204). لم يكن هناك أي تأثير على نتائج الدراسة من أي حوادث أو تأثيرات طبيعية أو غير طبيعية على طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية خلال فترة التطبيق. الاستثناء الوحيد لذلك هو العطلات الرسمية، حيث تم تعويض الطلاب عن الدروس في أيام الدراسة الأخرى.

2- الظروف الفيزيائية: وقد توافرت في القاعة الدراسية كافة الظروف اللازمة لإجراء التجربة، من إضاءة كافية، وتهوية جيدة، وترتيب المقاعد، وتوافر جهاز عرض، لذا شارك طلاب مجموعتي البحث فيها (Data Show).

3- أثر الاجراءات التجريبية : وبما أن الباحث توقع احتمالية حدوث آثار جانبية، فقد اتخذ الاحتياطات التالية أثناء التجربة لتقليل تأثيرها:

- **سرية البحث :** وبناء على رغبة إدارة المدرسة حرص الباحث على عدم الكشف عن هدف الدراسة للطلبة حفاظاً على سرية التجربة ومنع أي تدخل محتمل من تصرفات الطلبة أو ردود أفعالهم.

- **المادة الدراسية :** وقد استخدمت كلتا المجموعتين من الباحثين نفس المواد المصدرية لتجارهم: منهج العلوم للمرحلة الابتدائية لطلاب الصف الخامس في العام الدراسي المقبل (2024-2025).

- **الوسائل التعليمية:** عندما نتحدث عن الأدوات التعليمية، فإننا نشير إلى كل ما يستخدمه المعلم في الفصل الدراسي لإثارة اهتمام طلابه، وتسهيل تعلمهم، وتحقيق نتائج أفضل للجميع (الحيلة، ٢٠٠١: ١٨٠). ونظرًا لاستخدام المجموعتين المشترك للسابورات والأقلام الملونة والنماذج ثلاثية الأبعاد، فضلًا عن المنهج نفسه، حرص الباحث على تزويد الطلاب بموارد تعليمية مفيدة.

خامساً: مستلزمات البحث : قبل تطبيق التجربة لا بد من تهيئة المستلزمات الأساسية للتجربة وهي:

1. تحديد المادة العلمية: خلال التجربة، حدد الباحث المفاهيم العلمية التي ستغطيها كل مجموعة في الصف. استخلص المحتوى العلمي بالكامل من الفصول الستة الأولى من كتاب العلوم للصف الخامس. الفصول التي كان من المفترض تدريسها خلال المرحلة التجريبية مُدرجة في الجدول 7.

جدول (7) الفصول المقرر تدريسها في اثناء مدة التجربة

ت	الفصل	عنوان الفصل
1	الاول	النباتات الزهرية والنباتات اللازهرية
2	الثاني	الحيوانات الفقرية والحيوانات اللافقرية
3	الثالث	جهاز الدوران والجهاز التنفسي
4	الرابع	الجهاز الهضمي والجهاز البولي
5	الخامس	العناصر
6	السادس	المركبات والمخاليط

٢ - صياغة الأهداف السلوكية: الهدف من هذه العبارات هو نقل التغيير المتوقع والمقصود في سلوك المتعلم بطريقة يمكن تقييمها أثناء عملية التعلم وبعدها (Kawafha, 126: 2003). وبناءً على ذلك، وضع الباحث (261) هدفاً سلوكياً وفقاً للأهداف الشاملة والمواضيع التي سيتم بحثها في التجربة. وقد تم تطوير الأهداف مع مراعاة المجال المعرفي، باستخدام تصنيف بلوم. وباستخدام طلاب الصف الخامس كمثال، تتضمن الأهداف السلوكية أربعة مستويات: التذكر والفهم والتطبيق والتحليل. وقد راجعت لجنة من المحكمين والخبراء في التعليم العلمي وتطوير المناهج الإصدارات الأولية وقدمت ملاحظات حول وضوح ودقة الأهداف السلوكية. وبتطبيق معادلة كوبر على آراء المحكمين، تمكنا من تحقيق معدل اتفاق بنسبة 90٪ أو أعلى. وبعد إجراء بعض التعديلات الطفيفة بناءً على المستوى الذي ينتمي إليه كل هدف سلوكي، تم تحديد الشكل النهائي للأهداف السلوكية ليكون 261.

3- أعداد الخطة الدراسية: المنهج الدراسي هو صورة مسبقة لبيئة الفصل الدراسي تحدد الخطوات العديدة التي يجب على المعلم اتخاذها مسبقاً لتنفيذ دروسه بنجاح ضمن إطار زمني محدد. ووفقاً للسعدي (2020: 61)، فإنه يكشف عن أهدافه وغاياته العامة. ونتيجة لذلك، ابتكر الباحث مجموعة كبيرة من خطط الدروس لكل من المجموعتين التجريبية والضابطة، بالاعتماد على الأهداف السلوكية الناتجة عن كتاب العلوم المدرسي الذي من المفترض تقديمه لتلاميذ المدارس الابتدائية في الصف الخامس خلال العام الدراسي 2024-2025. تم منح المجموعة التجريبية 22 خطة تم تطويرها باستخدام أسلوب التناقض المعرفي، بينما تلقت المجموعة الضابطة 22 خطة تم تطويرها باستخدام الطريقة القياسية. تم عرض نسختين من هذه الخطط على لجنة من الخبراء في التعليم العلمي والتقييم وعلم النفس للحصول على ملاحظات حول كيفية تحسين الخطط وتعزيزها بناءً على مجالات خبرتهم الخاصة. خضع كلا المقترحين لمراجعات لضمان شكلهما النهائي استجابة لآراء المحكمين.

سادساً: اعداد أداة البحث:

تم إعطاء كل من المجموعتين الضابطة والتجريبية نفس اختبار الإنجاز الذي طوره الباحث مسبقاً. الاختبار التحصيلي: وفقاً للفرطوسي وآخرون (2015)، يُعدّ الاختبار مجموعة من المحفزات المصممة لقياس سمات أو مهارات أو أفعال معينة. ويهدف اختبار الإنجاز إلى تقييم معارف الطلاب وأفكارهم وقدراتهم في المادة الدراسية في نهاية كل جلسة تعليمية أو في بداية جلسة جديدة (علم، 2000: 306). وقد صمم الباحث اختبار الإنجاز باتباع الخطوات التالية:

1. تحديد الهدف من الاختبار: وبناء على الأهداف السلوكية المحددة مسبقاً لتلك المادة التعليمية، يسعى الاختبار إلى تقييم التحصيل العلمي لطلاب الصف الخامس الابتدائي في المحتوى العلمي.

2. تحديد عدد فقرات الاختبار: وبما أن عددهم اقترب من الثلاثين، فقد تم تحديد فقرات الاختبار للمادة التعليمية التي تحتويها الدراسة.

3. اعداد جدول المواصفات (الخارطة الاختبارية): ان جدول المواصفات عبارة عن جدول ذا بعدين ، يشتمل بعده الأفقي على الأهداف التعليمية أو السلوكية، ويتضمن بعده الرأسى مخططاً لمحتوى المقرر وموضوعاته ، كما يشتمل على الأهمية النسبية لكل من الأهداف والمحتوى ، وتستخدم الأهمية النسبية في تحديد عدد الأسئلة التي يجب أن تقيس كل هدف في كل محتوى (عمر وآخرون، 2009، 411)

• تحديد وزن محتوى الفصول (الأول - 18%، الثاني - 20%، الثالث - 15%، الرابع - 16%، الخامس - 15%، السادس - 16%) من كتاب العلوم للصف الخامس الابتدائي مع مراعاة عدد صفحات كل فصل وباستخدام المعادلة التالية:

$$\text{وزن محتوى الفصل} = \frac{\text{عدد الصفحات لكل فصل}}{\text{مجموع الصفحات لكل الفصول}} \times 100\%$$

• تحديد وزن الاغراض السلوكية ، وللتوصل إلى ذلك، استخدمنا الصيغة التالية لمقارنة نسبة الأهداف السلوكية عبر جميع الأهداف على مستويات بلوم الأربعة الأولى للمجال المعرفي: التذكر، والفهم، والتطبيق، والتحليل.

$$\text{وزن الأهداف في مستوى معين} = \frac{\text{عدد الأهداف السلوكية في المستوى المعين}}{\text{المجموع الكلي الأهداف السلوكية}} \times 100\%$$

ومن إجمالي عدد الأهداف السلوكية، كانت أوزان مستويات بلوم 26.4%، و33%، و32.1%، و8.4% على التوالي.

• تحديد عدد الفقرات لكل خلية في جدول المواصفات الذي يتضمن المعادلة الآتية:

$$\text{عدد الأسئلة لكل خلية} = \text{النسبة المئوية للمحتوى} \times \text{النسبة المئوية للمستوى} \times \text{العدد الكلي لفقرات الاختبار}$$

(الزغلول، 2007: 174)

4. اعداد فقرات الاختبار التحصيلي: أنشئت فقرات الاختبار الواحدة والثلاثون بعد تحديد كمية ومستوى الأهداف السلوكية. كان هذا الاختبار موضوعياً (اختبار من متعدد)، مما يعني أن نتائجه لن تتأثر بتفضيلات المصحح الشخصية، وأن كل إجابة ستكون فريدة، وأنه لن يتمكن شخصان من تصحيح السؤال نفسه بنفس الدرجة (دامز، ٢٠٠٧: ٧١). يُعد تغيير درجة التشابه بين الخيارات طريقة أخرى لتنويع تعقيد الفقرة. يتناقض مقدار التخمين المطلوب مع ازدياد عدد الخيارات. وهكذا، قدم الباحث أربع إجابات محتملة لكل فقرة، إحداها صحيحة والثلاث الأخرى خاطئة.

5. **صدق الاختبار:** من أهم الخصائص التي يجب أن يتمتع بها الاختبار هي الصلاحية. تُعرف قدرة الاختبار على تقييم بنيته المستهدفة بدقة بالصلاحية (الكوفحة، ٢٠٠٣: ١٠٩). ووفقاً للزاملي وآخرون (٢٠٠٩: ٢٣٩)، فإن الاختبار الصالح يُقيّم فقط البيانات التي صُمم من أجلها. وقد استخدم الباحث نوعين لضمان صلاحية الاختبار:

- **الصدق الظاهري:** وفقاً لأبو الديار (2012)، يُحدّد هذا النوع من الصدق بناءً على رأي المختص حول مدى نجاح الاختبار في قياس السمة المطلوبة. وهو يعكس الشكل العام للاختبار ومدى تحقيق الهدف المنشود منه. ولذلك، استطلع الباحث آراء الخبراء في مجال التربية العلمية حول مدى صحة فقرات اختبار التحصيل وثباتها قبل عرضها على لجنة التحكيم. وقد تم الحصول على الصدق الظاهري لاختبار التحصيل عند الحصول على نسبة موافقة 80% فأكثر باستخدام معادلة كوبر لتحديد مدى ملاءمته.

صدق المحتوى: في الحالات التي يكون فيها مجال الاختبار ضيقاً، يُصبح هذا النوع من الصلاحيات هو الأهم. ويعتمد ذلك على فحص مادة الاختبار لتحديد مدى تغطيتها للمعلومات المدروسة والأهداف التعليمية وسلوك الطلاب (غانم، ٢٠٠٤: ٨٩). وقد استخدم جدول المواصفات، الذي يُساعد في عملية إعداد الاختبارات، للتحقق من صحة المحتوى. ويضمن جدول المتطلبات توافر صلاحية المحتوى، حيث يضمن أن يُصوّر الاختبار المادة بدقة. (الهويدي، 2015: 49)

6. تعليمات الاختبار

- **تعليمات الإجابة:** تهدف تعليمات الامتحان إلى تقديم شرح مبسط للفكرة. ولأغراض الاختبار، وُضعت تعليمات واضحة وبسيطة ومناسبة لطلاب المرحلة الابتدائية. وضعها الباحث مباشرةً على ورقة الامتحان، وتضمنت هدف الامتحان، وعدد الفقرات، وتوزيع الدرجات، وغيرها. كما أرفق نموذجاً للإجابة كمثال.
- **تعليمات التصحيح:** لكل فقرة، منح الباحث الطالب نقطة واحدة إذا أجاب على السؤال بشكل صحيح؛ أما الإجابات الخاطئة أو الناقصة أو متعددة الخيارات، فتكون درجته صفراً. وبالتالي، قد تتراوح الدرجة الإجمالية للامتحان بين صفر وثلاثين، بمتوسط خمسة عشر.

7. **التطبيق الاستطلاعي الأول للاختبار التحصيلي:** من أجل قياس مقدار الوقت الذي يحتاجه الطلاب لإكمال الاختبار والتأكد من وضوح التعليمات والفقرات، قام الباحث بتطبيق اختبار التحصيل على عينة مسح منفصلة عن عينة البحث، والتي تكونت من واحد وثلاثين طالباً في الصف الخامس من مدرسة الجماهير الابتدائية للبنين، التابعة للمديرية العامة للتربية والتعليم في بابل. تم تحديد يوم الاختبار قبل أسبوع واحد بعد أن توصل الباحث ومدرس المادة إلى اتفاق. كان 29 ديسمبر 2024 هو تاريخ الاختبار. تم تحديد متوسط الوقت المستغرق للاستجابة بعد تطبيقه من خلال حساب متوسط الطلاب الثلاثة الذين أنهوا الاستجابة أولاً (30 دقيقة) والثلاثة الأخيرة (40 دقيقة) من فترة الفصل. بعد ذلك، تم تحديد المدة التي استغرقها كل طالب لإكمال فقرات الاختبار باستخدام الصيغة: وقت الاختبار = (متوسط الطلاب الثلاثة الأوائل + متوسط الطلاب الثلاثة الآخرين) ÷ 2. يبدو أن المتوسط هو 35 دقيقة.

8. **التطبيق الاستطلاعي الثاني للاختبار:** أُجري الاختبار على عينة المسح الثانية، والتي تألفت من مائة طالب من الصف الخامس الابتدائي من مدرستين تابعتين للمديرية العامة للتربية في بابل - مدرسة الطائف الابتدائية ومدرسة المجد الابتدائية للبنين - يوم الثلاثاء الموافق 2024/12/31، وذلك للتأكد من الصفات السيكمومترية للاختبار. وقد توصل الباحث، بإشرافه على معلمي المدرسة، إلى اتفاق مع عدد قليل منهم. وبعد إجراء تصحيحات على إجابات طلاب عينة المسح الثانية، قام بفرز درجاتهم من الأعلى إلى الأدنى، بدءاً من إجمالي 48. وبما أن 27 طالباً في المجموعة العليا و27 طالباً في المجموعة الدنيا حصلوا على أعلى وأدنى الدرجات على التوالي، فقد استخدم هذه النسب المئوية لتحديد المجموعة التي سيتم استخدامها كممثل:

المجموعة ذات أعلى الدرجات ستكون المجموعة العليا، والمجموعة ذات أدنى الدرجات ستكون المجموعة الدنيا. وتم استخراج السمات السيكمترية لاختبار الإنجاز من إجابات المجموعتين.

9. التحليل الاحصائي لفقرات الاختبار:

● **معامل صعوبة فقرات الاختبار:** بمعنى آخر، هو نسبة الطلاب الذين أخطأوا في الفقرة، أو عدد الطلاب الذين أخطأوا في الفقرة مقسومًا على إجمالي عدد الأشخاص الذين حاولوا إجابة الفقرة بشكل صحيح. قد يأخذ معامل الصعوبة قيمًا بين 0 و1. ووفقًا للنبهان (2004)، يمكن اعتبار متوسط معامل الصعوبة 0.05 ونطاقه (0.20-0.80) مقبولًا. وكما ذكر النبهان (2004: 239).

كانت معاملات الصعوبة لجميع فقرات الاختبار ضمن النطاق المسموح به 0.5-0.78، وبالتالي يمكننا المضي قدمًا في قبولها.

● **معامل تمييز فقرات الاختبار:** هو قدرة الفقرة على التمييز بين التلاميذ ذوي الكفاءة العالية والمنخفضة في مجال دراسي معين (ماهام، 2000: 233). عندما تكون إجابات المجموعة العليا أكثر دقة منها في المجموعة الدنيا، يُقال إن الفقرة تتميز بتمييز إيجابي. باستخدام معادلة معامل تمييز الفقرة، تمكنا من تحديد أن قوة التمييز لكل فقرة اختبار تراوحت بين (0.4 و0.51). ونظرًا لأن فقرات الاختبار تُعتبر فريدة بمعامل 20% أو أكثر، مما يدل على قدرة تمييز ممتازة، يمكننا الاستنتاج أن فقرات اختبار الإنجاز مقبولة ومتميزة. (علام، 2009: 115)

● **فعالية البدائل الخاطئة لفقرات الاختبار:** تُعرف فعالية البدائل الزائفة بأنها مدى موافقة المشاركين في الفئتين (العليا والدنيا) على مشروعية بديل ما. يُفترض أن تكون نسبة مقوية أكبر من المجموعة الدنيا قد اختارته مقارنةً بالمجموعة العليا. ووفقًا للديمي وعدنان (2005)، عندما تكون القيمة كبيرة وسلبية، فهذا يُشير إلى أن البديل فعال ومقبول. أعطت المعادلات التي تُحدد فعالية البدائل الزائفة لكل من بنود الاختبار الثلاثين قيمًا سالبة تتراوح بين (-0.03 و-0.29). وهذا يُظهر أن بدائل اختبار الإنجاز كانت ناجحة، حيث كانت البدائل الزائفة بمثابة طعم للأطفال الذين لم يُحسنوا الأداء.

● **الثبات:** يشير الثبات إلى الدرجة الحقيقية التي تعبر عن أداء الفرد على اختبار ما، ومعنى ثبات الدرجة أن المفحوص سيحصل عليها في كل مرة يختبر فيها سواء بالاختبار نفسه أو بصورة مكافئة له تقيس الخاصة نفسها في الظروف نفسها أو في ظروف مختلفة (الريماوي، 2017، 112). استخدم الباحث معادلة كودر-ريتشاردسون لمعرفة مدى موثوقية أسئلة الاختبار الموضوعي متعدد الاختيارات من تطبيق المسح الثاني. يُعد الاختبار الجيد ذو معامل موثوقية 0.70 أو أعلى، وقد بلغ هذا الاختبار 0.80، مما يعني أنه يتمتع بموثوقية عالية (اليقوي، 2013: 266)

10. **الاختبار التحصيلي بصورته النهائية:** أُعدَّ اختبار الإنجاز المكوّن من ثلاثين بندًا لتطبيقه على مجتمع الدراسة، وذلك بعد استكمال العمليات الإحصائية المتعلقة بصلاحية البنود. وشملت هذه الإجراءات الثبات، ومعامل الصعوبة، والتمييز، وفعالية الخيارات الخاطئة.

الوسائل الاحصائية: الوسائل الاحصائية: تم استخدام الوسائل الإحصائية الآتية

اختبار التائي (T- test) لمجموعتين مستقلتين - ومعامل التميز - ومعامل الصعوبة - وفعالية البدائل الخاطئة - ومعامل بيرسون .

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها: وبناءً على هدف الدراسة وفرضيتها، يعرض هذا الفصل البيانات ويفسرها ويناقشها ويستخلص النتائج ويقدم الاقتراحات والمقترحات.

أولاً: عرض النتائج:

النتائج المتعلقة بالتحصيل : من أجل التحقق من صحة الفرضية الصفرية والتي تنص على "لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين متوسط درجات تلاميذ المجموعة التجريبية الذين يدرسون على وفق استراتيجية التعارض المعرفي ومتوسط درجات تلاميذ المجموعة الضابطة الذين يدرسون على وفق الطريقة الاعتيادية في التحصيل". أظهرت النتائج أنه بعد إجراء الاختبار وإجراء التصحيحات، كان لدى المجموعة التجريبية متوسط حسابي للدرجات 22.15 بانحراف معياري 5.75، بينما كان لدى المجموعة الضابطة متوسط حسابي للدرجات 17.40 بانحراف معياري 5.95. أدى تطبيق اختبار t إلى قيمة t (3.24)، مع 62 درجة حرية وعتبة دلالة 0.05؛ هذه النتيجة أعلى من القيمة الجدولية (2). تشير هذه البيانات إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسط نتائج اختبار الإنجاز للمجموعتين، حيث جاءت المجموعة التجريبية في المقدمة. تفوق الطلاب في المجموعة التجريبية الذين استخدموا أسلوب التعارض المعرفي لدراسة العلوم على نظرائهم في المجموعة الضابطة الذين استخدموا النهج التقليدي، كما تم قياسه من خلال درجات اختبار التحصيل الخاصة بهم. وهذا يقودنا إلى تبني الفرضية البديلة، التي تؤكد أن (هناك فرقاً جوهرياً)، ورفض الفرضية الصفرية الأولية. مقارنة إحصائية بمستوى دلالة 0.05 بين متوسط درجات اختبار الطلاب في مجموعة استراتيجية التعارض المعرفي وأولئك في مجموعة المراقبة، الذين اتبعت دراساتهم نهجاً أكثر تقليدية في التعلم.

جدول (8) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية (المحسوبة والجدولية) لدرجات مجموعتي البحث (التجريبية

الدلالة الاحصائية عند مستوى (0,05)	القيمة التائية		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد افراد العينة	المجموعة
	المحسوبة	الجدولية				
دالة	3,24	2	5,75	22,15	32	التجريبية
			5,95	17,40	32	الضابطة

والضابطة) في الاختبار التحصيلي

استخدم الباحث معادلة مربع إيتا لتحديد حجم تأثير استراتيجية التعارض المعرفي، كمتغير مستقل، على المتغير التابع وهو الإنجاز. ويلخص الجدول (9) الخطوات المتبعة لتحديد ما إذا كان حجم التأثير صغيراً أو متوسطاً أو كبيراً، مما يساعد في التأكد من أن نتائج اختبار (ت) تُعزى فعلياً إلى المتغير المستقل، ولا تتأثر بعوامل أخرى.

جدول (9) جدول مرجعي لتحديد حجم الأثر

حجم الأثر				الأداة المستخدمة
كبير جداً	كبير	متوسط	قليل	
0.2	0.14	0.06	0.01	u2

(عفانه، 2000: 4)

جدول (10)

قيمة (u²) ومقدار حجم الأثر في التحصيل للمجموعتين التجريبية والضابطة

المتغير المستقل	المتغير التابع	قيمة t	Df	قيمة	مقدار حجم الأثر
استراتيجية (التعارض المعرفي)	التحصيل	3.24	62	0.8	كبير جداً

يتضح من جدول (10) أن حجم أثر استراتيجية (التعارض المعرفي) في متغير التحصيل كبير جداً.

ثانياً: تفسير النتائج

- تفسير النتائج المتعلقة بالاختبار التحصيلي: بعد مقارنة متوسط درجات المجموعتين في اختبار التحصيل العلمي، وجد الباحث أن أداء المجموعة التجريبية كان أفضل بعض الشيء من المجموعة الضابطة. وهذا يشير إلى أنه مقارنةً بالمجموعة الضابطة التي اتبع طلابها المنهج التقليدي في التعلم، حقق طلاب المجموعة التجريبية الذين استخدموا أسلوب (التعارض المعرفي) نتائج أفضل.

ويعزو الباحث ان الاسباب قد تعود الى:

1. تُعدّ طريقة التعارض المعرفي أداةً فعالة لإشراك الطلاب وتحفيزهم على الدراسة من خلال تركيز انتباههم على الموضوع. وقد اجتمعت المجموعة التجريبية من الطلاب في نقاشات أكثر جدوى، وربطت بشكل أقوى بين ما تعلموه مسبقاً وما تعلموه في المختبر.
2. ارتفعت ثقة الطلاب بأنفسهم ومستويات قلقهم نتيجةً لقدرة استراتيجية التعارض المعرفي على جعلهم أكثر تفاعلاً مع المادة.
3. من خلال توفير جوٍّ ملائم للحوار والاستقصاء في بيئة تعلّم تعاونية، تُساعد استراتيجية التعارض المعرفي على تشكيل البنية المعرفية للطلاب.
4. تُبرز استراتيجية التعارض المعرفي دور المعلم كميسّر ومُوجّه لعملية التعلم، مع التركيز على الطلاب كعنصر محوري في العملية التعليمية.

ثالثاً: الاستنتاجات: في ضوء ما توصل اليه الباحث من نتائج يمكن استنتاج ما يأتي:

- أظهرت دراسة حديثة أن استراتيجية التعارض المعرفي " له تأثير في تحسين الأداء الأكاديمي للطلبة عند استخدامه في تدريس العلوم للصف الخامس الابتدائي.

رابعاً: التوصيات: بناءً على نتائج الدراسة الحالية وتحليلها، توصل الباحث إلى التوصيات التالية:

1. تعزيز استخدام استراتيجية التعارض المعرفي في تدريس العلوم في المرحلة الابتدائية، لما له من أثر إيجابي على التحصيل الدراسي.
2. لتحسين أداء الطلاب، يقترح استراتيجية التعارض المعرفي أن يُدرج معلمو العلوم أساليب وموارد وأنشطة حديثة في دروسهم.
3. ينبغي أن تُدرّب وزارة التربية والتعليم ومديرياتها معلمي العلوم على أساليب تدريس جديدة، مثل استراتيجية التعارض ، ليتمكنوا من تطبيقها في فصولهم الدراسية.

خامساً: المقترحات: يقترح الباحث إجراء البحوث التالية:

1. لمعرفة كيفية تأثير استراتيجية التعارض المعرفي على نجاح تلاميذ المرحلة الابتدائية، مقارنة بأساليب أخرى.
2. استخدام استراتيجية التعارض المعرفي في مراحل أخرى

المصادر :

- أبو الديار، مسعد نجاح ،(2012): "القياس والتشخيص لذوي صعوبات التعلم"، ط1، مركز تقويم وتعليم الطفل، الكويت.
- أبوعلام، رجاء محمود، (2006): "مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية"، دار النشر للجامعات ، مصر.
- بكار، عبد الكريم (2011): "حول التربية والتعليم"، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا
- الحيلة، محمد محمود،(2001): "أساليب تصميم وإنتاج الوسائل التعليمية"، ط1، دار المسيرة، عمان، الاردن.
- الخفاف , أيمن عباس , (2011) : الذكاءات المتعددة , دار المناهج للنشر والتوزيع المناهج
- الجبوري، جاسم يوسف (2020): استراتيجيات النظرية البنائية، مكتبة النور للنشر والتوزيع، بغداد، العراق.
- الحزاعلة، محمد سلمان وزكي بن عبد العزيز يودي (2012): استراتيجيات التدريس، ط1، الخوارزمي للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- الدباغ ،فخري طارق واخرون، (1983): "اختبار المصفوفات المتتابعة للقياس العراقي"، مطبعة جامعة الموصل ،الموصل، العراق .
- دمس،مصطفى نمر،(2007): "الاستراتيجيات الحديثة في تدريس العلوم العامة"، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع
- الدليمي ،احسان عليوي وعدنان محمد المهداوي ،(2005): "القياس والتقويم في العملية التعليمية" ، ط2، مكتب أحمد الدباغ للطباعة والنشر، بغداد، العراق.
- الدليمي، طارق عبد أحمد وكريم غازي العجيلي وحيد علي الجبوري (2020): التربية "أسسها فلسفتها أثرها في مجالات التنمية المستدامة"، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- رائد، رحيم عبید (2019): انماط التفكير بين النظرية والتطبيق، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- الرماوي ،عمر طالب ،(2017): "بناء وتصميم الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية"، ط1، دار أجد للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

- رزوقي، رعد مهدي وضمياء سالم داود (2017): التدريس وأهدافه، ط1، دار كلكامش للطباعة والنشر، بغداد، العراق.
- الزامل، علي عبد جاسم وآخرون، (2009): "مفاهيم وتطبيقات في التقويم والقياس التربوي"، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
- الزغلول، عماد، (2007): "سيكولوجية التدريس الصفّي"، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن.
- الساعدي، حسن حيال محسن(ب)، (2020): "المعلم الفعال واستراتيجيات ونماذج تدريسية" ط2، مكتبة الشروق للنشر والطباعة، بغداد، العراق.
- السامرائي، نبيهة صالح، (2013): "الاستراتيجيات الحديثة في طرق تدريس العلوم المفاهيم والمبادئ والتطبيقات"، دار المناهج للنشر والتوزيع، بغداد، العراق.
- سعادة، جودت (2018): استراتيجيات التعلم النشط بين النظرية والتطبيق، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- السلطان، حمزة هاشم ووفية جبار محمد (2019): استراتيجيات حديثة في التدريس النظرية والتطبيق، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان.
- الشمري، ماش بن محمد (2011): استراتيجيات التعلم النشط، ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- عبدالرحمن، أنور حسين وعدنان زنكة، (2007): "الأنماط المنهجية وتطبيقاتها في العلوم الانسانية والتطبيقية"، ط1، دار الفرقان، بغداد، العراق.
- العزاوي، ر حليم يونس كرو، (2008): القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط 1، دار دجلة للطباعة والنشر، عمان.
- عطية، محسن علي (2018): التعلم النشط استراتيجيات واساليب حديثة في التدريس، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- عفانه، عزو اسماعيل، (2000): "حجم التأثير واستخداماته في الكشف عن مصداقية النتائج في البحوث التربوية والنفسية"، مجلة البحوث والدراسات التربوية الفلسطينية، العدد 3.
- علام، صلاح الدين محمود، (2000): "القياس والتقويم التربوي والنفسي أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة"، ط1، دار الفكر العربي - القاهرة.
- علام، صلاح الدين محمود، (2009): القياس والتقويم التربوي والنفسي، ط، دار الفكر العربي، القاهرة.
- عمر، محمود أحمد وآخرون، (2009): "القياس النفسي والتربوي"، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- الفرطوسي، علي سموم وآخرون، (2015): "القياس والاختبار والتقويم في المجال الرياضي"، ط1، مطبعة مهيم، بغداد، العراق.
- كوافحة، تيسير مفلح، (2003): "القياس والتقييم واساليب القياس والتشخيص في التربية الخاصة"، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- الكعي، كزار عبد الزهرة (2018): استراتيجيات حديثة في التعليم والتعلم، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

- ملحم ، سامي محمد، (2000): "القياس والتقويم في التربية وعلم النفس" ، ط1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- النبهان ، موسى، (2004) : "أساسيات القياس في العلوم السلوكية"، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن.
- النعيمي، محمد عبال العال وآخرون، (2015): " طرق ومناهج البحث العلمي" ، ط1، عمان ،الاردن.
- الهويدي، زيد،(2015): "أساسيات القياس والتقويم التربوي"، ط1، دار الكتاب الجامعي ، ، العين ، الامارات العربية المتحدة..
- Al-Aside, Saeed Jassim and others (2016): **Teaching Methods and Strategies**, 1st edition, Dar Al-Masirah for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Saana, Jawdat (2018): **Active learning strategies between theory and practice**, 1st edition, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Tsai, Salah al-Din Mahmoud (2023): **The Strategy of Conflict with Conflict**, 1st edition, Dar Al-Masirah for Publishing and Distribution.

النشاط التجاري البحري وتأثيره على الاقتصاد الكويتي (1814 – 1914 م)

م. هالة مهدي الدليمي

جامعة بابل

مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية – العراق

hala.aldulaimi15@uobabylon.edu.iq

009647819689650

الملخص:

اهمية البحث : تكمن اهمية البحث في سد الفجوة المعرفية لتجارة الكويت البحرية , والتركيز على الكويت كنجمة تجارية واقتصادية مستقلة خلال (1814-1914) , ما يجعل دراسة هذه الفترة قيمة لإعادة بناء مسار الاقتصاد السياسي المحلي وربطها بالشبكات التجارية الإقليمية والدولية , فضلاً عن فهم بنية الاقتصاد الكويتي وكيفية تشكيل الطبقة التجارية الكويتية , التي ساهمت في نسج خيوط تاريخ الكويت من منظور اقتصادي واجتماعي.

اهداف البحث : استكشاف دور الكويت كمركز تجاري مستقل سياسيا واقتصاديا , كم خلال التعريف والتتبع لتطور تجارة الكويت البحرية في الفترة 1814-1914 , كذلك تحديد أنواع التجارة من حيث التصدير والاستيراد , لتجارة اللؤلؤ و السلع الضرورية , وتتبع مساراتها وشبكاتها المحلية والدولية , تحليل العوامل المحركة لتغيرات التجارة الكويتية لاسيما التطور الحضري للموانئ, فضلاً عن التجارة مع بريطانيا والدولة العثمانية والهند وشرق إفريقيا, وتقلبات أسواق اللؤلؤ والذهب والسلع .

مشكلة البحث : فهم كيف تطورت التجارة البحرية في الكويت خلال القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين , وما هي العوامل المحلية والخارجية التي شكلت مسارها , فضلاً عن تحليل دور تجارة الكويت البحرية في تعزيز مكانة الكويت كمدينة مستقلة اقتصادياً وسياسياً في اطار دول الخليج العربي. كذلك تقييم أثر التجارة على العلاقات بين الكويت وبريطانيا والدول الخليجية المجاورة والسكان المحليين.

هيكلية البحث : ان عنوان البحث تناول التجارة البحرية , لذا تطرق المحور الاول للأهمية التاريخية للكويت قبل اكتشاف النفط , لاسيما العوامل التي ساهمت في بروز الكويت وازدهارها وجعلها من المحطات التجارية المهمة في منطقة الخليج العربي , ثم تطرق المحور الثاني الى النشاط التجاري للكويت ومدى التطور الاقتصادي في المنطقة , فضلاً عن تأسيس أسطول البحري , كذلك يبين المحور الثالث علاقات الكويت التجارية مع مناطق الخليج العربي من جهة والدول التنافسية لاسيما بريطانيا من جهة اخرى , وكذلك المناطق البعيدة خاصة الهند وشرق إفريقيا , وتوضيح انواع السلع والبضائع التي كانت تصدرها وتستوردها الكويت.

منهجية البحث :اعتمد البحث على المنهجية التاريخية ,من حيث الاعتماد على الوثائق وتحليلها بشكل يناسب ما يتناوله البحث, فضلاً عن سرد الاحداث والتبحر في تفاصيلها, بغية الوصول لمعلومات تغني البحث من الناحية العلمية التاريخية.

الكلمات المفتاحية : النشاط البحري , تجارة اللؤلؤ , سياسة الكويت الاقتصادية , موانئ الكويت , التنافس التجاري الدولي

Maritime commercial activity and its impact on the Kuwaiti economy (1814–1914)

Luc.Hala Mahdi Al-Dulaimi

University of Babylon

Babylon Center for Civilizational and Historical Studies – Iraq

Abstract

Significance of the Research

The study aims to understand how Kuwait's maritime trade evolved during the 19th century and into the early 20th century, identifying the internal and external factors that shaped its trajectory and variations over time. It also seeks to analyze the role of Kuwait's maritime trade in enhancing Kuwait's status as an economically and politically autonomous city within the Gulf region, and to evaluate the impact of this trade on Kuwait's relations with Britain, neighboring Gulf states, and the local population.

Research Objectives: To explore and study Kuwait's role as a politically and economically independent commercial center from 1814 to 1914, by defining and tracing the evolution of Kuwait's maritime trade.

Identify the types of trade in terms of exports and imports, with a specific focus on pearl trade and essential goods, and track their routes and local and international networks.

Analyze the driving factors behind changes in Kuwait's commerce, with emphasis on the urban development of ports and the evolution of trade networks.

Examine the nature of trade relations with Britain, the Ottoman Empire, India, and East Africa, and trace fluctuations in the markets for pearls, gold, and commodities, among other influential factors.

Link the results of the analysis to the concept of Kuwait as an economically and politically autonomous center in the Gulf before the discovery of oil, and elucidate the impact of trade on the formation of an economic identity and local sovereignty.

Research Structure

Since the study's title concerns maritime trade, the first section addresses Kuwait's historical importance before the discovery of oil, focusing on the factors that contributed to Kuwait's rise and its emergence as a key trading hub in the Gulf region. The second section then examines Kuwait's commercial activity and the extent of economic development in the area, including the

establishment of the naval fleet. The third section outlines Kuwait's commercial relations with the Gulf regions on the one hand and competing powers, notably Britain, on the other, as well as with distant areas such as India and East Africa. It also clarifies the types of goods and commodities that Kuwait exported and imported.

Research Methodology

The study employs a historical methodology, utilizing documents and analyzing them in a manner that aligns with the research topic, including the narration of events and scholarly detailing, to obtain information that enriches the study from a historical-scientific perspective.

Keywords: Maritime activity, Pearl trade, Kuwait's economic policy, Kuwait ports, International commercial competition

المقدمة

نشطت التجارة والملاحة في منطقة الخليج العربي منذ زمن بعيد، وكان لعرب الخليج عمومًا وعرب الكويت خصوصًا دور بارز في هذا النشاط التجاري والملاحي على مر العصور التاريخية، رغم عدم ظهور اسم الكويت بشكل رسمي في تلك الفترات. تشير المدونات التاريخية والوثائق إلى أن الكويت كانت تُعرف قديمًا باسم "القرين"، وتؤكد على أن سكانها كانوا يقومون بنقل البضائع والإبحار والتجارة ليس فقط مع مناطق الخليج العربي، بل مع مناطق بعيدة أيضًا، مما جعلها وسيلة تجارية رئيسية في المنطقة.

كانت منطقة الخليج العربي مسرحًا للنشاط التجاري والملاحي الحيوي، حيث لعب سكان الكويت، دورًا رئيسيًا مهما في هذا الجانب، وعلى الرغم من أن اسم الكويت لم يكن معروفًا في تلك الأزمان، إلا أن التاريخ يذكر اسم القرين، الذي كان يُطلق على المنطقة القديمة. كانت السفن والعربات البحرية تنقل البضائع عبر البحر، وتربط بين المناطق القريبة والبعيدة، فجعلت من أهل القرين وسطاء تجاريين يمتد نشاطهم إلى أعماق مناطق المنطقة وخارجها. هكذا، كانت التجارة والملاحة جزءًا لا يتجزأ من حياة أهل المنطقة، ويشهد على ذلك التاريخ المدونات والوثائق القديمة التي تؤكد لماذا كانت الكويت وما حولها محط أنظار الجميع في ميدان التجارة البحرية عبر العصور.

نتيجة لذلك، أصبحت الكويت واحدة من المناطق المهمة ذات التجارة الواسعة، وذلك بفضل مجموعة من المحددات والعوامل التي ساهمت في ازدهارها منذ فترات تاريخية مبكرة. وقد جعلت هذه المميزات الكويت علامة بارزة في عالم التجارة، مما ساهم في تحولها إلى إحدى المحطات التجارية الرئيسية في المنطقة.

شهدت منطقة الخليج العربي ازدهارًا في النشاط التجاري والملاحي منذ القدم، حيث كانت من أهم مراكز التجارة في منطقة الكويت، بفضل موقعها الاستراتيجي، فضلًا عن تجارة العُمانيين، حيث كانت مركزًا تجاريًا هامًا يربط الخليج بالمناطق البعيدة، ويقوم سكانها بنقل البضائع والإبحار لمدى بعيد، مما جعلهم يلعبون دور الوسيط التجاري في المنطقة، وعلى مر العصور تطور النشاط التجاري والملاحي فيها، وظلت محطة مهمة للتبادل التجاري بين الخليج والدول المجاورة والعالم الخارجي.

على الرغم من أن اسمها لم يكن قد اشتهر بعد، لعب سكان الكويت دورًا محوريًا في تنشيط التجارة البحرية. كان نشاطهم الفعال في استخدام السفن والعربات لنقل البضائع عبر البحر هو الدافع الرئيسي لازدهار المنطقة، وتحولها إلى مركز تجاري مهم وذو تجارة واسعة. هذه العوامل، التي تعود إلى فترات تاريخية مبكرة، منحت الكويت مميزات فريدة أصبحت علامة بارزة في تاريخها، وجعلت منها إحدى أهم المحطات التجارية في المنطقة.

يسعى هذا البحث إلى إبراز دور التجارة البحرية الكويتية وأثرها في الاقتصاد خلال الفترة الممتدة ما بين عامي 1814 و1914. وقد جرى اختيار عام 1814 كبداية للموضوع لكونه يمثل محطة مفصلية شهدت تحولاً مهماً في النشاط التجاري للكويت، حيث ساعد النمو الاقتصادي البحري آنذاك، إلى جانب الروابط الوثيقة مع مدينة البصرة التي كانت من أبرز المراكز التجارية في الخليج العربي، على أن تصبح الكويت وجهة بديلة إثر تراجع حركة التجارة في البصرة وتحولها إليها. أما تحديد عام 1914 نهايةً للفترة المدروسة فيعود إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، وهي سنوات اتسمت بندرة النشاط الاقتصادي وصعوبته، إلا أن ذلك لا يعني انقطاع التجارة الكويتية، بل على العكس؛ فقد استمرت في التوسع والازدهار رغم التحديات.

ان عنوان البحث تناول التجارة البحرية، قسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية، تناول المحور الأول الأهمية التاريخية للكويت قبل اكتشاف النفط، ولاسيما العوامل التي ساهمت في بروز الكويت وازدهارها وجعلها من المحطات التجارية المهمة في منطقة الخليج

العربي، ثم تطرق المحور الثاني الى النشاط التجاري للكويت ومدى التطور الاقتصادي في المنطقة، فضلاً عن تأسيس الأسطول البحري، كذلك يبين المحور الثالث علاقات الكويت التجارية مع مناطق الخليج العربي من جهة والدول التنافسية لاسيما بريطانيا من جهة اخرى ، وكذلك المناطق البعيدة خاصة الهند وشرق أفريقيا، وتوضيح انواع السلع والبضائع التي كانت تصدرها وتستوردها الكويت.

المحور الاول : الاهمية التاريخية للكويت قبيل اكتشاف النفط :

اولا: الموقع الجغرافي

تُعدّ دولة الكويت من الدول العربية ذات الموقع الاستراتيجي المهم المحاذي للساحل الشمالي للخليج العربي ،يحدها العراق من جهة الشمال ويمتد على مسافة تقارب حوالي (254 كم) ، اما من الجهة الجنوبية تطل المملكة العربية السعودية على طول مسافة حوالي (221 كم) ، وتمتد بين خطي عرض 28.45 و 30.05 شمالاً، وخطي طول 46.30 و 48.30 شرقاً، بمساحة تبلغ حوالي (17,818 كيلومتراً مربعاً)، (الحجي، 1993) ، هذا الموقع جعلها بوابة طبيعية بين بلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية، فضلاً عن ميناء رئيسياً للتجارة البحرية بين الهند وشرق أفريقيا من جهة، وبلاد الشام والجزيرة العربية من جهة اخرى ، كما ان واجهة الكويت البحرية تمتد على طول الساحل مع وجود خليج الكويت الذي يؤمن حماية طبيعية لميناء الكويت الاقتصادي. والذي أسهم في صياغة تاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. فقد منحها موقعها الجغرافي مكانة متميزة كمركز تجاري مهم، بينما شكّل سكانها نسيجاً متنوعاً أثّر وتأثر بالحضارات العديدة المجاورة (الرشيد، 1981).

ثانيا: التوزيع السكاني :

برزت اهمية منطقة كاظمة في الكويت نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، ميناءً قديماً مهماً، مما يشير إلى وجود استقرار بشري مبكر. غير ان الاستيطان الحقيقي بدأ في أوائل القرن الثامن عشر، لاسيما عقب نزوح عائلات من اراضي نجد السعودية ، ومن أبرز تلك العائلات آل صباح الذين أسسوا الحكم عام 1752م (الفهيد، 1987) ، وكان صيد اللؤلؤ والتجارة البحرية هما النشاطان الاقتصاديان الرئيسيان، تميزت التركيبة السكانية بالتنوع، حيث استقرت بها جاليات عربية من نجد والأحساء والعراق، تظهر الإحصاءات السكانية في الكويت خصائص فريدة تتمثل في تعدد الفئات والعمر والجنسية، حيث يشكل المواطنون والوافدون معاً التركيبة الديموغرافية التي تُميز الكويت. يعتمد تحقيق التنوع السكاني على عدة عوامل تاريخية واقتصادية واجتماعية ساهمت في تشكيل الهيكل السكاني الحالي. بالإضافة إلى أسر فارسية وهندية انخرطت في الأنشطة التجارية (حاكمة، 1975).

ثالثا: الموارد البيولوجية:

يغلب على معظم الأراضي الكويتية الطابع الصحراوي، كما يشهد مناخ الكويت درجات حرارة مرتفعة خلال فصل الصيف، تتراوح بين (42 - 46 درجة مئوية) ، وفي الشتاء تنخفض درجات الحرارة بشكل ملحوظ لتتراوح بين (3 - 28 درجة مئوية) ، ويعد تساقط الأمطار محدوداً ويبلغ في المتوسط ما بين (75 - 150 ملم سنوياً)، (الهيئة العامة للبيئة ، 1998) .

تمتلك الكويت قيمة تراثية فريدة ونادرة من حيث التنوع البيولوجي، خاصة في البيئة الصحراوية، مما يستدعي ضرورة المحافظة على هذه الموارد الحية التي تأقلمت مع الظروف القاسية. يُعتبر التنوع البيولوجي أساس وجود الإنسان، لكن الأنشطة البشرية تؤثر سلباً على البيئة، مما يشكل تهديداً حقيقياً للحياة الاقتصادية والثقافية للعديد من المجتمعات (برنامج الأمم المتحدة للبيئة - UNEP 1995).

اعتمد الاقتصاد الكويتي قبل اكتشاف النفط على الموارد البيولوجية، مثل محار اللؤلؤ، والأسماك، وحيوانات الرعي، والألياف، والأدوية المستخرجة من النباتات الصحراوية. ورغم أن الاقتصاد الكويتي يعتمد حاليًا بشكل أساسي على عائدات النفط، إلا أن للموارد الحية قيمة خاصة لدى الشعب الكويتي. تشكل الموارد البحرية، وخاصة الأسماك والروبيان، حوالي 50% من الطلب المحلي على الأغذية البحرية، كما تُعتبر النباتات الصحراوية مصدرًا مهمًا لعلف الماشية والمنتجات الدوائية التقليدية.

تساهم تربية المواشي والدواجن في تلبية احتياجات الاستهلاك المحلي من الحليب واللحوم. كما تُعتبر الكائنات الفطرية، خصوصًا أنواع الطيور والأسماك، ذات أهمية كبيرة لعشاق الصيد والقنص. بالإضافة إلى ذلك، يمكن استغلال التنوع البيولوجي في المستقبل من خلال توسيع إنتاج المحاصيل مثل الشعير والقمح والتمر (الهيئة العامة للبيئة، 1998).

ساعدت الموارد البيولوجية المتجددة في تلبية احتياجات السكان في فترة ما قبل النفط، إذا أُديرت بشكل صحيح. ومع ذلك، فإن الأسباب الرئيسية لاندثار التنوع البيولوجي في الكويت تعود إلى نقاط ضعف واضحة في السياسات العامة والتشريعات، خاصةً عدم وضوح مسؤوليات المؤسسات. أدى ذلك إلى تدمير المواطن الحيوانية وتغيير مواطن الحيوانات والنباتات الأساسية دون رقابة، بالإضافة إلى الإفراط في الرعي وضغط الصيد والقنص بشكل غير منظم، واستخدام الكيماويات الزراعية بطريقة غير مراقبة (الهيئة العامة للبيئة، 1998).

تفجرت هذه المشكلات نتيجة الزيادة السكانية والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية. كما ساهم السعي نحو الاكتفاء الذاتي الغذائي في تجاهل أهمية المحافظة على البيئة وكفاءة تخصيص الموارد، مما وضع ضغوطًا كبيرة على الموارد البيولوجية في الكويت. وبالتالي، تواجه الدولة تحديات بيئية خطيرة تؤدي إلى تدهور ما تبقى من هذه الموارد، لا سيما انتشار التصحر في الأراضي الرعوية وغياب المناطق المحمية (الفرحان، 1960).

على الرغم من صغر مساحة الكويت ومناخها الجاف، فإن بيئتها غنية بالطيور، حيث تم تسجيل أكثر من 350 نوعًا. ومن بين هذه الأنواع، هناك 18 نوعًا فقط تتكاثر محليًا، بينما البقية هي أنواع مهاجرة أو زائرة خلال فصل الشتاء. تقع الكويت على مسارات هجرة الطيور الرئيسية، حيث يمر بها سنويًا ما بين 2 إلى 3 مليون طائر.

تعتبر مناطق الجزر والمد من المواقع الهامة لتغذية طيور الشواطئ والطيور المائية، كما تُعد الجزر المرجانية مواطن حيوية لأربع أنواع من طيور النورس، بالإضافة إلى طيور الغاق (الحمدي، 2008).

المحور الثاني : نبذة تاريخية عن الاقتصاد الكويتي قبل عام 1813

حينما وطأت أقدام البرتغاليين شواطئ الخليج العربي ، في بدايات القرن السابع عشر، كان مشروعهم في المنطقة هو تأسيس نقاط سيطرة بحرية عسكرية وتجارية ضمن شبكة استعمارية واسعة النطاق (الحمدي، 2005)، والتي امتدت من رأس الرجاء الصالح إلى سواحل الهند والخليج العربي. و في عام 1613، بنوا على تل "بهيته" برجًا للمراقبة في منطقة أطلقوا عليها لاحقًا اسم "القرين"، اسم يعكس رؤية استعمارية تسعى إلى تمييز المواقع جغرافيًا لأغراضها البحرية والتجارية. كانت القرين نقطة مهمة على خريطة مصالح البرتغال في الخليج، لكن سرعان ما تحولت إلى ما يُعرف بـ((الفرضة))، وهي ميناء صغير ترسو فيه السفن التجارية. هذه الفرضة تعتبر البذرة الأولى لما يمكن تسميته بـ((الهوية الاقتصادية للكويت))، التي تشكلت منذ لحظتها الأولى عبر البحر، وليس البر، والتركيز على التجارة، أكثر من الزراعة أو الفتوحات السياسية (الابراهيم، 1982).

في الوقت ذاته، ان النشأة البحرية للكويت، تعود لقبيلة العوازم القادمة من نجد بعد أن ضاقت بها الأرض، قد بدأت تنتشر على سواحل وربة وبوبيان. لم يدخل العوازم الكويت بوصفهم غزاة، لكن باعتبارهم صيادين ومزارعين يبحثون عن الرزق، وكانوا أول من أقام حواضر ومهدو لبناء المدن وتعميرها، على تلك السواحل وهم تجمعات صغيرة يعملون بصيد الأسماك فضلًا عن زراعة النخيل. حيث زرعوا الوفرة والعبدي ، وأسسوا حضورًا ريفيًا بحريًا متصلًا مع الطبيعة. (جعفر، 1992).

بعد دخول عائلة العتوب، التي تضم آل صباح وآل خليفة والجلالمة، إلى الكويت عام 1716، بدأت هذه العائلة العمل في التجارة مستفيدة من معرفتها العميقة وخبرتها في شؤون البحر. كانت الكويت في ذلك الوقت تعاني من ظروف اقتصادية صعبة، لكن العتوب استطاعوا استغلال موقع الكويت الجغرافي كميناء مهم على الخليج العربي لبدءوا نشاطهم التجاري.

في عهد الشيخ صباح الأول (1752-1776)، الذي يُعتبر مؤسس حكم آل صباح في الكويت، بدأت المحاولة الأولى لإنشاء الأسطول الكويتي (الحسين، 2005). كانت السفن في البداية صغيرة الحجم، ولم تكن قادرة على الوصول إلا إلى المناطق القريبة من الكويت (حكمة، 1975). لكن مع مرور الوقت، وبفضل السياسة التي اتبعتها آل صباح في تشجيع الحركة الملاحية والتجارية، تطورت السفن بشكل ملحوظ، حيث تم بناء سفن أكبر قادرة على الوصول إلى الهند وأفريقيا (خزعل، 1962).

أكد الرحالة الدنماركي نيبور (Neibuhr) هذه الحقيقة خلال زيارته للكويت عام 1765، حيث أشار إلى حالة الاستقرار والنمو السكاني والتطور التجاري، موضحاً أن عدد السكان كان حوالي عشرة آلاف نسمة، وكان هناك 800 مركب تُستخدم في التجارة وصيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ. وبفضل هذه الظروف المواتية، بدأ الكويتيون في بناء سفنهم بأنفسهم، وقد أبدعوا في هذا المجال حتى أصبحت سفنهم تحظى بسمعة عالية في الخليج العربي والسواحل الشرقية لأفريقيا (الحاتم، 2001).

مرت التجارة في عهد الشيخ صباح الأول بفترة من البناء والتطوير، لكنها شهدت تحسناً ملحوظاً بعد تولي ابنه عبد الله الحكم (1776-1814). في هذه الفترة، شهدت المدينة تدفق العديد من المهاجرين الأثرياء والوجهاء الذين كانوا يشتغلون في التجارة، مثل والد الشيخ أحمد الرزق. ساهم بناء السفن الكبيرة في تعزيز مكانة الكويت كمركز تجاري رئيسي للعديد من المناطق مثل الشام ونجد والأحساء، حيث كان أهل الكويت يسافرون لتجارة مع هذه المناطق.

علاوة على ذلك، اهتم آل صباح بحماية الطرق التجارية وتأمينها من السلب، حيث فرضوا عقوبات صارمة على من يعترض القوافل التجارية. هذا التوجه ساعد على تعزيز الثقة في التجارة الكويتية وفتح أمامها آفاقاً جديدة للنمو، مما جعل الكويت مركزاً تجارياً حيوياً في المنطقة (الفرحان، 1960).

شهدت تجارة الكويت خلال حكم عبد الله بن صباح تطوراً ملحوظاً، حيث ساهمت الأحداث الإقليمية في تعزيز مكانتها التجارية. من أبرز هذه الأحداث كان الحصار الفارسي للبصرة عام 1775 واحتلالها في العام التالي (خزعل، 1962). أدى هذا الاحتلال إلى انفراد الكويت بتجارة البصرة وزيادة شهرتها كمركز تجاري رئيسي. كما رافقت هذه الأحداث هجرة العديد من التجار، خاصة أولئك الذين استقروا في الكويت وكانوا يمتلكون رؤوس أموال كبيرة. ساهم تدفق هؤلاء التجار في زيادة الإمكانات التجارية وتجهيد عمران المدينة، حيث انتقلت تجارة الهند من البصرة إلى الكويت، مما جلب الرخاء والازدهار للمدينة (الإبراهيم، 1982).

السياسة التي اتبعتها الكويت في تلك الفترة كانت فعالة جداً في تحقيق هذا الازدهار الاقتصادي والتجاري. تمثلت هذه السياسة في تخفيض الرسوم والضرائب على السلع والبضائع الداخلة والخارجة عبر الكويت، مما أدى إلى زيادة واضحة في أعداد السفن التي تصل موانئ الكويت بحلول عام 1960 (عباس، 1982). هذا التوجه نحو تخفيف الأعباء المالية ساهم في جذب المزيد من التجار والمستثمرين، مما عزز الحركة التجارية في البلاد.

كما ساهمت هجرة عدد كبير من تجار البحرين إلى الكويت عام 1783 في توسيع النشاط التجاري. جاء ذلك بعد أن زحف الشيخ نصر آل مذكور بجيشه على الزبارة واندلعت معركة بينه وبين آل خليفة. خشيةً من تفاقم النزاع، قرر التجار المقيمون في تلك المناطق الهجرة إلى الكويت، حيث استقبلهم الأهالي والتجار الكويتيون وأتاحوا لهم الفرصة للعمل سوياً في التجارة (خزعل، 1962). هذه الهجرة لم تكن مجرد انتقال للأشخاص، بل كانت أيضاً انتقالاً للمعرفة والخبرات التجارية.

علاوة على ذلك، أقام الشيخ عبد الله الأول علاقات تجارية مع الدول والشركات الأوروبية، وخاصة مع شركة الهند الشرقية البريطانية. هذه العلاقات زادت من أهمية الكويت التجارية وجعلتها مركزاً لبريد هذه الشركة، مما ساهم في تعزيز مكانتها كمركز تجاري بارز في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، نقل مقر الوكالة البريطانية إلى الكويت كان له تأثير كبير على ازدهار التجارة وزيادة أهمية الكويت كحلقة وصل بين الشرق والغرب (الوزان، 2019).

لفهم تجارة الكويت بشكل أفضل، يجدر بنا التطرق إلى علاقاتها التجارية خلال عهد الشيخ عبد الله بن صباح، حيث كانت هذه العلاقات تمثل نقطة تحول في تاريخ التجارة الكويتي، مما أسهم في تطورها ونموها كأحد المراكز التجارية الرائدة في المنطقة.

العلاقات التجارية الكويتية في عهد الشيخ عبد الله بن صباح

بعد أن أصبحت الكويت مركزاً تجارياً هاماً في منطقة الخليج العربي، أقامت علاقات واسعة مع العديد من المناطق، سواء داخل المنطقة أو خارجها. في مقدمة هذه المناطق تأتي العراق، حيث ارتبطت الكويت بعلاقات تجارية متينة، ترجع في جزء كبير منها إلى الجوار الجغرافي والتداخل الاجتماعي والأسري، وخاصة مع سكان البصرة. شجع الشيخ صباح الأول على تطوير التجارة مع العراق، مما أسهم في تعزيز الروابط الاقتصادية بين البلدين (الصباح، 1988).

اعتمدت الكويت بشكل أساسي على مدينة البصرة في استيراد احتياجاتها الضرورية والكمالية. كانت الكويت تستورد الأرز والقمح والشعير والتمر والخضروات والفواكه والمنسوجات، مما جعلها تعتمد على هذه المدينة كمصدر رئيسي للسلع الأساسية. في المقابل، كان الكويتيون يبيعون اللؤلؤ في سوق بغداد، مما يبرز دور الكويت كمركز تداول حيوي في المنطقة (خزعل، 1962).

أما فيما يخص علاقات الكويت مع نجد، فقد كانت الكويت تمثل المخرج الوحيد لجبل شمر، حيث أنها الميناء الوحيد الذي يخدم منطقة نجد (الصباح، 1988). هذا الدور الاستراتيجي للكويت كحلقة وصل للتجارة مع نجد كان له تأثير كبير، خاصة في ظل عدم استقرار الأوضاع السياسية في شبه الجزيرة العربية، بما في ذلك الإحساء. أدت النزاعات المستمرة بين الوهابيين وزعماء بني خالد إلى تحول طرق تجارة الهند نحو وسط شبه الجزيرة العربية، مما جعل موانئ الكويت بديلاً لموانئ القطيف والعقير كمداخل رئيسية للتجارة إلى داخل شبه الجزيرة العربية (العجيلي، 2002).

هذا التحول في طرق التجارة جعل الكويت تلعب دوراً محورياً في التجارة الإقليمية، حيث استغلت الكويت هذا الوضع لتعزيز مكانتها كمركز تجاري قوي ومؤثر. كما ساهمت هذه العلاقات التجارية المتينة في تنمية الاقتصاد الكويتي، وفتحت المزيد من الفرص أمام التجار الكويتيين للتوسع في عملياتهم التجارية، مما أسهم في ازدهار الكويت كمركز تجاري حيوي في المنطقة.

كانت جميع منتجات نجد، مثل الخيول والأغنام والصوف، تُصدر إلى الهند عبر ميناء الكويت، مما جعل الكويت نقطة انطلاق رئيسية للتجارة بين نجد والهند. هذه التجارة لم تكن تقتصر فقط على السلع الزراعية والحيوانية، بل كانت تعكس أيضاً الروابط الثقافية والاجتماعية بين المناطق المختلفة.

كما ارتبطت الكويت بعلاقات تجارية وثيقة مع البحرين، حيث ساهمت العلاقات الأسرية بين الطرفين—كلاهما يحكمه قبيلة العتوب—في تعزيز التجارة بينهما. كان لدى كلا الطرفين جالبونات والبغلات والقوارب الكبيرة التي استخدمت في التجارة، بالإضافة إلى خمسة عشر مركباً آخر من نوع بتيل وبغلة، تراوحت حمولتها بين 50 و120 طناً. كان لديهم أيضاً حوالي 150 مركباً تجارياً تعمل في تجارة الخليج العربي والبحر الأحمر وسواحل الهند وبومباي. قامت هذه السفن برحلات منتظمة إلى تلك المناطق، بينما كانت الكويت تستورد من البحرين الأقمشة والتمور والسمك (الحسين، 2005).

إضافة إلى ذلك، شكلت البحرين نقطة مرور (ترانزيت) حيوية حيث مرت من خلالها تجارة الكويت، وكذلك السلع المستوردة من بلاد الهند والصين. كانت هذه السلع تشمل الأقمشة الزراقي السورتي، والبياضات، والمخللات البنغالية، بالإضافة إلى البن

والسكر والفلفل والتوابل والحديد والرصاص. كما جلبت السفن الكويتية البضائع التجارية بكميات كبيرة، مثل الأقمشة السورتية، وأغزال القطن، ومصبغات كايتي، حيث كان يتم تصدير البن والفلفل إلى بغداد وحلب (الحاتم، 2001).

هذا التعاون التجاري بين الكويت والبحرين لم يعزز فقط الاقتصاد المحلي، بل ساهم أيضاً في بناء علاقات اجتماعية وثقافية قوية بين الشعبين. شكلت هذه العلاقات أهمية كبيرة في تعزيز الأمن الغذائي والتجاري للكويت، حيث كانت تسهم في توفير مجموعة متنوعة من السلع الأساسية وغير الأساسية، مما جعل الكويت مركزاً تجارياً حيوياً في المنطقة.

إن علاقات الكويت التجارية خلال هذه المرحلة لم تقتصر على مشيخات الخليج العربي فحسب، بل توسعت لتشمل علاقات قوية مع الشركات والدول الأجنبية التي كانت لها مصالح ونفوذ في المنطقة. في مقدمة هذه الأطراف تأتي شركة الهند الشرقية البريطانية، حيث ارتبطت الكويت بعلاقات تجارية واسعة معها. أثر انتقال مقر الوكالة البريطانية إلى الكويت عام 1793، نتيجة للظروف الصعبة التي مرت بها البصرة، بشكل إيجابي على نمو وتطور الكويت. استمر وجود الوكالة لمدة عامين، مما ساعد على تعزيز الروابط الاقتصادية بين الكويت والمصالح البريطانية (الإبراهيم، 1982).

نتيجة لهذا الانتقال، شهدت الحركة التجارية لسفن العتوب زيادة ملحوظة في العدد والحجم، حيث أصبحت الكويت تحتكر النقل البحري للبضائع بين مسقط وساحل جزيرة العرب الغربي الواقع على الخليج العربي. كما استحوذت الكويت على جزء كبير من حركة البضائع بين مسقط والبصرة، مما جعلها نقطة استراتيجية في شبكة التجارة الإقليمية (مراد، 1984).

بالإضافة إلى ذلك، ارتبطت الكويت بعلاقات تجارية مع شركة الهند الشرقية الهولندية، حيث عقدت عدة صفقات تجارية واستخدمت شبكة تجار الكويت كوسيط لهذا الغرض. كانت السفن الكويتية تحمل بضائع الشركة إلى الأسواق الأخرى في الجزيرة العربية والعراق والشام وأفريقيا، مما ساهم في توسيع نطاق التجارة الكويتية وزيادة تنوع السلع المتاحة في الأسواق المحلية.

هذا التوسع في العلاقات التجارية لم يعزز فقط الاقتصاد الكويتي، بل ساعد أيضاً في بناء سمعة الكويت كمركز تجاري حيوي ومؤثر في المنطقة. أصبح التجار الكويتيون ينظر إليهم كوسيطين موثوقين في التجارة الدولية، مما أتاح لهم فرصاً أكبر للتوسع والنمو في الأسواق العالمية. كما ساهمت هذه العلاقات في نقل المعرفة والخبرات التجارية، مما أدى إلى تحسين الأداء التجاري للكويت وزيادة قدرتها التنافسية في السوق الإقليمي والدولي.

كانت الكويت تتمتع بعلاقات تجارية واسعة مع الهند، حيث كانت السفن الكويتية تصل إلى موانئ مثل كراتشي وكلكتا وبومباي، محملة بتمور العراق والإحساء، التي كانت تُعتبر من المواد الغذائية الأساسية المطلوبة في شبه القارة الهندية. كانت تلك التمور تُقايس بمواد أخرى ضرورية في صناعة السفن، مثل الخشب والحبال المصنوعة من ألياف جوز الهند، بالإضافة إلى الخيوط والمسامير التي كانت تستخدم في بناء وإصلاح السفن.

علاوة على ذلك، كانت السفن الكويتية تجلب معها مجموعة من المواد الغذائية، ومن أبرزها التوابل والأرز المعروف باسم "رز رانجون"، الذي كان يتميز برخص ثمنه وجودته العالية (الوزان، 2019). هذا التنوع في السلع المتبادلة ساهم في تعزيز العلاقات التجارية بين الكويت والهند، مما جعلها نقطة تبادل حيوية في شبكة التجارة الإقليمية.

أما تجارة التمور، فقد شهدت نشاطاً ملحوظاً، حيث كان التجار يشترون كميات كبيرة من التمور ويحملونها على متن السفن الشراعية إلى الهند، حيث يقايضونها بأموال أخرى ومواد مثل الأنسجة والأثاث والأدوات الفرجية. وبعد ذلك، يعود التجار إلى مناطق الخليج العربي محملين بهذه السلع، ليقوموا ببيعها بالدرهم، مما يعكس نجاحهم في تحقيق أرباح جيدة من هذه العمليات التجارية (الحري، 2017).

هذا النشاط التجاري لم يعزز فقط الوضع الاقتصادي للكويت، بل ساعد أيضاً على بناء سمعة الكويت كمركز تجاري رئيسي في المنطقة. وبفضل هذه العلاقات التجارية، تمكن التجار الكويتيون من استكشاف أسواق جديدة وتوسيع نطاق تجارتهم، مما أسهم

في ازدهار الاقتصاد الكويتي ونموه. كما أن التبادل الثقافي الذي صاحب هذه التجارة ساهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الشعوب المختلفة، مما أضاف بعداً إنسانياً للعلاقات التجارية.

تجدر الإشارة إلى أن الكويت كانت تصدر مجموعة من السلع التي اشتهرت بها منطقة الخليج العربي، أبرزها اللؤلؤ التي تُستخرج من أعماق المياه. كان التجار يقومون بتنظيف وتجميع هذه اللؤلؤ بكميات كبيرة لتكون جاهزة لأغراض التجارة، حيث كانت تتمتع بشعبية كبيرة في الأسواق الهندية، مما جعلها من أهم الصادرات الكويتية.

إضافة إلى ذلك، أقام الكويتيون علاقات تجارية قوية مع شرق أفريقيا، حيث كان التجار يصدرون التمور العراقية إلى تلك المناطق. كانت هذه التمور تُشحن من البصرة نحو شرق أفريقيا عبر حضرموت وعدن والبحر الأحمر. خلال هذه الرحلات التجارية، كان التجار يتوقفون في مدينة أو مدينتين من المدن الصغيرة المنتشرة على السواحل الجنوبية للجزيرة العربية لتبادل السلع مع السكان المحليين.

في هذه المحطات التجارية، كانت تُباع التمور العراقية التي تم تعبئتها في البصرة، بالإضافة إلى حمولات أخرى مثل حزم الأقمشة وأكياس السكر التي تم شراؤها من أسواق الكويت وعدن (قاسم، 2005). هذه العمليات لم تقتصر فقط على التبادل التجاري، بل ساهمت أيضاً في تعزيز العلاقات الثقافية والاجتماعية بين الكويتيين والشعوب الأخرى.

من خلال هذه التجارة، تمكنت الكويت من بناء سمعة قوية كمركز تجاري حيوي، مما ساعد في تعزيز مكانتها في المنطقة. كما أن تواصل التجار مع مختلف الثقافات أسهم في تبادل الأفكار والابتكارات، مما أثرى الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الكويت. من جهة أخرى، كانت السفن الكويتية تنقل عند عودتها مجموعة من السلع القيمة، مثل خشب الجندل الذي يُستخدم في تسقيف البيوت، بالإضافة إلى الفحم الصومالي وزيت الجوز والصمغ العربي (الصباح، 1988). هذه المواد لم تكن فقط تلي احتياجات السوق المحلية، بل كانت تُعتبر أيضاً من العناصر الأساسية في بناء المنازل وتحسين جودة الحياة في الكويت. فضلاً عن ذلك، كان التجار الكويتيون يجلبون معهم السجائر والأقمشة وعصير الليمون والأخشاب وزيت الهند (جمال، 2003)، مما يعكس تنوع السلع التي كانت تُستورد.

من الواضح أن علاقات الكويت التجارية اتسعت بشكل ملحوظ خلال عهد الشيخ عبد الله الصباح، حيث لم تقتصر على منطقة معينة، بل امتدت إلى مناطق بعيدة عن الخليج العربي. هذا التوسع في العلاقات التجارية يدل على مهارة البحارة الكويتيين ودورهم الحيوي في التجارة مع تلك المناطق. كانوا ينقلون السلع والبضائع التي تُنتج محلياً أو تُستورد من الهند وشرق إفريقيا، مما ساهم في تنشيط حركة التجارة البحرية وجعل الكويت نقطة التقاء للعديد من الثقافات والسلع.

علاوة على ذلك، فإن الموقع الجغرافي المتميز للكويت في الخليج العربي زاد من أهميتها الاستراتيجية كحلقة وصل مع العالم الخارجي. كانت الكويت تمثل أحد الطرق الرئيسية للتجارة بين شرق آسيا وغرب أوروبا، مما منحها دوراً محورياً في شبكة التجارة العالمية. هذا الموقع الاستراتيجي لم يعزز فقط من قوة الكويت الاقتصادية، بل ساهم أيضاً في تعزيز مكانتها كمركز ثقافي وتجاري في المنطقة، مما أتاح لها فرصاً كبيرة للتوسع والنمو في المستقبل.

استناداً إلى ذلك، فإن الطريق التجاري الذي يمر عبر الكويت يعزز من أهميتها التجارية بشكل كبير. كانت السفن التي تجوب الخليج العربي تتوقف كثيراً على شواطئ الكويت، وخاصة جزيرة فليكا، لتزويدها بالماء ولتجنب مخاطر الأنواء الجوية. هذه التوقيفات لم تكن مجرد محطات عابرة، بل كانت تعكس الدور الحيوي الذي لعبته الكويت كنقطة انطلاق واستراحة للبحارة والتجار. كما تؤكد الآثار التي وُجدت في هذه الجزيرة أن طرق التجارة البحرية كانت تمر عبر سواحل الكويت، مما يدل على أهمية هذه المنطقة كحلقة وصل في شبكة التجارة البحرية (المبادر، 1981).

سيطرت الكويت أيضًا على الحركة التجارية في المنطقة، وبشكل خاص على تجارة النقل (الترانزيت). هذا السيطرة جاءت نتيجة لموقعها الاستراتيجي الذي جعلها نقطة تجارية محورية. علاوة على ذلك، تميزت الكويت بوجود عدة جزر ذات أهمية ملاحية وتجارية، مثل مسكان، عوهه، كبر، أم المرادم، قاروة، وأم النمل، والشويخ. كانت هذه الجزر تلعب دورًا مهمًا في تحسين ظروف الملاحة، حيث ساعدت على هدوء حركة المياه، مما جعلها أماكن مثالية للتوقف والتزود بالموارد.

إضافةً إلى ذلك، كانت هذه الجزر تُستخدم كمحطات استراحة لصيادي السمك، حيث توفر لهم ملاذًا آمنًا أثناء أوقات الحاجة. كما كانت مراكز لصيادي اللؤلؤ، حيث يُعتبر صيد اللؤلؤ جزءًا أساسيًا من الاقتصاد المحلي. بعض هذه الجزر كانت أيضًا مناسبة لاستقبال السفن، مما زاد من دور الكويت كمركز تجاري متميز في المنطقة (سانجر، 1964).

هذا التكامل بين الموقع الجغرافي والموارد الطبيعية جعل الكويت نقطة جذب تجارية هامة، حيث ساهم في تعزيز التجارة البحرية واستقطاب التجار من مختلف المناطق. كما أن هذه الديناميكية الاقتصادية ساعدت على بناء علاقات قوية مع الدول المجاورة، مما عزز من مكانة الكويت على الساحة الإقليمية والدولية.

تعتبر الخصائص الطبيعية من العوامل الرئيسية التي تميز الكويت، ومن أبرز هذه الخصائص سواحلها الموانئ التي تتمتع بحماية طبيعية من الأمواج والعواصف. هذه الحماية أسهمت بشكل إيجابي في تعزيز نشاطها التجاري، إذ جعلت الكويت في مأمن من العواصف الشديدة التي قد تعصف بسواحلها، مما أتاح للسفن الراسية في موانئها فرصًا أكبر للتحميل والتفريغ دون مخاطر كبيرة. تتمتع الكويت بشبكة من الأخوار والشعاب المرجانية التي تحيط بسواحلها. على الرغم من أن هذه الشعاب تعيق حركة الملاحة للسفن الكبيرة، إلا أنها توفر بيئة آمنة للمراكب الصغيرة، حيث يمكن لهذه المراكب اجتيازها بسهولة بفضل صفاء مياهها. هذا الوضع في المياه يتيح للبحارة رؤية الشعاب المرجانية وتفاديها، مما يسهل عملية الملاحة ويعزز من قدرة الكويت على استقبال السفن الصغيرة.

تعتبر هذه المميزات الطبيعية بمثابة نقاط قوة للكويت، حيث وفرت لها بيئة ملائمة للتجارة البحرية وصيد الأسماك، بالإضافة إلى تحسين ظروف الحياة البحرية. كما أن هذه الخصائص ساعدت في بناء سمعة الكويت كمركز تجاري موثوق، مما جذب التجار من مختلف الدول والمناطق.

بالإضافة إلى ذلك، فإن وجود الشعاب المرجانية والأخوار يساهم في دعم التنوع البيولوجي في المنطقة، مما يعزز من أهمية الكويت كمركز للحياة البحرية. هذا التنوع لا يقتصر فقط على الموارد السمكية، بل يمتد ليشمل الثروة البحرية الأخرى، مما يضيف بعدًا اقتصاديًا واجتماعيًا لتاريخ الكويت.

ارتبطت الكويت ارتباطًا وثيقًا بالبحر، حيث يمثل البحر حلقة الوصل الوحيدة لها بالعالم الخارجي ويشكل موردًا حيويًا لحياة سكانها. لم تقتصر تجارتها على مناطق الخليج العربي فحسب، بل امتدت إلى مناطق أبعد، مما يعكس أهمية الكويت كمركز تجاري حيوي (حاكمة، 1975).

تأثرت حركة التجارة الكويتية بشكل كبير بحركة الرياح، حيث استفاد الملاحون العرب من خصائص الرياح الموسمية في المحيط الهندي وأوقات هبوبها. هذه المعرفة أكسبتهم خبرة واسعة في فهم حركة الرياح على مدار السنة، ما ساعدهم في استخدام الشراع المربع المثبت في سفنهم الشراعية بشكل فعال، سواء في فصل الصيف أو الشتاء (التميمي، 1998).

خلال فصل الصيف، ساعدت الرياح الموسمية في دفع السفن القادمة من المحيط الهندي نحو الخليج العربي، مما سهّل حركة التجارة ونقل البضائع. وفي فصل الشتاء، كانت الرياح الشمالية الغربية تدفع السفن من داخل الخليج إلى مياه المحيط الهندي، مما عزز من حركة التجارة في كلا الاتجاهين (الإبراهيم، 1982).

هذا التفاعل الديناميكي بين الرياح والملاحة ساهم في تعزيز اتصالات الكويت مع مناطق مثل الهند والعراق وشرق إفريقيا. وقد انعكس هذا الاتصال على الكويتيين من خلال توسيع علاقاتهم التجارية، مما أتاح لهم فرصة اكتساب خبرات ملاحية غنية في التعامل مع هذه الدول. كما أن معرفتهم بالبحار، بما في ذلك أعماقها وجزرها والأنواء الجوية، كانت عاملاً مهماً في نجاحهم التجاري.

بفضل هذه العوامل، أصبحت الكويت نقطة جذب تجارية رئيسية، حيث ساهمت في تعزيز الروابط الثقافية والاقتصادية مع مختلف الدول، مما أسهم في ازدهار الاقتصاد الكويتي وتنوع مصادره دخله.

ارتبطت الكويت ارتباطاً وثيقاً بالبحر، حيث يمثل البحر حلقة الوصل الأساسية لها بالعالم الخارجي ويشكل مورداً حيوياً لحياة سكانها. كانت الكويت تعتمد على البحر ليس فقط في الحصول على الغذاء والموارد، بل أيضاً في تعزيز تجارتها. لم تقتصر تجارتها على مناطق الخليج العربي فحسب، بل امتدت لتشمل مناطق أبعد مثل الهند والعراق وشرق إفريقيا، مما يعكس أهمية الكويت كمركز تجاري بارز في المنطقة (حاكمة، 1975).

تلعب حركة الرياح دوراً حيوياً في النشاط التجاري، حيث استفاد الملاحون العرب من خصائص الرياح الموسمية في المحيط الهندي وأوقات هبوبها. هذه المعرفة العميقة بحركة الرياح، سواء في فصل الصيف أو الشتاء، أكسبتهم خبرات قيمة في استخدام الشراع المربع المثبت على السفن الشراعية، مما سهل عليهم التنقل والقيام بالتجارة بكفاءة (التميمي، 1998).

خلال فصل الصيف، كانت الرياح الموسمية تدفع السفن القادمة من المحيط الهندي نحو الخليج العربي، مما ساهم في زيادة حجم التجارة والنقل. وفي فصل الشتاء، كانت الرياح الشمالية الغربية تساعد في دفع السفن من داخل الخليج إلى مياه المحيط الهندي، مما عزز من حركة التجارة في كلا الاتجاهين (الإبراهيم، 1982).

هذا التفاعل الديناميكي بين الرياح والملاحة ساهم في تعزيز اتصالات الكويت مع مناطق مختلفة، خاصة مع الهند والعراق وشرق إفريقيا. وقد انعكس هذا الاتصال على الكويتيين من خلال توسيع علاقاتهم التجارية، مما أتاح لهم الفرصة لاكتساب خبرات ملاحية غنية في التعامل مع هذه الدول. كما عززت معرفتهم بالبحار، بما في ذلك أعماقها وجزرها والأنواء الجوية، من قدرتهم على التخطيط لرحلاتهم التجارية وتنفيذها بنجاح.

تجسد هذه العوامل دور البحر الحيوي في حياة الكويت الاقتصادية والاجتماعية، حيث ساعدت في بناء سمعة الكويت كمركز تجاري حيوي ومؤثر في المنطقة، مما ساهم في ازدهارها وتنوع مصادرها دخلها.

كان امتهان الكويتيين للتجارة يدفعهم إلى الحاجة إلى السفن، وأصبحوا من أمهر صناعها (العل، 1975). وقد ساعد ذلك في دفع التجارة الكويتية قدماً، حيث بلغ عدد السفن التي كانوا يصنعونها حوالي 20-25 سفينة سنوياً. ووفقاً لذلك، كانوا يحصلون على مستلزماتهم (مثل القماش والأشعة والحبال) من إقليم المليبار في الهند، مما سمح لسفنهم بالإبحار إلى الهند وبنجبار وشرق إفريقيا.

تحولت موانئ الكويت إلى مراكز تجارية نشطة في الخليج العربي، وأصبحت مرسى مهماً للسفن القادمة من المنطقة، حيث لعبت دوراً في الوساطة التجارية، مما ساعد في توسيع وتعزيز علاقاتها التجارية مع المناطق الأخرى (حسين، 1960).

المحور الثالث : النشاط التجاري البحري للكويت 1814-1914

التجارة البحرية الكويتية (1862-1814)

على الرغم من أن التجارة البحرية في الكويت شهدت تطوراً ملحوظاً خلال فترة الشيخ عبد الله، إلا أنها توسعت بشكل كبير في عهد خلفه الشيخ جابر. خلال هذه الفترة، شهدت التجارة نمواً سريعاً بفضل السياسة الجمركية المعتدلة التي اتبعها، حيث كانت

الرسوم الجمركية تبلغ حوالي 2% على جميع الواردات. هذه السياسة ساهمت بشكل كبير في جذب السفن التجارية من مختلف المناطق، مما أدى إلى ازدهار النشاط التجاري في الكويت.

تأثرت صادرات الكويت وواردها بشكل إيجابي نتيجة لهذه السياسات. في عام 1839، بلغت الواردات حوالي 500 ألف روبية، بينما وصلت الصادرات إلى حوالي 100 ألف روبية، وهي مبالغ كبيرة مقارنة بقيمة العملة السائدة في تلك الفترة (الحسين، 2005). هذا النمو في التجارة يعكس نجاح الكويت في تعزيز مكانتها كمركز تجاري حيوي في المنطقة.

كما شهد الأسطول الكويتي توسعاً ملحوظاً، حيث بلغ عدد سفنه نحو 35 سفينة، تضمنت 15 سفينة من نوع البقلة، التي كانت تحمل أحمالاً تتراوح بين 450 و1000 طن. بينما كانت هناك 20 سفينة أخرى من نوع بتيل، بحمولة تتراوح بين 50 و120 طن (الفرحان، 1960).

هذا التوسع في الأسطول البحري لم يعزز فقط من قدرة الكويت على تأمين متطلباتها التجارية، بل ساهم أيضاً في تحسين قدراتها اللوجستية، مما جعلها قادرة على المنافسة في الأسواق الإقليمية والدولية. وبالتالي، فإن هذه التطورات في التجارة البحرية والبحرية تعكس الرؤية الاستراتيجية للقيادة الكويتية في تلك الحقبة، التي أدت إلى تعزيز الاقتصاد الوطني وزيادة الازدهار.

يتضح مما سبق أن الكويت في القرن التاسع عشر كانت تمتلك ميناء كبيراً، وغالبية سكانها كانوا من التجار الذين يعملون في مجالات التجارة الداخلية والخارجية. لم يقتصر عملهم على نوع معين من التجارة، بل كانوا يتاجرون بجميع أنواع السلع السائدة في الخليج العربي دون استثناء. وبلغ عدد السفن الكويتية العاملة في نقل التجارة نحو مئة، بين صغيرة وكبيرة.

فضلاً عن ذلك، ازدهرت تجارة الخيول في الكويت كجزء من السلع التجارية، حيث بلغ مجموع ما تم تصديره من الخيول العربية من البصرة والكويت إلى بومباي ومدراس وكلكتا عام 1816 نحو 2500 حصان. كان ثمن الحصان الواحد يصل إلى 300 روبية، وتصل تكاليف نقله وعلفه ورعايته حتى نهاية الرحلة إلى 200 روبية، بينما كانت السفينة الواحدة تحمل حوالي 80 حصاناً. وقد تصل أثمان الحصان الواحد، لا سيما في البنغال، إلى 1500 روبية (القناعي، 1960).

أما واردات الكويت، فهي تشمل بضائع هندية متنوعة مثل الأقمشة، الأرز، السكر، الخشب، البهارات، والقطن، جميعها تُستورد من الهند. كما تستورد الكويت القهوة من البحر الأحمر (اليمن) والفواكه المجففة من بلاد فارس، والتمور من البصرة، والأقمشة والسمن واللؤلؤ من البحرين.

تتميز موانئ الكويت بحركة تجارية دائمة، حيث تتقاضى رسوماً جمركية تصل إلى 2% على جميع الواردات. في عام 1839، استوردت الكويت الفواكه، البلح، الرمان، والبطيخ من البصرة وبوشهر. كما كانت الهند والبصرة تصدران إلى الكويت الحنطة والشعير، وتحصل الكويت على العدس من البصرة والماشية من البدو، حيث كانت أسعار السلع تختلف حسب توفرها. وكانت الكويت تستورد أيضاً أخشاب الساج اللازمة لبناء السفن من مدينة بومباي (ذكي، 2018).

فضلاً عن ذلك، طلبت حكومة بومباي من الكابتن هينيل، المقيم البريطاني في الخليج العربي، التوجه إلى الكويت لكتابة تقرير حول مدى صلاحيتها كقاعدة عسكرية لحماية مصالح حكومة الهند. جاء في تقريره أن سكان الكويت يمتلكون إحدى وثلاثين سفينة من نوع البقلة وبيتيل، ويتاجرون مع الهند، بالإضافة إلى خمسين سفينة صغيرة تُستخدم في التجارة الساحلية بالخليج العربي، وحوالي خمسة وثلاثين قارباً تعمل في الغوص على اللؤلؤ وصيد السمك (الشملا، 1975).

كما كتب كمبرول تقريراً آخر عن تجارة الكويت في عام 1845، حيث ذكر أن الكويت تُعتبر مدينة نموذجية للنجاح التجاري، ويوجد بها 31 سفينة من نوع البقلة و50 سفينة صغيرة تعمل في التجارة على سواحل الخليج العربي، بالإضافة إلى 350 قارباً مخصصاً لصيد اللؤلؤ (العجيلي، 2002).

في منتصف القرن التاسع عشر، أصبحت الكويت، بفضل حركتها التجارية المزدهرة، محط أنظار القوى الدولية، وخاصة بريطانيا. فقد رأى البريطانيون، لاسيما (سوذرلاند) والجنرال جزي (Chesney)، أن الكويت تمتلك ميناء استراتيجيًا مثاليًا لدعم مشروعهم لإنشاء سكة حديد تربط البحر المتوسط بالخليج العربي. في عام 1856، عرضت بريطانيا فرض حمايتها على الكويت مقابل تعويضات تجارية، إلا أن الشيخ جابر الصباح رفض هذا العرض، مؤكدًا على سيادة الكويت (سانجر، 1964).

النظم البيئية البحرية الكويتية

تحتوي النظم البيئية البحرية والساحلية في دولة الكويت على مجمل التراث الوطني من التنوع البيولوجي، و تتكون هذه النظم البيئية من العديد من المواطن المميزة التي تضم تجمعات متنوعة من الأنواع، والتي تشكل كثير منها أهمية اقتصادية وبيئية. ومن أهم مواطن التنوع البيولوجي المسطحات الطينية في منطقة المد والجزر والسبخات والاحوار و(قيعان المحار) والأعشاب البحرية والطحالب، والشعاب المرجانية وبيئات البحار المفتوحة. وتتوفر قاعدة جيدة نسبيا من المعلومات عن مجموعات الكائنات البحرية مثل أنواع الأسماك والهوائم البحرية، يبقى عدد كبير من مجموعات اللافقاريات والشعاب المرجانية وأنواع الحيوانات القاعية بحاجة إلى بحث ودراسة. و تم تسجيل أكثر من 250 نوعا من اللافقاريات ومن مناطق المد والجزر وحوالي 200 نوعا تقريبا من الهوائم الحيوانية والهوائم النباتية و105 نوعا من النباتات البحرية في المياه الكويتية، وهناك 240 نوعاً معروفاً من الأسماك منها 95 نوعا منها بالشعاب المرجانية، وللعديد من الكائنات البحرية مثل الروبيان وأسماك الهامور أهمية كبيرة للصيد التجاري والصيد الترفيهي. ففي عام 1860 بدأت تجارة الكويت تتوسع بشكل ملحوظ. واستمرت أنشطة صيد اللؤلؤ في الازدهار، خاصة مع تطور أدوات الصيد وأساليب التمييز في جودة اللؤلؤ. الكويتيون كانوا من أبرز الصيادين والملوك للسفن في الخليج (الحسين، 2005)، أما في عام 1861 اخذت السفن البريطانية بالتوغل داخل الخليج، العربي مما اثر في العلاقات بين الكويت وبريطانيا، وبدأت بتحقيق مصالح مشتركة، خاصة لحماية السفن التجارية الكويتية من الأخطار البحرية (كيللي، د.ت).

نشاط الصيد والتجارة 1862-1864

أصبحت التجارة البحرية الكويتية المصدر الرئيسي للاقتصاد الكويتي، ونتيجة لذلك وصلت صادرات الكويت إلى الهند وشرق أفريقيا وكافة مواني الخليج العربي، كما تنوعت الواردات الكويتية التي كانت تصل إلى الكويت من مختلف أنحاء العالم، كما ان صادرات الكويت اخذت تنوع ما بين المنتجات الحيوانية والزراعية والصناعية، فعلى الرغم من البيئة الصحراوية فإن تجار الكويت اعتمدوا على المنتجات المحلية والمنتجات القادمة من داخل الجزيرة العربية والفائض من المنتجات القادمة من مواني الهند وشرق أفريقيا والخليج العربي، وذلك من خلال إعادة التصدير، فكانت الكويت تصدر المنتجات الزراعية القادمة من البصرة وشبه الجزيرة العربية (القهيوي، 1960).

شهدت السنوات 1862-1864 تطورا ملحوظا في جانب الملاحة البحرية، ممت ساعد في تزايد تجارة اللؤلؤ، مع استخدام طرق جديدة للصيد، وإدخال أدوات محسنة. كانت السفن الصغيرة تستخدم بشكل رئيسي، وتخصصت في الرحلات القصيرة بين الكويت والملاذ التجاري في الهند (الحسين، 2005)، فضلا عن تحسين الموانئ، مما سهل عمليات الشحن والتفريغ، ورفع من كفاءة تجارة البحر (العوضي، 1995) (في عام 1865، شهدت المنطقة بعض التوترات بين القبائل المحلية، وازدادت التحديات أمام حركة السفن، خاصة مع بعض النزاعات التي حدثت بين القبائل أو مع القوى الإقليمية، ما دفع الكويت إلى تعزيز أمن موانئها وحماية أسطولها البحري (مراد، 1984).

وخلال هذه الفترة، زاد التعاون بين بريطانيا والكويت لضمان أمن السفن، لاسيما مع تزايد خطر قراصنة البحر وتهديدات القوى المنافسة في المنطقة العربية ونتيجة لذلك استثمر الكويتيون في بناء وتطوير الأسطول البحري المحلي، حيث زاد عدد سفنهم

البحرية ، لتعزيز النقل والتجارة، وبحلول عام 1866، زادت جهود القوى البريطانية لحماية مصالحها في المنطقة الخليجية وسعت لابرار اتفاقيات حماية مباشرة مع الكويت لضمان الملاحة البحرية التجارية، ما أدى إلى الاستقرار الأمني، وحينما استقرت الأوضاع السياسية بين الدولة العثمانية و بريطانيا عام 1883، انعكس ذلك على أمن الموانئ وتسهيل حركة التجارة البحرية. اذ تم بناء أول مرفئ حديث في الكويت ، وسمح للسفن الكبيرة بالدخول، تزايدت صادرات اللؤلؤ، التي جعلت للكويت مكانتها كمنافس قوي مع موانئ الخليج العربي الأخرى، لاسيما دبي والبحرين. وفي نهاية القرن التاسع عشر قام الكويتيون بشراء وامتلاك أساطيل بحرية كبيرة، ما بين (50 - 70) سفينة تجارية خصصت للتجارة مع الهند، وشرق أفريقيا، واليمن وغالبًا ما كانت تتوجه السفن إلى ميناء مومباي، مومباسا، وعدن، لتعزيز التبادل التجاري (كيلي، د.ت)

ان التجارة بصورة عامة أصبحت عمود الاقتصاد الكويتي، قبل اكتشاف النفط، ونظراً لأهميتها فقد حرص حكام الكويت على متابعتها، ووضع النظم والقوانين التي تنظم هذه التجارة، خاصة في عهد الشيخ مبارك الصباح (1896-1915)، ففي عهده انتعشت تجارة الكويت البحرية، وما يرتبط بها من أنشطة، وخاصة النقل البحري ، كما وقع الحاكم مبارك مع بريطانيا معاهدة عام 1899، بغية حماية السفن التجارية ، وتأمين مصالح الكويت وتعزيز حضورها البحري، مما اسهم في استقرار النشاط التجاري (الحسين، 2005) وقد حملت المعاهدة في طياتها طابع الحماية من التهديدات العثمانية والفارسية، فقد مثلت انفصلاً نهائياً عن التبعية الإدارية للعاصمة العثمانية إسطنبول، وأسست لنمط جديد من الحكم مرتبط بالحماية البريطانية، ومقيد في سياساته الخارجية، لكنه مستقل في إدارته الداخلية.

الملاحاة الكويتية والاحداث السياسية العالمية 1900-1913

من الصعب إجراء إحصاء لصادرات الكويت البحرية خلال المدة (1900-1914)، غير ان قيمة صادرات الكويت في عام 1905 بلغت مايقارب (1,154,322) روبية ، ومن أبرز الصادرات الكويتية إلى الهند الخيول العربية واللؤلؤ ، حتي بلغت أرباح أحد التجار الكويتيين من تصدير الخيول في عام 1906 إلى ما يقرب من (120,000) روبية (الصباح، 1958) ووصل حجم تجارة اللؤلؤ بين عامي (1905-1906) إلى ما يقرب من (1,300,047) روبية. (لوريمر ، 1975) وفي عام 1912 بلغت أرباح الكويت من اللؤلؤ ما يقرب من (6,000,000) روبية (العبد المغني، 1999) كما كانت الكويت تعيد تصدير المنتجات القادمة من الهند وشرق أفريقيا إلى مواني الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، وخاصة الشاي، والسكر، والأخشاب، والأسلحة، والذهب والعملات، والعديد من المنتجات التي كانت تحملها السفن القادمة إلى الكويت ، كما كانت هناك علاقات تجارية مع كل من السودان والصومال وزنجبار وعدن وجيبوتي وبربرة وإريتريا، لكنها لم تكن كبيرة فكانت السفن الكويتية تعيد تصدير التمور إلى تلك المناطق (اللوغاني، 2014) وفي عهد الشيخ مبارك احتلت الهند المرتبة الأولى من إجمالي صادرات الكويت، فبلغت صادرات الكويت إلى الهند في عام 1909 مايقارب حوالي (8,03,177) روبية، حيث جاءت إمارات الساحل العربي في المرتبة الثانية فبلغت قيمة صادراتها (2,72,751) روبية، بينما احتلت المناطق العربية التركية المرتبة الثالثة بقيمة (1,84,735) روبية، واحتلت فارس المرتبة الرابعة بقيمة (1,36,375) روبية من إجمالي صادرات الكويت وقد ظلت الهند تحتل المرتبة الأولى حتى نهاية عهد الشيخ مبارك على الرغم من تراجع الصادرات الكويتية بشكل عام بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918) ، فبلغت قيمة الصادرات الكويتية إلى الهند في عام 1915 (1,228,05) روبية ، بينما تراجع ترتيب الدول الأخرى بالنسبة للصادرات الكويتية إليها (الظفيري، 2024).

كانت البصرة بالنسبة للكويتيين تمثل العمق الاقتصادي والثقافي والمذهبي. ففي عام 1910 ازدهرت فيها تجارة اللؤلؤ إلى أقصى مداها ،توجهت رؤوس الأموال الكويتية إلى الاستثمار الكثيف في البصرة، حيث جرى شراء العقارات، وافتتاح المكاتب التجارية، وتأسيس روابط اقتصادية متينة مع التجار المحليين والموانئ الدولية. كما تُظهر الوثائق التجارية والوقفية على وجود كويتي كثيف في

أحياء البصرة، من الزبير إلى العشار، وارتباطاً وثيقاً بالأسواق، وحتى بالمدارس والمقامات الدينية. كما استقر عدد من الكويتيين وخاصة من عائلات التجار في البصرة، ما جعل الهوية الكويتية آنذاك متداخلة مع الهوية البصرية (القهوائي، 1960).
في عام 1913 عقدت بريطانيا مع الدولة العثمانية بروتوكول، اعترفت من خلاله بالكويت كـ"متصرفية مستقلة تحت إشراف عثماني اسمي" فقط. ورغم أن هذا البروتوكول لم يُصدّق بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى، إلا أنه حمل إشارات قانونية مبكرة إلى انفصال الكويت عن الإطار العثماني التقليدي.

على الرغم من تراجع الصادرات نتيجة لاندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، إلا أن الهند استمرت في تجارتها، وهي مركزاً مهماً للتجارة مع الكويت، حيث نشطت السفن الشراعية الكويتية في تصدير السلع والبضائع من وإلى الهند، وبقي النشاط البحري مستمراً، مع بعض التراجع في حجم أسطول الكويت بسبب المنافسة مع موانئ أخرى مثل دبي والدمام. فضلاً عن السعي لقرلة سير السفن الكويتية من قبل بعض القوى الإقليمية، ونتيجة لدعم بريطانيا وحمايتها للمصالح الكويتية لما استمرت عجلة الملاحة الكويتية في التقدم والازدهار (حوراني، 1958).

الخاتمة:

استفادت الكويت من موقعها الاستراتيجي على الساحل الغربي للخليج العربي، مما جعلها نقطة التقاء بين الشرق والغرب، حيث ساعدها الموقع في تسهيل تجارة السلع بين الدول لاسيما الهند، العراق، وبلاد فارس، ومن خلال هذه الدراسة يتضح أن للكويت دوراً واضحاً في بروز النشاط التجاري كما تميزت بمجموعة من الخصائص والمميزات التي جعلتها مركزاً تجارياً مهماً منذ القدم، إذ ارتبطت بها الخطوط التجارية المارة عبرها، فأصبحت على اتصال دائم وعلاقات واسعة وصلت إلى مناطق بعيدة من العالم لاسيما بريطانيا والهند، كما تضمنت التجارة الكويتية خلال القرن الثامن عشر عدداً من السلع المهمة، منها (التوابل الفلفل والزعفران)، التي كانت تُعتبر من السلع الثمينة، كذلك الأقمشة مثل الحرير والقطن، والتي كانت تُستورد وتُستخدم في صناعة الملابس، فضلاً عن الأسماك وهي تمثل جزءاً أساسياً من النظام الغذائي المحلي، أما اللؤلؤ فقد كان يعتبر من أفضل الأنشطة التجارية المهمة، حيث كانت الكويت تُعتبر مركزاً استراتيجياً في الخليج العربي يشتهر بصيد اللؤلؤ.

وقد أثبتت الدراسة أن التجارة البحرية تمثل العمود الفقري للاقتصاد الكويتي، حيث استخدمت السفن الكويتية في نقل البضائع والتجارة مع دول الجوار، وخاصة الأحمال الثقيلة والمسافات الطويلة، وبالمقابل تجلب ما تحتاج إليه المنطقة من بضائع نادرة في الخليج العربي، وهذا ما دفع سكانها إلى قيامهم بتصنيع وتطوير السفن، نظراً لحاجتهم إليها، فامتلكوا أعداد كبيرة وأنواعاً مختلفة حسب ما تقتضيه عملية المتاجرة، وأصبحت الكويت تبيع عدداً من السفن إلى المناطق والإمارات المجاورة لها، كما أوضحت الدراسة أن السياسة التي اتبعتها شيوخ الكويت، أثرت عن نتائج إيجابية في مسار التجارة البحرية، وذلك لارتباطها بعلاقات تجارية وثيقة مع الكثير من المناطق، وعلى الرغم من التحديات التي واجهت التجارة الكويتية وخاصة المسافات البعيدة بين المناطق التي ترتادها السفن الكويتية، غير أن التجارة أسهمت في تعزيز الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الكويت، وهذا أدى إلى ازدهار الأسواق وتنوع الحرف، كما أسهم التفاعل الثقافي مع التجار من مختلف البلدان في توسع الكويت في المجالات المختلفة مثل الحرف اليدوية والثقافات المتعددة.

الهوامش

- احمد ابو حاكمه. (1975). تاريخ الكويت الحديث والمعاصر. بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- احمد حسن الابراهيم. (1982). مدينة الكويت دراسة في جغرافية المدن. الكويت.
- انور معاشي مرزوق الظفيري. (2024). تجارة الكويت البحرية في عهد الشيخ مبارك الصباح 1896-1915. الكويت: مركز البحوث الكويتية.
- باسم اللوغاني. (2014). وثيقة لها تاريخ أكثر من نصف واردات الكويت قبل عام 1920 كانت من الهند تليها بريطانيا ثم إيران. الكويت: جريدة الجريدة الكويتية.
- برنامج الامم المتحدة للبيئة. (1995). unep.
- جورج فاضلو حوراني. (1958). العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واول القرون الوسطى. القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية.
- جون كيللي. (د.ت). بريطانيا والخليج العربي 1795-1870 (الإصدار 1). سلطنة عمان.
- حسام السيد ذكي. (2018). دولة الكويت وجمهورية الهند تاريخ من التعاون البناء. الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية.
- حسن الفهيد. (1987). النمو السكاني في الخليج العربي. بيروت: دار الفكر العربي.
- حسين خلف الشيخ خزعل. (1962). تاريخ الكويت السياسي (المجلد 1). الكويت.
- حسين محمد القهوائي. (1960). دور البصرة التجاري في الخليج العربي. بغداد.
- راشد الفرحان. (1960). مختصر تاريخ الكويت. القاهرة.
- راشد الفرحان. (1960). مختصر تاريخ الكويت. القاهرة.
- ريتشارد سانجر. (1964). صناعة السفن في الكويت. مجلة التراث الشعبي، صفحة 25.
- سالم سعدون المبادر. (1981). جزر الخليج العربي. بغداد.
- سيد نوفل. (1969). الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي. بيروت.
- سيف مرزوق الشملان. (1975). تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي (الإصدار 1). الكويت.
- صبري فالح الحمدي. (2005). الكويت نشؤها وتطورها 1750-1871. لندن: دار الحكمة.
- عبد العزيز الرشيد. (1981). تاريخ الكويت. الرياض: مكتبة المعارف.
- عبد العزيز حسين. (1960). المجتمع العربي بالكويت. القاهرة.
- عبد المالك خلف التميمي. (1998). البحوث في تاريخ الكويت. الكويت: دار قرطاس للنشر والتوزيع.
- فيصل عادل الوزان. (2019). اقتصاد الخليج العربي في ستينيات القرن التاسع عشر. الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية.
- قدري قلعي. (1965). الخليج العربي. بيروت.
- كوثر غضبان عبد الحسين. (2005). نشاط الكويت الملاحي 1775-1914. جامعة البصرة: كلية الاداب.
- كوثر غضبان عبد الحسين. (2005). نشاط الكويت الملاحي 1775-1914. رسالة ماجستير، 35-37. جامعة البصرة، العراق: كلية الاداب.
- محمد صالح ربيع العجيلي. (2002). مدن الموانئ العربية تحليل جيوسراتيجي. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

- محمد عبد الهادي جمال. (2003). الحرف والمهن والانشطة التجارية القديمة في الكويت. الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية.
- محمد عدنان مراد. (1984). صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي. دمشق.
- محمد متولي ومحمد ابو العلا. (1975). الموارد الاقتصادية. القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية.
- محمد متولي. (1970). حوض الخليج العربي. القاهرة.
- موسى غضبان الحاتم. (2001). التطور الاقتصادي في الكويت 1946-1973. مركز دراسات الخليج والجزيرة: الكويت.
- ميمونة خليفه الصباح. (1988). علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر. مجلة المؤرخ العربي، الصفحات 73-78.
- نجاة عبد القادر الجاسم وبدر الدين عباس. (1982). تاريخ صناعة السفن في الكويت وانشطتها المختلفة. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- نواف فلاح الحميدي. (2008). التطور الاقتصادي والاجتماعي في الكويت 1938-1975. اطروحة دكتوراه، 33-47. جامعة عين شمس، مصر: كلية الاداب.
- الهيئة العامة للبيئة . (1998). الاستراتيجية الوطنية للتنوع البيولوجي في دولة الكويت .
- يعقوب يوسف الحجري. (1993). الكويت التاريخ والموقع الجغرافي.
- يوسف بن عيسى القناعي. (1960). صفحات من تاريخ الكويت. الكويت.
- يوسف جعفر. (1992). الكويت قرنان ونصف من الاستقلال. القاهرة: دار الشرقية.

The references

- Ahmed Abu Hakama. (1975). The Modern and Contemporary History of Kuwait. Beirut: Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution.
- Ahmed Hassan Al-Ibrahim. (1982). The City of Kuwait: A Study in Urban Geography. Kuwait.
- Anwar Ma'ashi Marzouq Al-Dhafiri. (2024). The Maritime Trade of Kuwait during the Reign of Sheikh Mubarak Al-Sabah 1896-1915. Kuwait: Kuwait Research Center.
- Basem Al-Lughani. (2014). A Document of Historical Significance: More than Half of Kuwait's Imports Before 1920 Came from India, as per the United Nations Environment Programme (UNEP). (1995).
- George Fadlo Hourani. (1958). The Arabs and Navigation in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times. Cairo: Anglo-Egyptian Library.
- John Kelly. (n.d.). Britain and the Arabian Gulf 1795-1870 (Edition 1). Sultanate of Oman.
- Hosam Al-Sayed Zaki. (2018). The State of Kuwait and the Republic of India: A History of Constructive Cooperation. Kuwait: Kuwait Research and Studies Center.
- Hassan Al-Faheed. (1987). Population Growth in the

- Arabian Gulf. Beirut: Arab Thought House. Hussein Khalaf Al-Sheikh Khaz'al. (1962). The Political History of Kuwait (Volume 1). Kuwait.
- Hussein Mohammed Al-Qahawi. (1960). The Trade Role of Basra in the Arabian Gulf. Baghdad. Rashid Al-Farhan. (1960). A Summary of the History of Kuwait. Cairo. Rashid Al-Farhan. (1960). A Summary of the History of Kuwait. Cairo. Richard Singer. (1964). Shipbuilding in Kuwait. Folklore Magazine, page 25. Salem Sa'adoun Al-Mubadar. (1981). The Islands of the Arabian Gulf. Baghdad. Sayyid Nawfal. (1969). The Arabian Gulf or the Eastern Borders of the Arab Homeland. Beirut, itain, and then Iran. Kuwait: Al-Jarida Newspaper.
- Saif Marzouq Al-Shamlan. (1975). The History of Pearling Diving in Kuwait and the Arabian Gulf (1st Edition). Kuwait. Sabri Faleh Al-Hamdi. (2005). Kuwait: Its Emergence and Development 1750-1871. London: Dar Al-Hekma. Abdulaziz Al-Rashid. (1981). The History of Kuwait. Riyadh: Al-Ma'arif Library. Abdulaziz Hussein. (1960). The Arab Society in Kuwait. Cairo. Abdulmalik Khalaf Al-Tamimi. (1998). Research in the History of Kuwait. Kuwait: Dar Qurtas for Publishing and Distribution. Faisal Adel Al-Wazzan. (2019). The Economy of the Arabian Gulf in the 1860s. Kuwait: Kuwait Research and Studies Center. Qudri Qalaji. (1965). The Arabian Gulf. Beirut. Kawthar Ghaddban Abdul-Hussein. (2005). The Maritime Activity of Kuwait 1775-1914. University of Basra: Faculty of Arts. Kawthar Ghaddban Abdul-Hussein. (2005). The Maritime Activity of Kuwait 1775-1914. Master's Thesis, 35-37. University of Basra, Iraq: Faculty of Arts. Mohammed Saleh Rabee Al-Ajeeli. (2002). Arab Port Cities: A Geostrategic Analysis. Baghdad: Dar Al-Shou'un Al-Thaqafiya Al-Amma. Mohammed Abdulhadi Jamal. (2003). Crafts, Trades, and Old Commercial Activities in Kuwait. Kuwait: Kuwait Research and Studies Center.
- Mohammed Adnan Mourad. (1984). The Struggle of Powers in the Indian Ocean and the Arabian Gulf. Damascus. Mohammed Metwally and Mahmoud Abu Al-Ala. (1975). Economic Resources. Cairo: Anglo-Egyptian Library. Mohammed Metwally. (1970). The Gulf Basin. Cairo. Moussa Ghudban Al-Hatem. (2001). Economic Development in Kuwait

1946-1973. Gulf and Island Studies Center: Kuwait. Maimouna Khalifa Al-Sabah. (1988). Kuwait's Foreign Relations in the Eighteenth Century. Arab Historian Magazine, pages 73-78. Najah Abdul Qader Al-Jassim and Badr Al-Din Abbas. (1982). The History of Shipbuilding in Kuwait and Its Various Activities. Kuwait: Kuwait Foundation for the Advancement of Sciences. Nawaf Falah Al-Humaidi. (2008). Economic and Social Development in Kuwait 1938-1975. Doctoral Thesis, 33-47. Ain Shams University, Egypt: Faculty of Arts. Public Authority for the Environment. (1998). The National Strategy for Biological Diversity in the State of Kuwait. Yaqoub Youssef Al-Haji. (1993). Kuwait: History and Geographic Location. Youssef bin Issa Al-Qanai. (1960). Pages from the History of Kuwait. Kuwait. Youssef Jafar. (1992). Kuwait: Two and a Half Centuries of Independence. Cairo: Eastern Publishing House.

مفهوم الهوية وتجلياته في الفيلم السينمائي المعاصر

م.د. حسام الدين محمد عبد المنعم

تخصص: فنون سينمائية وتلفزيونية

جامعة بغداد

hussam@cois.uobaghdad.edu.iq

+9647704332454

ملخص البحث

أقترن مفهوم الهوية بالمجتمع بما يتصف به من صفات ضمن معطيات الزمان والمكان، وهي تحتكم لقانون الحركة والتغير الذي تتعرض له المجتمعات الانسانية وايضا الكائنات والمخلوقات الموجودة على الارض، والهوية شكل من اشكال الفهم التي تعبر عن وعي وحياة مجتمع يتمتع بقدرات فكرية معينة.

مما اتاح للفكر الانساني التماهي مع معطيات متنوعة من الثقافات الانسانية، التي جعلت من الانفتاح المعرفي صفة اساسية لكل توجهات الفكر الانساني، ولم يكن هذا التواشج سهل ويسير أو في متناول اليد، فلا بد من وجود مقاومة لكل ما هو جديد غير متعارف عليه، وايضا يجب ان يكون هناك استعداد فكري لكل مجتمع لتقبل الحداثة المعرفية. من هذا المنطلق يطرح الباحث عنوان بحثه (مفهوم الهوية وتجلياته في الفيلم السينمائي المعاصر). وقد اشتمل البحث على:

الفصل الاول (الإطار المنهجي)

مشكلة البحث: ما مفهوم الهوية وأبرز تجلياته في الخطاب السينمائي المعاصر؟

أهمية البحث: الكشف عن مرجعيات مفهوم الهوية وابعاده الجمالية عن طريق تجلياته في الخطاب السينمائي المعاصر، وهو مايفيد الباحثين الدارسين في مجال علم الجمال السينمائي.

حدود البحث: لقد تحدد البحث باعتماد عينة قصدية تمثلت بتحليل الهوية في الفيلم العربي (الآخر) من انتاج عام 1999 وإخراج: يوسف شاهين.

هدف البحث: التعرف الى مفهوم الهوية وأبرز ملامحه في الخطاب السينمائي المعاصر.

تحديد المصطلحات:

- الهوية: يمكن تعريف الهوية بمفهومها العام (هي مجموعة من الخصائص التي يمكن للفرد عن طريقها ان يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي تنتمي اليها والتي تميزه عن الافراد المنتمين للجماعات الاخرى). (د. ابراهيم ابراش-2020).
- الهوية الثقافية هي ذلك (التفرد الثقافي، بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وقيم ونظرة إلى الكون والحياة). (جلال امين، 1998)
- الهوية الثقافية هي (ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بحويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء). (محمد الجابري، 1998)

- ويمكن تعريف الهوية الثقافية حسب منظمة اليونسكو (تعني أولاً وقبل كل شيء بأننا أفراد ننتهي إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك أيضاً الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليد عاداتها وأسلوب حياتها وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي نظهر فيها أنفسنا في ذات كلية) (حمدي المحروقي، 2004).

أما الفصل الثاني فقد تناول (الإطار النظري) وكانت مباحثه كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم الهوية مرجعياته واشتغالاته

المبحث الثاني: تحليلات الهوية في الفيلم السينمائي المعاصر.

أما الفصل الثالث فقد تحدت (بإجراءات البحث) ومنهج وأسباب اختيار العينة القصصية.

والفصل الرابع اشتمل على نتائج واستنتاجات ومقترحات وتوصيات البحث ومن بعدها المصادر وملخص البحث باللغة

الانكليزية.

مشكلة البحث

إن الثقافة هي نتاج صراع الإنسان مع بيئته والتعامل معها باستخدام العقل في التغلب على ما يواجهه من صعوبات في محيطه باستخدام اللغة والرموز، وبالتالي تتطور ثقافة المجتمع وفق هذا المفهوم في التعامل المنظم مع الأمور الحياتية وتطويرها، فضلاً عن التواصل مع المجتمعات الأخرى الأمر الذي يساهم في نمو وتطور الثقافات لأن العوامل المؤثرة على الثقافة تتعدد وتتنوع بتعدد وتنوع البشر أنفسهم، كما يرى إليوت (أن الدين والتقسيم الطبقي للمجتمع من أهم مكونات الثقافة، على ألا يكون ذلك مرسوماً أو مفروضاً من سلطة مطلقة، بل على قاعدة الاعتراف بأن هذه المكونات طبيعية). (ريتا فرج، 2014)

برزت تلك الجدلية في تقبل أو رفض هذا التلاقح بين الثقافات والتواصل، خوفاً من أن يؤدي إلى محو هوية مجتمع وإحلال آخر، وبالتالي انغلقت على نفسها ورفض كل ما هو جديد لكونه تهديد يساهم في محو هويتها، والتساؤل هل هذا الانفتاح يؤدي إلى محو هوية المجتمع؟، إذ كان هذا التساؤل استدراك لما هو حاصل في بنية المجتمع، فالبعض يرى أن الانفتاح يعطي فرصة (إيجابية) في تطويره مجتمعهم، ويرى الآخر أن هذا الانفتاح هو (سليبي)، لأنه يؤدي إلى إلغاء تلك الثقافة والهوية التي تميزه عن باقي المجتمعات.

يتضح لنا إن العلاقة بين الأنا والآخر هي علاقة واعية، فلو اكتفت الأنا بعرض الآخر دون أن تتفاعل معه سترتد الثقافة إلى تراثها الحضاري وبالتالي تنقسم الثقافة إلى قسمين، إلى قسم وافد لا يتفاعل مع الموروث وإلى قسم موروث لا يتفاعل مع الوافد وقد يحدث صراع بين التيارين (الأنا والآخر) على السلطة لأن التيارات الفكرية في بلادنا أغلبها تمثل تيارات سياسية واجتماعية وبالتالي تضيق الثقافة.

مما تقدم يظهر لنا جليا التقارب والارتباط الواضح بين الهوية والثقافة باعتبارها روح الهوية، فالهوية الثقافية تتشكل مما يحمل المجتمع من قيم وأفكار وحضارة، وبما أن مفهوم الهوية الثقافية يشمل مساحة واسعة من مفهوم الهوية الجماعية.

لذا فقد تمثلت مشكلة البحث بالتساؤل التالي:

ما هو مفهوم الهوية وأبرز تحليلاته في الخطاب السينمائي المعاصر؟

The Concept of Identity and Its Manifestations in Contemporary Cinema

Assistant Professor Hossam El-Din Mohamed Abdel Moneim

Specialization: Cinema and Television Arts

University of Baghdad

Abstract

The concept of identity has been associated with society through its characteristics within the givens of time and place. It is subject to the law of movement and change that human societies, as well as living beings and creatures on earth, undergo. Identity is a form of understanding that expresses the awareness and life of a society endowed with certain intellectual capacities.

This has allowed human thought to align with various manifestations of human cultures, making epistemological openness a fundamental feature of all orientations of human thought. However, such intertwinement was neither simple nor easily attainable. Resistance is inevitable toward anything new and unfamiliar, and at the same time, there must be intellectual preparedness within every society to embrace epistemological modernity.

From this standpoint, the researcher proposes the title of his study:

“The Concept of Identity and Its Manifestations in Contemporary Cinema”.

The research includes:

Chapter One: Methodological Framework

- Research Problem: What is the concept of identity and its most prominent manifestations in contemporary cinematic discourse?
- Significance of the Research: To uncover the references of the concept of identity and its aesthetic dimensions through its manifestations in contemporary cinematic discourse. This contributes to the work of scholars specializing in the field of cinematic aesthetics.
- Research Limits: The study is delimited by adopting a purposive sample represented in analyzing identity in the Arab film *The Other* (1999), directed by Youssef Chahine.
- Research Objective: To identify the concept of identity and its most salient features in contemporary cinematic discourse.

Definition of Terms:

- Identity: In its general sense, identity can be defined as “a set of characteristics through which an individual can recognize themselves in relation to the social group to which they belong, and which distinguishes them from individuals belonging to other groups” (Ibrahim Abrash, 2020).
- Cultural Identity: It is “cultural distinctiveness, encompassing all that culture entails of customs, behavioral patterns, values, and a worldview toward life and the universe” (Galal Amin, 1998).

- Cultural Identity: It is “that homogeneous composite of memories, perceptions, values, symbols, expressions, creativity, and aspirations that preserve for a human community—forming a nation or equivalent—its civilizational identity, within the framework of the transformations it undergoes through its internal dynamics and its capacity for communication, exchange, and reciprocity” (Mohammed Abed Al-Jabri, 1998).
- According to UNESCO, cultural identity “first and foremost means that we are individuals belonging to a linguistic community—local, regional, or national—with its own moral and aesthetic values that distinguish it. It also includes the way in which we assimilate the history, traditions, customs, lifestyle of the community, and our sense of subjecting ourselves to it, participating in it, or shaping a common destiny from it. It also means the manner in which we present ourselves as part of an integrated whole” (Hamdi Al-Mahrouqi, 2004).

Chapter Two: Theoretical Framework

- Section One: The concept of identity, its references, and applications.
- Section Two: Manifestations of identity in contemporary cinema.

Chapter Three: Research Procedures

This chapter addressed the methodology of the study and the reasons behind selecting the purposive sample.

Chapter Four: Results, Conclusions, Suggestions, and Recommendations

Followed by the references and an abstract in English.

المبحث الاول

مفهوم الهوية مرجعياته وإشتغالاته

لقد شكل مفهوم البحث عن الهوية هاجسا في الوعي الانساني، فقد أثارت جدلا ونقاشا واسعا بين المقاربات الفكرية لمفهوم الهوية، مفهوم الهوية اشكالي، إذ تتداخل ابعادها بشكل شائك فيما بينها وتتصل بالحقول الفلسفية والسياسية والمعرفية والتاريخية، فضلا عن اللغة والدين والتراث والايديولوجيا كعوامل تتفاعل فيما بينها لانتاج الهوية.

ان مفهوم الهوية اتخذ أشكال من الثبات النسبي المخالف للتغيير وهو أحد مبادئه الثلاث، إذ أن (مبدأ الهوية هو المثل الأعلى للحكم التحليلي،.... أن يكون الموجود في الحقيقة هو عين ذاته، فلا يتغير ويختلط به غيره، ولا يصدق في الحقيقة إلا على الموجود المثالي الذي يتجه اليه العقل، دون التمكن من تحقيقه تحقيقا كاملا)(جميل صليبا، 1973)، فالهوية هي قيمة عليا وهي مقياس كل شيء في الوجود.

ان توظيف مفهوم الهوية بمضمون فكري مختلف يحدد معنى من المعاني التي حُدد بها المفهوم تبعا للتخصص والمرجعية الفكرية والمنهج الذي ينطلق منه الباحث في دراسته.

الدراسات الحديثة ربطت مفهوم الهوية بالجماعة، لأن الانسان كائن حي لا يمكن النظر اليه أو دراسته بمعزل عن محيطه أو بيئته (ان الهوية تنسب الى الافراد إلا أنها ترتبط بالجموعات الاجتماعية التي ينتسب اليها الافراد ويُصنفوا على ضوءها). (هارلبوس، 2010)

اذ تعد هذه الخصائص الجمعية محصلة التاريخ والإرث الثقافي ضمن بنية مجتمع يمتلك الوعي بالانتماء للجماعة ضمن أُسس ومقومات هي القيم والعادات والتقاليد وغيرها من العناصر التي تنتقل بالوراثة ضمن الجماعة. هذا المفهوم يجعلنا ننهج المنطلق الايديولوجي لكونه الاسلوب الأمثل في توجيه الجماعة ولتطابق مفهومي الهوية والثقافة التي سوف يتطرق اليها الباحث لاحقا..

ولعل القراءة المفاهيمية لتأملات القراءة تتجلى من التأمل الاغريقي من (هيرقليطس) إذ وصف إن (جوهر الهوية في صراع الأضداد واللوغوس هو القانون الذي يسير عليه الوجود) وهو لا يفرق بين الذات العارفة والموضوع المدرك. كانت البداية المنهجية الأولى عند سقراط في البحث المعرفي عن النفس ومكانتها وطرائق معرفتها وكيثونة الفرد للوصول الى الحكمة، (وأصبح العلم عند سقراط هو العلم بالنفس لأجل تقويمها مؤكدا شعار "أعرف نفسك بنفسك"). (أ.د. عامر الوائلي ومجموعة مؤلفين، 2014)

أما افلاطون فقد كانت الهوية لديه مثالية والافكار خالدة والصور متغيرة، وقد تجلّى ذلك في معالجته لمسألة الذات والغير والصدام بينهما، إذ يميز بين هويتان؛ هوية الواحد وهوية الآخر، ويرى أن (الديالكتيك بين الهوية والاختلاف، إنما ينبثق من ذاتية الوجود، أي وجود، ومن اختلافه عن غيره، عن أي صنف من أصناف الوجود، ولا محال لنفي أحدهما لصالح الآخر، فالذاتية تفترض الغيرية، والهوية تفترض الاختلاف)(النشار، 2016).

إن الفلسفة اليونانية اهتمت بالوجود بصفة عامة وغياب الآخر فيها وهو ماتمظهر في فلسفة (ارسطو) الذي يتحدث عن مفهوم الشيء وآخره، والشيء ونقيضه، فكل شيء مطابق لنفسه (هو هو) وغيره ما ليس هو، وهنا يؤكد على استحالة وجود الشيء ونقيضه في آن واحد وفي نفس السياق.

الفلسفة الاسلامية كان لها دور في تناول الهوية كذلك، إذ يعرف الفارابي الهوية بقوله: (هوية الشيء وعينته، وتشخصه وخصوصيته، ووجوده المنفرد له... وقلنا إنه هو إشارة إلى هويته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك، الحد المفهومي، يترجم على أنه التهوي)(اللاوي، 2012)، وفي مقابل لفظة (هو) جعلوا المصدر منه (هوية)، ومن أمثلة ذلك

الإنسانية من الإنسان، والرجولية من الرجل، كناية على (الهوية) من لفظة (هو)، والبعض الآخر قد وضعوا لفظ (الهو)، في مقابل (الموجود)، وانتهوا في نهاية المطاف إلى جعل (الهوية) في مكان لفظة (الوجود)، حيث نجده يقول (الموجود مكان هو، والوجود مكان الهوية) (الفارابي، د.ت).

أما في الفلسفة الحديثة فكان المبدأ الديكارتي الشهير "أنا أفكر، إذن أنا موجود" فهو الكوجيتو، وهو حقيقة يقينية انطلق منها ديكارت كأول حقيقة مطلقة في فلسفته، مؤكداً وجود ذاتٍ مفكرة لا تقبل الشك. يبني هذا المبدأ على الشك المنهجي كوسيلة للوصول إلى المعرفة اليقينية، حيث أن الشك في كل شيء لا ينفي حقيقة وجود الذات الشاكة والمفكرة، إذن فـ (الأنا) تتمتع عند ديكارت بهوية ثابتة رغم هذا التعدد.

إذ تمتلك "الأنا" لدى ديكارت هوية ثابتة تقوم على جوهرها كـ "شيء مُفَكِّر"، وأن تعدد أفعال الفكر (الشك، الإثبات، النفي، التصور، التخيل) لا يُضعف هذه الهوية بل يبرزها، حيث أن كل هذه الأفعال هي تجليات مختلفة لنفس الذات المفكرة الواحدة والثابتة.

كما يؤكد جون لوك أن الوعي هو أساس تشكل الهوية الشخصية بالإضافة إلى الذاكرة والاحساس بالاستمرارية لمجمل الخبرات المتراكمة من الماضي والحاضر.

أما شوبنهاور فيربط الهوية بارادة الانسان ويعتبرها الثابت الوحيد الذي يشكل أساس الهوية، والفيلسوف نيتشه صاحب الفلسفة التجريبية (يؤكد على العلاقة بين الاستقلالية والتنظيم الذاتي الديناميكي واهتمامه بالتشكيل الذاتي والتعليم المتبادل لكونها عملية تشمل العالم الانساني والعضوي) (بو دومة، 2023).

بينما نجد رالف لينتون يعتبر (ان الهوية الشخصية تتحدد انطلاقاً من النظام القيمي والاخلاقي، ومن النموذج الثقافي للمجتمع) وهو بذلك يربط مفهوم الهوية بالواقع الاجتماعي وانظمته الاخلاقية والثقافية وغيرها.

وهنا ينبثق مستوى من مستويات الهوية يتمثل في اقترانه بالثقافة اذ يمكن عد الثقافة انها (تعبر عن كلية حياة الانسان الاجتماعية وتتمايز بابعادها الاجتماعية، فالثقافة في نهاية الامر تُكتسب ولا تورث بايولوجيا) (دنيس كوش، 2007). ان (الثقافة تتمتع بفضيلة السماح بالاختلاف، مسلمةً بتنوع القيم الثقافية وممارساتها) (كاثرين بيلسي، 2017)، إذ تُشكّل الهوية عبر الاختلاف، فهي لا توجد بذاتها بل من خلال ما يميزها عما ليس هي. ومن ثم فإن كل هوية تحمل في طياتها أثراً للآخر، ولا يمكن أن تكون نقية أو مكتفية بذاتها. إن عملية التمثيل الثقافي تكشف دوماً عن هذا الاعتماد على الاختلاف في بناء الهوية، لأن الآخر هو الطرف الأهم في تحقيق الهوية.

ان التنوع الثقافي هو السبيل الأمثل للخروج من مفاهيم العولمة والأصوليات المناقضة لها، والذي أصبح من الحتمي على المثقفين في العالم العربي تحديداً، إعادة طرح الأسئلة الجذرية عن الهوية الثقافية، والغزو الثقافي، والاستشراق، والاستغراب، ومفهوم الثقافة الوطنية.

وهذا ما اتاح للفكر الانساني التماهي مع معطيات متنوعة من الثقافات الانسانية، التي أدت الى الانفتاح المعرفي لكل مسارات الفكر الانساني، ولم يكن هذا التناهد سهلاً ويسيراً، إذ لابد من وجود مقاومة لكل ما هو جديد غير متعارف عليه، وايضا يجب ان يكون هناك تأهيل فكري لكل مجتمع لتقبل حداثة المعرفة.

وتقسم الهوية حسب الاشتغال الى ثلاث مستويات (الفردية الوطنية، القومية، الجمعية)، وفي محور دراستنا يتم التركيز على الهوية الجمعية (الهوية الجماعية هي شعور الفرد بالانتماء الى جماعة او جماعات معينة) (د. ابراهيم ابراش، 2020).

أما الهوية الفردية فتتعدد صورها بين الشعور بالوطنية والانتماء والتطرف وهو ما أكدته المفكر محمد عابد الجابري الذي يبرز البعد الديناميكي للهوية قائلاً (الهوية وجود وماهية. وفي المجال البشري، مجال الحياة الاجتماعية على الأقل، الوجود سابق للماهية دوماً، الشيء الذي يعني أن الماهية ليست معطى نهائياً بل هي شيء يتشكل) (محمد الجابري، 2012).

كما أبرز الجابري أهمية (الآخر) في تشكل الهوية وتحديد معالمها متسائلاً: (وهل الهوية شيء آخر غير رد الفعل ضد (الآخر) ونزوع حالم لتأكيد (الأنا) بصورة أقوى وأرحب؟) (محمد الجابري، 2012).

فالهوية (سواء الفردية أو الجماعية) لا يمكن تحديد معالمها إلا ضمن العلاقة مع الآخر، وهذا ما ينتج تلك الحركية المزدوجة التي تتميز الهوية والمتمثلة في سيرورة التماثل والتمايز.

أما الهوية الجماعية فقد اتخذت عدة صيغ منها (الثقافية، الاثنية، الدينية، الوطنية) حسب تقسيم الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية بشكل عام في تناولها لموضوعات الهوية على الأبعاد الجماعية للبناء الهوياتي وقد تمثلت صورها في الاعراف والمعتقد الديني والوعي القبلي، لذا فقد ركزت دراستنا البحثية على الهوية الثقافية عن بقية الصيغ الأخرى للهوية الجماعية لشموليتها، إذ أنها تضم مجموعة من العناصر السوشيو ثقافية وكل كائن يمتلك ثقافته الخاصة التي يتشارك بها مع الافراد الآخرين مثل مجموعة من الرموز والسلوكات والمعايير والعادات والبنى التنظيمية التي تميزهم عن الجماعات الثقافية الأخرى.

خلاصة القول ان الهوية الثقافية تتشكل وفق معطيات وسياقات تتغير، وعلى الهوية نفسها ان تجدد عناصرها للبقاء في حيز هذا الكوكب وفضاؤه.

فنجد إدوارد سعيد يشير إلى مفهوم المهجنة قائلاً (إن مبدأ الهوية مبدأ سكوني أساساً، يشكل لباب الفكر الثقافي في خلال العهد الإمبريالي. وبنبغي أن نسلم -مثلاً بأن الهوية الأمريكية، من حيث هي مجتمع من الهجرات الاستيطانية هي هوية متنوعة إلى درجة يستحيل معها أن تكون شيئاً موحداً متجانساً.) (د. الشيماء مكرم، 2023).

يضيف سعيد - أن جميع الثقافات، جزئياً.... منشبكة إحداها في الأخريات، ليست بينها ثقافة منفردة ونقية محض، بل كلها مهجنة مولدة، مختلطة، متميزة إلى درجة فائقة وغير واحدة وحسب رؤية إدوارد سعيد فإن التهجين، يولد الغنى والثراء الثقافي. وبذلك يؤمن سعيد (بالتعددية الثقافية) ويؤكد بأنها الخطوة الأولى في طريق الاندماج في عالمية انسانية لا حدود لها.

المبحث الثاني

تحليلات الهوية في الفيلم السينمائي المعاصر

الهوية شكل من اشكال الفهم التي تعبر عن وعي وحياة المجتمع الفكري والثقافي، وبما يتيح للانفتاح المعرفي على معطيات متنوعة من الثقافات الانسانية، ولم تكن مسألة تقبل الحداثة المعرفية بالأمر اليسير في تقبل أو رفض هذا التلاقح الفكري بين الثقافات والتماهي معها، وكان الخطاب السينمائي أبرز الطروحات الفلسفية التي عبرت عن ايولوجية كل فئة مجتمعية بين الشرق والغرب.

ويُعد الخطاب السينمائي أحد وسائل التعبير عن ثقافة المجتمع، ضمن نظريات واتجاهات متعددة من الطروحات، عبر ايديولوجية كل فئة مجتمعية، برزت طروحات قد غايرت تلك المفاهيم السابقة، وبرزت الى السطح الفلسفي للمجتمع الانساني عبر تداخل كل الأيولوجيات، واصبحت تلك المسافات الشاسعة بالفكر في متناول اليد، وقد انتفت مسألة البعد، والفروق المتباينة بين الشرق والغرب.

إن بدايات السينما كفن جماهيري كانت تعتمد في خطابها التعبيري على اللغة الأحادية في عرض الصورة الفيلمية (أن البعد التداولي المتعارف عليه، والمقصود ليس مستقرًا بطبيعته المتغيرة لتغير أنماط العيش والثقافات. ولهذا السبب يبقى التركيب أو المونتاج

الوسيلة الأفضل لضمان منطق الوحدة العضوية داخل السياق السردي الكلاسيكي؛ ليقدم المعاني الاجتماعية والسياسية والثقافية (الجوهري، 2016).

عليه فقد اعتمد الباحث الانواع الفيلمية الرئيسة التي تتوافق ومنطلقات البحث الحالي في دراسة مديات العلاقة مع تطور مفهوم الهوية ومستوياتها في السينما المعاصرة منها:

1- نوع الفيلم الاجتماعي:

ينحصر ضمن حدود المجتمع والشخصيات وصراعاتها سواء الذاتية او مع المجتمع، فالنصوص السينمائية المعتمدة المعتمدة او عملية التأليف للسيناريو تعتمد الواقع بكل تفاصيله وتحاول اثاره فضول المتلقي لمعرفة النهايات التي غالبا ما تقترب من الواقع مع سيادة القيم والاخلاق، وبثها عن طريق اثاره جملة من الاحداث المتداخلة، لاسيما الصراع الذي تقع الشخصيات الرئيسية تحت طائلته، وهو ما يدفع المتلقي الى متابعتها لمعرفة النهايات، ف(حب الإستطلاع يستثار في الأعمال الروائية من خلال خلق التوقعات والإحباطات، ثم تُصرف أو تُشبع هذه الحالات بطرائق مثيرة للدهشة وغير عادية) (شاكر عبد الحميد، 2001). اذ يقوم الفيلم بشد المتلقي من خلال إستثارة عقله وعواطفه، فالسلوك لدى الإنسان عند مشاهدته للفيلم يختلف عن سلوكه في الحياة اليومية لكونه مقيد ضمن حدود الكرسي الذي يجلس عليه ويشغل عقله مع الجانب العاطفي الذي يؤثر عليه إيقاع البناء السينمائي للفيلم، بينما الجانب العقلي يحتكم على تحليلات صورية بالمقارنة مع الخزين الصوري، وهذا الإشتغال المزدوج بين الجانب العقلي والعاطفي هو مصدر قدرتنا على التحكم بشخصية المشاهد وبناء توقعاته، ف(هناك خاصيتان تحكم ظواهر الاندماج في السينما، الخاصة الواقعية للصورة واستعداد المتفرج للإستيعاب التي تجعله آمناً والحرية المطلقة للمساهمة الكاملة والتفاعل مع الفيلم) (مارسيل مارتان، 2009).

2- نوع الفيلم السياسي

لقد تجلّت التأثيرات السياسية في السينما بشكل واضح من خلال مناقشة السينما للسياسة بكل جوانبها وزواياها متمثلة في طرح جدلية الفرد والسلطة تارة وأزمة المثقف أزاء تأثيرات السلطة والمجتمع تارة أخرى، لأن ما يميز الفيلم السياسي انه يعتمد على الموضوعات المتناولة والقضايا المعالجة، لمفهوم الهوية الفردية والجمعية بإزاء صراعاتها مع السلطة السياسية عن طريق تاطيرها الشكل الخارجي بصور متعددة تتمثل أحيانا في صراع الطبقات والأزمات الاقتصادية او الصراع بوجه الاستعمار والمستعمر بصفته هوية انعكاسية للآخر الذي يبيت ثقافته في نسيج المجتمع، أو طريقة الطرح كما في الأنواع الفيلمية الأخرى، وقد نجد إن معالجات الأفلام السياسية لأي موضوع قد يتبلور بعدة أشكال والغرض الأساسي منها هو اختيار أفضل طريقة لتقديم الفكرة. وقد يمثل الصراع بين السلطة والشخصيات في الفيلم السياسي المعادل الموضوعي التي تنعكس فيها مجمل التحولات السياسية والاجتماعية داخل الحدث الفيلمي، فالشخصية هي المحرك الرئيسي للأحداث وهي التي تبث الدافعية لبقية الشخصيات بالتبلور وانضاج الحبكة تماشياً مع ما ينشده الفكر السياسي بأن الفرد والمجتمع هو مركزه وهدفه الرئيسي.

3- نوع الفيلم التاريخي

إن الفيلم التاريخي يتناول الحدث الواقعي وفق بناء كلاسيكي كي يقنع المشاهد بالحدث وغالباً يكون البناء وفق حادثة تاريخية لإقناع الناس بالحدث، وتكون الشخصيات من الواقع لا تمتلك أي قوى خارقة وتبنى بشكل درامي، فالدراما التاريخية هي (القطعة الدرامية التي تتخذ مادتها من التاريخ، ويمكننا القول ماساة تاريخية أو ملهامة تاريخية) (ابراهيم حمادة، 1971)، حيث إن مستوى الصراع وفق مبدأ صراع الإرادات) بشر مع بشر وكتل مع كتل، ومن الأمثلة، فيلم (الرسالة) للمخرج (مصطفى العقاد) والذي يجسد مرحلة من أهم المراحل التاريخية في تاريخ العرب المسلمين، وهناك فيلم (المسألة الكبرى) (وشخصية) (الشيخ ضاري) ومقارنته للإنكليز المحتلين، وفيلم (عمر المختار) في كفاحه ضد العدو الإيطالي لغرض تحرير ليبيا، إذ أن النوع الفيلمي يختلف عن غيره

باستخدام عناصر التعبير وطبيعة التوظيف التقني، إن الأفلام ذات الموضوعات التاريخية والملحمية المصورة في فضاءات واسعة أغلبها بلقطات عامة رغم الحركة الواسعة التي تنطوي تحتها ومن هنا الحركة بطيئة وساكنة، ولذلك يميل الكثير من المخرجين إلى استخدام وسائل مختلفة لتدعيم الحدث.

تطورت اللغة السينمائية متزامنة مع تطور العلوم والمجتمعات والوسائل التقنية المستخدمة ونتج عنه تطور في وسيلة التعبير ولغة السرد، وبرزت مدارس سينمائية كثيرة ومخرجين تميزوا بأساليب إخراجية جديدة في التعامل مع الموضوعات المتنوعة التي تناولتها السينما في خطابها التعبيري، وكان للسينما العربية نصيباً منها في بروز مخرجين تعاملوا مع القضايا التي كانت محاور أساسية تتطلب قراءة ودراسة للوقوف على أبرز متغيراتها ومنهم المخرج العربي المصري (يوسف شاهين) والذي شكلت أفلامه ما بين 1977-1992 الاتجاه الواقعي الاجتماعي الجديد للسينما المصرية، فقد عالج في فيلمه (اسكندرية ليه) 1978 قضية الاختلافات الدينية والعرقية في المجتمعات العربية من خلال قراءة للتاريخ المصري والعربي وفي إشارة إلى عدم التجانس في الثقافة العربية لتحديد مفهوم هوية واضحة المعالم.

إن ارتباط شاهين بمدينة الاسكندرية وربط ثلاثيته بها مثل فيلم (وداعاً بونايرت) لكون مدينته الاسكندرية مشهورة بتعدد أطيافها وتنوع ثقافتها وكانت محطة لغزاة التاريخ مثل حملة نابليون والاحتلال الفرنسي والعدوان الثلاثي على مصر. كانت أغلب أفلامه تبحث عن الذات في الآخر كما في فلميه (حدوته مصرية وعودة الإبن الضال)، حيث تُظهر الأفلام السينمائية المعاصرة عمق أزمة الذات والمواطن في عالمنا اليوم عن طريق تصوير شخصيات وهي تعاني الاغتراب، وتحديات الانتماء، مما يؤدي بها إلى ضياع الهوية إذ تقدم السينما رؤية قيمة حول التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تؤثر على الأفراد والمجتمعات. إن فهم هذه الأزمة من خلال عدسة الكاميرا يمكن أن يساعدنا على معالجة هذه القضايا بشكل أكثر فعالية في الواقع.

الفصل الثالث

إجراءات البحث

منهج البحث

اعتمد الباحث المنهج الوصفي في تحليل عينة الفيلم

مجتمع البحث

اعتمد الباحث الأفلام العربية المعاصرة التي تناولت موضوع الهوية بوصفها مجتمعا لبحثه.

عينة البحث وسبب اختيارها

اعتمد الباحث في اختيار عينة بحثه على الطريقة القصدية المنتخبة، حيث اختار فيلم (الآخر) بوصفه عينة ممثلة لمجتمع البحث.

أداة البحث

اعتمد الباحث أداة بحثه

1- المشاهدة الفيديوية للفيلم

2- البحوث والدراسات التي تناولت الفيلم

3- المقابلات الصحفية مع المخرج ومثلي الفيلم

أداة التحليل

- 1- يتمثل تشكيل الهوية بوصفها عملية اشتغالية بين التصور للآخر والذات على حد سواء وكيفية معالجته الدرامية والسينمائية على مستوى الشخصيات والحدث والرؤية بين أوجه الصراع ماضيا حاضرا ومستقبلا.

- 2- تتمثل جدليات مفهوم الهوية بوصفة عملية استقرائية لحركية العلاقة بين الذات والمجتمع من جهة ومجمل تاريخه ومرجعياته من جهة أخرى وهو ما يتمثل في تعدد أشكال الهوية بين الثقافيه والجمعيه والفرديه وانعكاساتها في الفيلم السينمائي بانواعه الرئيسة.
- 3- يتمثل الاشتغال السينمائي لمفهوم الهوية بوصفه علاقه تواصلية وتبادلية على المستوى الدرامي والتقني الذي يتمثل برسم الشخصيات وعلاقاتها مع بعضها البعض والتنقل بين العوالم الدرامية التي تمثل كل منها هوية وانتماء مختلف وهو ما يعكس البعد العلائقي للهوية وعلاقتها مع النوع الفيلمي والسينما على وجه الخصوص.
- 4- إن عملية الاشتغال الدرامي على مفاهيم تداولية مثل مفهوم الهوية الذي يمتاز بحركيته المستمرة واختلافه التطبيقي والاجرائى بين مجتمع وآخر وحقل ابداعيا واخر يؤكد عملي التعدد والتنوع في عوالم البيئة الدرامية والتنقل بينها بهدف ايضاح الفعل السلوكي لافرادها وجدليات التأثير والتاثر فيما بينها وهو ما وجد جليا في المعالجات الدرامية السينمائية التي تطرقت وعالجت مفهوم الهوية اذ لا بد في الصناعة الفلمية تعدد الاماكن والعوالم الدرامية.
- 5- ان معالجة الشخصيات ترتبط بعلاقة واضحة بعملية المعالجة الدرامية لجذور واماكنها وتاريخها بما يعكس سلوكها وكيفيات الصراع الطبقي بينها بما يمثل اقطاب التمثيل الدرامي في التصريح الضمني او السياقي عن الهوية التي يحملها الفرد ويمثل بها المجتمع.
- 6- يعتمد المخرج وصانع الفيلم على الفعل التقني في عمليات التصوير والمعالجة البيئية التي من شأنها ان تصنع معادلا صوريا يوضح أبعاد الشكل الدرامي وحركة الصراع والاحداث ضمن سلوك الشخصيات وعلاقاتها الدرامية.

تحليل فيلم (الآخر)

(الآخر) فيلم مصري من إنتاج عام 1999،

إخراج: يوسف شاهين

بطولة: نبيلة عبيد، محمود حميدة، لبلبة، عزت أبو عوف، حنان ترك، هاني سلامة

قصة الفيلم:

انتج في فرنسا في عام 1999 تدور أحداث الفيلم عن (ادم) الفنان (هاني سلامة) شاب مصري أمه (مارجريت) مصرية الأصل أمريكية الجنسية الفنانة (نبيلة عبيد) يقابل الصحفية (حنان) الفنانة (حنان الترك) ويغمران ببعضهما، فيقرران الزواج، تعارض أمه في البداية ثم تعلن موافقتها وهي مرغمة عليها. وتتفق والدة (أدم) مع شقيق (حنان) وهو احد عناصر الجماعات المتشددة على أن يختطف (حنان)، وعلى سبيل الصدفة يعلم (أدم) الذي يبحث عن حبيبته (حنان) بعد البحث في الحاسوب الخاص بوالدته (نبيلة عبيد) وقراءة إيميلاتها، فيسرع لانقاذ حبيبته. وأثناء ذلك تحدث مدامات من قبل قوات الشرطة فيحاول اخو(حنان) الهرب ويأخذها كرهينة لكنه يموت بعد اصابته من قوات الشرطة التي داهمت المكان، فتصاب (حنان) برصاصة طائشة، ويحاول (ادم) انقاذها فيصاب هو الآخر بالقرب منها، تحاول (حنان) الإمساك بيد (ادم) ثم يموت الاثنان.

تحليل الفيلم:

اولاً: مستويات الهوية

- 1- يتمثل تشكيل الهوية بوصفة عملية اشتغالية بين التصور للآخر والذات على حد سواء وكيفية معالجته الدرامية والسينمائية على مستوى الشخصيات والحدث والرؤية بين اوجه الصراع ماضيا حاضرا ومستقبلا.

2- تتمثل جدليات مفهوم الهوية بوصفة عملية استقرائية لحركية العلاقة بين الذات والمجتمع من جهة ومجمل تاريخه ومرجعياته من جهة أخرى وهو ما يتمثل في تعدد أشكال الهوية بين الثقافيه والجمعيه والفرديه وانعكاساتها في الفيلم السينمائي بانواعه الرئيسة.

ثانيا: بناء الفرضية الاخراجية

حاول المخرج يوسف شاهين إثارة العديد من الأسئلة في فيلمه حول عدة قضايا رئيسة تم عصرنا وهي العولمة والإرهاب والتكنولوجيا وخطورتها وبالذات ما تتركه من تأثيرات على الشباب اللذين اظهروهم (شاهين) تائهين ولا أحد يستمع إلى آرائهم ووجهات نظرهم في الحياة. فيلم وضع الهوية الشاسعة بين المعتقدات القديمة التي لازال تأثيرها على شريحة كبيرة من الناس حتى اليوم وبين مجتمع مزدحم بالتناقضات لا يرحم أحد.

لقد تناول المخرج هويات عدة مختلفة داخل البناء الفيلمي ضمن وحدة متعلقة فيما بينها حدد من خلالها نقاط الالتقاء والافتراق بين تلك الهويات، حدد من خلالها تنوع ثقافي منها ماهو هجين وماهو مختلفي طبائعه وسلوكياته.

فقد تناول شخصيات متباينة فيما بينها داخل النسيج المجتمعي الواحد (مصر) هوية المثقف متمثلا في خال (حنان) الذي يمثل الشخص المنفتح على سلوكيات مجتمع آخر ويتقبل علاقات هي محرمة في مجتمعنا الاسلامي مثل علاقة آدم مع حنان واغتصابه لها وهوية أخو حنان الذي يمثل تناقضا ذاتيا بين التشدد الديني والرغبة في السفر الى امريكا والحصول على الجنسية وغيرها الكثير من الهويات المتداخلة بين الثقافية والفردية والوطنية والعرقية والدينية.

يتمثل الاشتغال السينمائي لمفهوم الهوية بوصفه علاقه تواصلية وتبادلية على المستوى الدرامي والتقني الذي يتمثل برسم الشخصيات وعلاقاتها مع بعضها البعض والتنقل بين العوالم الدرامية التي تمثل كل منها هوية وانتماء مختلف وهو ما يعكس البعد العلائقي للهوية وعلاقتها مع النوع الفيلمي والسينما على وجه الخصوص.

لقد وظف المخرج الشكل الفيلمي لتحديد طبيعة العلاقات الدرامية من خلال الصراع بين الشخص ومامثله هوية كل شخصية، فقد كانت الأم تمثل شخصية انتهازية وتبحث عن الصفقات المالية ولا تهتم بمشاعر الآخرين، وهي نفس شخصية زوجها الفنان محمود حميدة والد آدم الذي كان يبحث عن المصالح الاقتصادية والثروة وكانت علاقته بزوجه جفاء كبير والرابط المشترك هو الجري وراء الثروة والاستثمارات المالية، على العكس منهم كانت علاقة الحب التي نشأت بين ابنهم آدم وحبيبته حنان مليئة بالسعادة وكانت النهاية مأساوية بموت هذا الحب والذي أراد من خلاله المخرج أن يقول لا يمكن للحب أن يعيش وسط هكذا بيئة ووسط انتماءات مختلفة والطريق بعيد عن التقارب مع الآخر.

إن عملية الاشتغال الدرامي على مفاهيم تداولية مثل مفهوم الهوية الذي يمتاز بحركيته المستمرة واختلافه التطبيقي والاجرائى بين مجتمع وآخر وحقل ابداعيا واخر يؤكد عملي التعدد والتنوع في عوالم البيئة الدرامية والتنقل بينها بهدف ايضاح الفعل السلوكي لافرادها وجدليات التأثير والتاثر فيما بينها وهو ما وجد جليا في المعالجات الدرامية السينمائية التي تطرقت وعالجت مفهوم الهوية اذ لا بد في الصناعة الفلمية تعدد الاماكن والعوالم الدرامية.

ان طبيعة المعالجة الدرامية لكل وسيط تعبيرى تختلف عن وسيط تعبيرى آخر، خاصة في الحقول الفنية الإبداعية، وبأسلوب كل فنان ضمن بيئة الوسيط، وقد إمتازت السينما بقدرتها الإبداعية على استيعاب جميع أشكال الفنون الصورية والصوتية بفعل حركيتها المستمرة للصورة وقدرتها على إضفاء المؤثرات الفنية الصورية والسمعية بحكم تطورها، وقد استطاع المخرج أن يبين لنا بشكل واضح وبحكم المساحة التي منحت له السينما بحكم امكانياتها التي تؤهلها لتصور لنا الأفعال الدرامية بشخصها وحركتها وابعادها أن تجسد لنا العديد من الهويات المتباينة والمتداخلة ضمن بيئات مختلفة تجمعها العلاقات المشتركة وفق العادات والتقاليد التي يفرضها المجتمع.

ان معالجة الشخصيات ترتبط بعلاقة واضحة بعملية المعالجة الدرامية لجذورها التاريخية واماكنها بما يعكس سلوكها وكيفيات الصراع الطبقي بينها بما يمثل اقطاب التمثل الدرامي في التصريح الضمني او السياقي عن الهوية التي يحملها الفرد ويمثل بها المجتمع. حدد الفيلم طبيعة الصراع الدرامي بين عدة شخصيات تمثل هويات مختلفة وفق انتماءات مختلفة مرتبطة بمجتمعاتها، كانت شخصية (آدم) مثلاً شاب ثري شرقي يدرس في الخارج ويمثل الثقافة والعلم الذي يرتبط بـ(حنان) البنت الشعبية الفقيرة والذين يمثلان هويتين مختلفتين تماماً في طبيعة حياتهم وانتماءاتهم الفكرية والثقافية ولكن الذي جمعهم هو الحب، وشخصية (مارجريت) والدة (آدم) التي تمثل الشخصية المتبلدة خالية المشاعر والعلاقات المادية والاستثمارات وهي نموذج يمثل العنصرية الغربية متمثلة بالهوية المزدوجة التي تحملها، وغيرها الكثير من الهويات التي تظهرها المخرج في فيلمه ليرينا جملة من التناقضات في الهويات المتعددة الفردية منها والثقافية والهجينة.

يعتمد المخرج وصانع الفيلم على الفعل التقني في عمليات التصوير والمعالجة البيئية التي من شأنها ان تصنع معادلاً سوريا يوضح أبعاد الشكل الدرامي وحركة الصراع والاحداث ضمن سلوك الشخصيات وعلاقاتها الدرامية. تميزت افلام المخرج (يوسف شاهين) بتوظيف الصراعات النفسية بين الشخصيات عبر تفعيل عناصر الوسيط التعبيري (السينما)، إذ استخدمها بأسلوبه الخاص فاستخدم القطع المكثف في المونتاج الدرامي وسرعة اللقطات في التصوير لإبراز الصراع الحاد والصدام داخل المشهد لشد المتلقي، كذلك رسم الكادر السينمائي وحركة الكاميرا وفق ميزانين مرسوم بدقة وعين فنية ثابتة تحوله إلى لوحات تشكيلية. فضلاً عن تفعيل الإضاءة لأكسابها دوراً رئيسياً في المشهد لتعميق الجوانب النفسية مثل القلق والحزن والضيق ووظف الحوار بسلاسة بعيداً عن التصريح المباشر للشخصيات الدرامية حول أفعالها وترك مساحة للمتلقي من أجل التحليل والغور داخل أعماق الشخصيات واستقراء أبعادهم النفسية الاجتماعية والوطنية والدرامية.

النتائج:

- 1- تمثلت بمعادل موضوعي تمثله في الصراع بين قطبين، مثل القطب الأول شخصية الام (نبيلة عبيد) التي تتمسك بانتمائها الغربي والثقافة الغربية وتؤكد في افكارها على مراعاة الطبقة وتكريسها في الافكار والسلوك، فيما تمثل القطب الآخر بالإبن (هاني سلامة) في محاولة ردم الفجوة الطبقة وتحقيق ذاته لرفض ثقافته الآخر وتكريس الانتماء لمجتمعه الاصلي دون النظر الى الفوارق المادية وهو ما يؤكد صراعاً بين هويتين الأولى تمثلت بالهوية الفردية والثانية في الهوية الجمعية.
- 2- التفكير الراسمالي في العلاقات الاجتماعية وصدامها مع الافكار الاشتراكية ذات المنحى الماركسي في رفض الطبقة ومشاركاتها الانسانية في المجتمع وهو ما يؤكد في مضمونه الهوية الثقافية التي تحمل في محمولاتها الثقافة الدينية والتاريخية وافرازات السياسة.
- 3- حاول المخرج مناقشة الهوية الفردية من حيث انبهارها بالعالم الغربي ومحاولة انسلاخها عن الجذر العرقي والاجتماعي في مقارنتها بالهوية الجمعية للمحيط عن طريق استعارته لمفهوم الحب بوصفه تمثلاً للهوية الانسانية الذي يتجاوز فيه مجمل المرجعيات المحلية والمؤثرات الطارئة.

- 4- رصد حالة التمرد والصراع بين الوعي الفردي والهوية الجماعي المتمثلة بالأعراف والتقاليد الدينية.
- 5- تؤكد الدراسة الحالية فعلاً لا مركزياً للانواع العلمية تمثله في حراكها المستمر وتداخل بعضها مع البعض الآخر مما يؤكد ان الخطاب السينمائي أصبح شكلاً من اشكال ثقافته السائلة التي تتجاوز التصنيفات الكلاسيكية والقواعد الثابتة.

الاستنتاجات

- تمثلت استنتاجات البحث بالآتي:

- 1- ان التكوين الانساني انما هو هجين (سوشيو ثقافي) كونه مجمل التصورات والتراكمات الثقافية والتاريخية في مقابل التكوين الفردي للذات.

2- يعد مفهوم صدام الحضارات أحد المفاهيم المهيمنة في تشكيل الهوية الفردية والجماعية لما يشكله من تأثير واضح في الذات الإنسانية على اختلاف استعدادها لعملية الاستجابة وتأثرها بالهويات الأخرى.

3- تشكل الثقافة السائلة شكلاً محورياً في إعادة تشكيل الثقافة الفردية والجمعية وتأثيرها المباشر أو غير المباشر في إزاحة المراكز المتوارثة وإحلال مراكز جديدة على المستوى الإعلامي والخطاب البصري الذي يشكل الخطاب السينمائي جزءاً محورياً منه.

توصيات البحث:

1. تكريس الهوية العربية في المناهج الثقافية من قبل الباحثين والمنظرين العرب لما لها من عمق وتجزؤ على مختلف المجالات.

2. تطوير البحث الأركولوجي ضمن مشروع تأصيل الهوية العربية في الدراسات الجمالية.

المقترحات:

اقترح الباحث مشروعات بحث بهدف استكمال مشروعه الحالي:

1. جماليات البحث الأركولوجي في الثقافة العربية.

2. جدلية الانا والآخر في الثقافة العربية.

3. ثنائية الهوية والانتماء في الفيلم السينمائي العربي.

قائمة المراجع

1. إبراهيم أبراش، (2020)، الفكر العربي ومسألة الهوية في عصر العولمة الثقافية www.planation.org
2. إبراهيم حمادة، (1971)، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، (القاهرة: دار الشعب).
3. أبو نصر الفارابي، (د، ت)، كتاب الحروف، (بيروت: دار المشرق).
4. بو دومة عبد القادر، ديسمبر (2023)، نيتشه وسؤال الذات: الذات ما بين التجريب والتنظيم الذاتي، المدونة، المجلد 10، العدد 2.
5. جلال أمين، (1998)، العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الجديد، مجلة المستقبل العربي، العدد (234).
6. جميل صليبا، (1973)، المعجم الفلسفي، ج 2، ط 1، (دار الكتاب اللبناني، بيروت)
7. حمدي حسن عبد الحميد المحروقي، (تشرين الأول 2004)، دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة على الهوية الثقافية، (جامعة عين شمس - كلية التربية - مركز تطوير التعليم الجامعي).
8. دنيس كوش، تر: منير السعيداني، مراجعة: د. الطاهر لبيب، (آذار 2007)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، (المنظمة العربية للترجمة: بيروت، لبنان).
9. ربيع الجوهري، (خريف 2016)، السينما والهوية الوطنية: في تداخل الأيديولوجي والجمالي، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، عدد 1.
10. ريتا فرج، (2014)، تعريف الثقافة بحسب ت.س. إليوت.
11. شاعر عبد الحميد، (2001)، التفضيل الجمالي - دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، سلسلة عالم المعرفة، عدد 267، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب).

12. الشيماء مكرم، (2023)، تمثيلات المهجنة الثقافية في مسرح يوكيو نيناجوا وسليمان البسام، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، الدورة 30.
13. عامر عبد زيد الوائلي ومجموعة مؤلفين، (2014)، النظرية الاخلاقية من سؤال التأسيس الى اختراق الممارسة السياسية، (دار الروافد الثقافية، ابن النديم للنشر والتوزيع).
14. كاترين بيلسي، تر: د. باسل المسالمة، (2017)، الثقافة والواقع.. نحو نظرية للنقد الثقافي، (سوريا، وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب).
15. مارسيل مارتان، تر: فريد المزوي، (2009)، اللغة السينمائية والكتابة بالصورة، (سوريا: دمشق، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما).
16. محمد عابد الجابري، (1998)، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، عدد (228).
17. محمد عابد الجابري، (2012)، مسألة الهوية. العروبة والإسلام.. والغرب، ط4، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية).
18. مصطفى النشار، (2016)، جدل الهوية والاختلاف في الفلسفة اهلينية، بحث علمي، (المغرب، الرباط: أكدا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والبحاث).
19. الناصر عبد اللاوي، (2012)، الهوية والتواصلية في فكر هابرماس، ط1، (بيروت: دار الفارابي).
20. هارلمس وهارلبورن، تر: حاتم حميد محسن، (2010)، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ط1، (دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق، سوريا).



Issue - NO. 24 - Part 2- September - 2025 -Fifth Year Refereed Quarterly Scientific Journal

American International Journal of Humanities and Social Sciences

**ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY
FOR HIGHER EDUCATION AND TRAINING**

**QUARTERLY JOURNAL ON HUMANITARIAN
AND SOCIAL AFFAIRS**

(ISSN) Electronic (4806 - 3085) / (ISSN) Paper (4830 - 3085)

Legal deposit number in the Moroccan National Library (2025PE00006)

Legal deposit number in the Iraq National Library and Archives (2735)



Journal Website : <https://iajphss.us/>

